بيت الفقراء

نشر الثقافة الروحية

الجزء الحادي والعشرون

ألواح ما بين قبر ومنبر

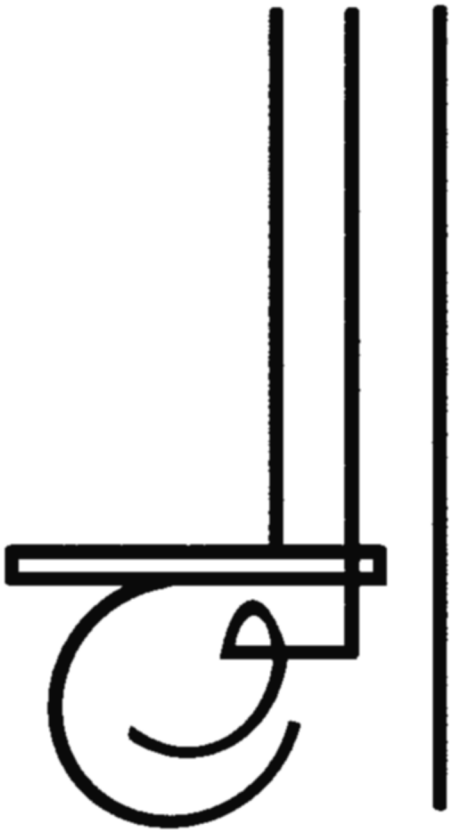

السيد الروح المرشد (سلفر برش)

الجمعية الإسلامية الروحية

القاهرة - الحلمية الجديدة

طريق علي مبارك الرقم ٢٨

رافع محمد رافع

ألواح ما بين قبر ومنبر - الجزء الحادي والعشرون

فهرس الأحاديث

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١	تقديم وتذكير		٨ أغسطس ١٩٧٦ م	١
٢		مقدمة منتخبة من أحاديث الجمعة للسيد/ علي رافع محمد رافع	٢٣ يوليو ١٩٧٦ م	٣
٣	نهاية الزمان وبداية الزمان بالإنسان للإنسان للفرد والبيت والجماعة أمر يدرك في البشرية الأرضية والكوكبية والروحية	حديث الجمعة	١٩ أغسطس ١٩٦٦ م	٧
٤	الإنسان أو الأمر الوسط القِدوة والغاية كافة للناس مدينة بيوت النور الأزلي للوجود المطلق	حديث الجمعة	٢٥ أغسطس ١٩٦٦ م	١٩
٥	القيامة ويوم القيامة في قيامات وأيام الحياة	حديث الجمعة	٢ سبتمبر ١٩٦٦ م	٣١
٦	كل مريد بقائمه في اقتدائه رائد وكل رائد في حقيقته لقيومه مريد فالإنسان في استقامته أمر وسط رائد ومريد بين أزلية الريادة وأبدية الإرادة	حديث الجمعة	٩ سبتمبر ١٩٦٦ م	٤٣
٧	من هو الناس؟ يعرفونه يوم يكونوه على ما هُدوا فيكونهم على ما أُعطوا إنسان عبوديته لإنسان ربوبيته لإنسان الحق لحقيقته	حديث الجمعة	١٦ سبتمبر ١٩٦٦ م	٦٩

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
٨	مشاعل الطريق والحياة لدائم هدي الله بكوثر الحق لرسول الله	حديث الجمعة	٢٣ سبتمبر ١٩٦٦ م	٧٧
٩	مثنى وفرادى في وحدانية الوجود والموجِد للمطلق في ذاته اللانهائي بصفاته	حديث الجمعة	٣٠ سبتمبر ١٩٦٦ م	٩١
١٠	غاية الإنسان بأمانة الحياة كسب هبة الحياة في متابعة الأحياء بالله	حديث الجمعة	٧ أكتوبر ١٩٦٦ م	٩٩
١١	كيف يكون عبدا للوجود من هو غير موجود؟ كيف يكون عبدا لإنسان الدوام من هو من لمحات الزمان؟	حديث الجمعة	١٤ أكتوبر ١٩٦٦ م	١١١
١٢	بُعث بالحق في الخلق إنسان الحياة المقيم يوم اجتمع غيب الإنسان على شهادته لاسم الرحيم ملكا مالكا مُطورا لنفسه في الواسع العليم	حديث الجمعة	٢١ أكتوبر ١٩٦٦ م	١١٩
١٣	بقلوبنا على قلب لقلوب اجتمعنا فالساعة عَبَرنا وقيامة خالدة بالحق بُعثنا فبالحق تواجدنا ووجدنا فلأنفسنا بالحق شهدنا	حديث الجمعة	٢٨ أكتوبر ١٩٦٦ م	١٢٧
١٤	الحق الرسول، للحق المرسِل هو الظاهر والباطن، هو القديم والقادم في موجود الحق، وحقيقة الخلق	حديث الجمعة	٩ ديسمبر ١٩٦٦ م	١٤١
١٥	بسيادة الجهلاء يفرض العماء وبنجابة الأولياء يرفع البلاء يوم يكشف للنفس أمرها وحريتها في ساعة القضاء وقيامة الجزاء	حديث الجمعة	١٦ ديسمبر ١٩٦٦ م	١٤٩

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١٦	نجتمع فنتوحد، ونفترق فنتعدد، ونصطرع فنتجدد نتواجد فنوجَد فنوجِد بالحق الأبدي الخالق للحق الأزلي المتجلي في الحق الموجود السرمد نقوم اسم الله الرحمن الرحيم	حديث الجمعة	٢٣ ديسمبر ١٩٦٦ م	١٥٥
١٧	الحق الواحد الأحد بالعبد وربه في الله ذي المعارج	حديث الجمعة	٦ يناير ١٩٦٧ م	١٦٧
١٨	إنسان الله وآدم الناس يتحدث من منبر التوحد مرة أخرى حق يقوم من وراء حجاب التشتيت والتعديد	صلاة العيد	١٢ يناير ١٩٦٧ م	١٧٥

(١)

تقديم وتذكير

١٢ شعبان ١٣٩٦ هـ - ٨ أغسطس ١٩٧٦ م

وهذا الجزء على وشك الظهور، وقع أمر جليل وخطير، فقد انتقل إلى الرفيق الأعلى السيد/ محمد سريع عيد غريب (أب سريع) في الثاني عشر من شعبان عام ستة وتسعين وثلاثمائة وألف هجريا الموافق الثامن من أغسطس عام ستة وسبعين وتسعمائة وألف ميلاديا من الإسكندرية.

والسيد (أب سريع) وسيط استقبال عالم الوعي الحي لعالمنا، ولسائر عوالمه المرتبطة بنا، فهو وقد كان بتواجده ذاتا - عيد على البشرية غريبا - وسيطا للخير والسلام، وأداة للألفة والوئام، به عم نور على هذه الأرض، ولم يزل نورا على نور.. فهو بتواجده روحا عاملة في الرسالة، سريع في عودة إلى هذا العالم غريبة عليه، تكشف للطالب ما غم عليه، وتهديه إلى صراط مستقيم.

فإلى لقاء قائم ودائم في عالم الحق والحياة، في رسالة النور والسلام، يا أكرم الخلق وأصفاهم.

(٢)

مقدمة منتخبة من أحاديث الجمعة للسيد/ علي رافع محمد رافع

٢٥ رجب ١٣٩٦ هـ - ٢٣ يوليو ١٩٧٦ م

علاقة الإنسان بربه، هي الدين في كل مكان، وفي كل زمان، وما أُمر به الإنسان في عبوديته من الإنسان في ربوبيته.. إن الرب يحث عن عبده كما يبحث العبد عن ربه، في قيامهما معا، في آمر ومأمور.. في مُرسِل ومرسَل إليه.. في رسول هو مُرسِل بقيامه في حضرة المرسِل، وهو مرسَل إليه بقيامه في حضرة المرسَل إليهم، فمنه وإليه.. واعتصموا بحبل الله جميعا، وما حبل الله إلا رسوله المؤلف للقلوب.. النور الساري في الهياكل.. سر الحياة القائم، نور الحياة وكنزها.. أمل كل مُتابِع، ورجاء كل طالب، ومثالية كل مقتد.

إن ما يربطنا بما أوجد الله فينا من حياة، هو معنى رسول الله.. واعلموا أن فيكم رسول الله.. فهل لهذا المعنى ذكرنا، وفي ذِكرنا له أكبرنا؟ رسول الله طلبنا.. إذا دعانا أجبنا.. وإذا أذن فينا لبينا، قِبلة لها استقبلنا، وبيتا حوله طفنا؟

إن الإنسان في هذه الأرض، يدرب أن يكون من المسلمين، المُسَلِمين الذين هم لأمورهم مفوضين، الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما.. يدرب أن يستوي عنده، تبر الأرض وترابها، لا ينحاز بنفسه إلى تبرها، ولا ييأسه إلى ترابها.. يستوي عنده لأنه يعلم أن هناك من هو أحكم، وأن هناك من هو أعلم، وأنه ما خُلق لتبر أو تراب، وإنما خُلق للحق، فيطلب الحق كثيرا، ويذكر الله بكرة وأصيلا، منشغلا بذكره عن مسألته.

إن الدين، هو سلوك إنسان حيا، وإنسان تحقق، فكان أهلا للفيض، وكان أهلا للإرشاد، فأخبره أعلاه، وحقه، طريق الحياة ما يكون، والارتقاء فيها، كيف يكون، فسلوكه هو الحياة.

إن الاتباع والاقتداء، هو أمل ورجاء، أن يكون الإنسان قائما حقا، فيما يأتيه من فعل، وفيما يقوله من قول تماما كمن سبقه في هذا، أمله ورجاؤه أن يكون في عبادته، وهو قائم فيها كما أُمِر، قيام من سبقه فيها، يعلم أنه ليس كذلك الآن، ويعلم أن الطريق طويل، لأن ما يطلبه ثمين، لا يجعله هذا يضعف أو يتكاسل أو يتخاذل، أو يأبى أن يتبع حقا، لأن طريق الحياة لا نهاية له، ولا حد له، فيسأل ويطلب دوما أن يكون مُرشَدا، مَهديا إلى الطريق القويم، فهو في اتباعه يكبر معنى الاتباع أن يكون في

تقليد أعمى دون وعي أو فهم، ويطلب أن يكون اتباعه حقا، حتى يكسب معنى أعلاه، ويظل دوما له طالبا في ارتقاء، ويظل إليه متوجها، وبجاهه متوسلا، وفي سفينته راكبا، قائدا له مسلما، ولأمره له مفوضا، في حب وإيمان ويقين، إن هذا هو طريق الحياة، ليكون حقا إنسانا.

كثيرون يتساءلون.. ما الروحية؟ وما الطريق؟؟؟ {إن الذين قالوا ربنا الله، ثم استقاموا، تتنزل عليهم الملائكة، ألا تخافوا ولا تحزنوا...}[1].. (إن لله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها)[2].

صِلة الإنسان بربه، وصِلة الإنسان بحقه، صِلة الإنسان بمن سبق، ليعرفه ويرشده فيما هو فيه قائم، ويخبره إلى ما هو إليه سائر، هذه الصِلة، الصِلة النابعة من قلب صادق، ومن قيام طاهر، ومن عقل متفتح، بما وراء الماديات، وبما وراء الكلمات، هي الروحية والطريق.

أذّن المـُؤذن بالحق، فأجاب السامع بالحق، دعا الحق الأعلى الحق الأدنى، فأجاب الحق الحق، واستجابت الحياة للحياة.

إن المستجيب حقا، لا يعلل استجابته، لأنه إذا أراد أن يعلل، فسيعلل بظاهر العقل له، وظاهر العقل له لا يستطيع أن يعلل ما استجاب له هو بمعاني الحق فيه، فليكن في استجابته معليا لها أن يعللها ويفسرها، وليجعل التفسير لأفعاله المادية بمعاني الحق فيه.

هل عرفنا أن العارف بنا لا يعرفه إلا ربه، وأن معرفتنا لمعنى الرب لنا، هي في معرفتنا لانعكاس معناه بنا، في قائم حياتنا؟ هل عرفنا، فازددنا طلبا للمعرفة، أم أننا نتخيل أننا نعرف، ونزداد تكبرا عن المعرفة؟ إن من عرف حقا ما تكبر أن يعرف من أي إنسان وفي أي مكان.

إن معنى الحق في الإنسان يدرك ما دونه، فهو المحيط بكل ما داناه، وهو مُحاط بكل ما عَلاه، وهو كقيام فاصل بين أعلى وأدنى، معنى الأمر الوسط، المدرك من أعلاه، والدارك لأدناه، حلقة الوصل، بين سبق كسبه في ماضٍ، وبين قيام يكسبه في لاحق، فإذا تأمل الإنسان حقا، فهو لا يتأمل إلا فيما داناه، أما هو بقيامه المتأمل، فلا يعرفه إلا ربه، فيقوم مدركا، ما عرفني غير ربي.

إن الإنسان لو جعل من وجوده أرضا طيبة تستقبل ربها، لظهر فيها الحق بمولده.. ظهر بقيام جديد فيها يطهرها ويزكيها، فقد ولد الحق، وولد الهدى، وولد الضياء، وسينمو ويكبر، ويحل محل وجوده المظلم، فيفنى هو بما كان، ويبقى هو بما ولد، من معاني الحق، فيدرك أن لا إله إلا الله، ويقوم محمدا رسول الله، ويعرف أن لا وجود ولا حياة إلا لرسول الله، به يبقى، وبدونه لا يكون. اصطفاه ربه، ونفخ فيه من روحه، وعلّمه الأسماء كلها، وجعل منه الحياة، فملّكه كما امتلكه، وخَلَّفه على معاني دُناه، ليكون وجها له بين من عليهم ولاه، وليكون هو لهم، كما كان له أعلاه.

دورات في الحياة، ببدايات، لا أول لها، ونهايات، لا آخر لها، تسفر بعباد الله، أعلاما على حقائق الحياة، وأبوابا لمن طلب النجاة، رحمة من الله، وهدية منه، فتتدانى الرحمة، وبتواجدها تجذب حولها وفيها من كان فضل الله عليه عظيما، ونعمته عليه كبيرة، فيدخل بيت الرحمة، وبيت الحياة، فيخرج من الظلمات إلى النور، رحمة من الله وفضل.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة فصلت - ٣٠

٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها"، رواه الطبراني في "الكبير" وذكره الغزالي في الإحياء.

(٣)

نهاية الزمان وبداية الزمان
بالإنسان للإنسان
للفرد والبيت والجماعة
أمر يدرك في البشرية الأرضية والكوكبية والروحية

حديث الجمعة

٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ - ١٩ أغسطس ١٩٦٦ م

بسم الله، وباسم رسول الله، وباسم روح الله، وباسم عبد الله، وباسم إنسان الله، نبدأ، ومنه نستعين، وإليه نرجع، وله نذكر، وفيه نتواصى، وإليه نتعارف.

نحمد الله، ولا حمد لسواه.. ونذكر الله، ولا ذكر لسواه، ونعرف الله ولا معرفة لسواه، ونستعين الله ولا عون من سواه، ونتجه إلى الله، ولا منظور لنا إلا إياه، نشهده لا إله إلا الله، ونقومه محمدا رسول الله.

(لا تسبوا الدهر، فإن الدهر هو الله)[١]، وتعارفوا إلى الزمان، فإن الزمان هو رسول الله، وإنسان الله، وروح الله، واسم الله، وكلمة الله، ووجه الله، لمن عرف الله، {والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}[٢] فكانوا وجوه الله وقائم الحق لله.

والعصر قامه الإنسان، مزوية له الأرض بخلافته، إن الإنسان لفي خسر له عن حقه بغفلته.. إلا الذين آمنوا بالحق ومعيته، وعملوا الصالحات لإحياء أنفسهم بحقيته، وتواصوا بالحق الأكبر لكسب عبوديته، وتواصوا بالصبر لاستقبال أمره وإرادته، لأمرهم وإرادتهم لقائم حضرته.

(كل الناس هلكى إلا العالمون، والعالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم)[٣].. (لو علمتم ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا، ولما تمتعتم بالنساء في الفرش)[٤].. {كم أهلكنا قبلهم من القرون}[٥]، (كم أهلكنا قبلهم من قرن}[٦].. (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)[٧]، {والفجر وليالٍ عشر}[٨].. {إذا نودي للصلاة من يوم

الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع}[٩].. {ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم}[١٠].. {إن يوما عند ربك، كألف سنة مما تعدون}[١١].. (تؤلف، ولا تؤلفان)[١٢].

كل هذا يعني دورة الزمان، ببدايات ونهايات، بالإنسان سفورا واحتجابا، خلقا وبعثا بحق، {وتلك الأيام نداولها بين الناس}[١٣]، في خلائقهم اختبارا، وفي حقائقهم هديا وادكارا.

يظهر يوم الجمعة، يبدأ يوم ربك، به يدور الزمان لظهور وجه حقك سافرا برسالة سافرة بأمرك، {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك}[١٤].. إن الزمان يدور لظهور وجه ربك في سفور برسالة علم بالساعة، فيظهر ربك بالناس يستوي بهم إلى الأرض.. يظهر بين الناس بالناس[١٥] إنسان حقك، يعلو به أمرك، ويتجدد به ذكرك، وتُواصَل به رسالتك، وينتشر به نورك، وتعم به سكينتك.

كلما جاء هذا اليوم ببداية للأرض ونهاية لسابق انتهى زمان وبدأ زمان. وهو يوم تقديره عند ربك كألف سنة مما تعدون. هو الألف سنة مما تعدون أو تزيد قليلا أو تنقص قليلا، وإن زادت فلن تزيد أو تنقص كثيرا عن نصفها، فلن يتجاوز الألفين بحال، يوم للبدء للخلق ويوم للبعث بالحق من أيام الله الجامعة بالخلق والحق، لا بدء ولا انقضاء لها. كان الرسول بعمومه وسابقه بخصوصه، يومين وأمرين ليوم يلحق بالخلق والحق لأحدية بإنسان من إنسانية الله لا بدء ولا حصر ولا حد ولا عد لها. به يتوفيان في محدثهما وبالمقام المحمود يبعثان لأمرهما للسماء والأرض، (المهدي ولدي [يقتفي أثري])[١٦]، و(لا مهدي إلا عيسى)[١٧].

{تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة}[١٨] مما تعدون، فهناك من أيام الله، من يدور به الزمان، خمسين ألف سنة مما نعد ونعرف، وهناك من أيام الله، من يدور به الزمان، ألف سنة مما نعد ونعرف، وهناك من أيام الله، من يدور به الزمان دورة القرون مما نعرف. إنها إنسانية العصور للدهر الإلهي.

فرجل القرن، إنسان، في رسول الله، وكلمة لرسول الله، وظل لرسول الله، (يبعث الله في هذه الأمة) -مزوية الأرض لرسول الله إليها - (على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)[١٩].

يبعث المؤمن بجهاده برسول الله فيه وجها لربه وظلاله ورسولا منهما، على ما هو لكوثره، تدور بفجره لياليه في دورة منتظمة في كل ألف سنة مما تعدون، لعشر قرون من ليالٍ بأوادم مما تعرفون، هم أمهات القرون، لدورة انشقاق الأرض عنه.

كما يظهر من الأعلى لمعنى ربه في مطلقه، وجه لله متميز في دورة منتظمة مقدارها، خمسين ألف سنة مما تعدون. فما تكون نهاية الزمان؟ وما تكون بداية الزمان؟ هل هي على ما يعرفون بما لا يعرفون؟

إن كل بداية لزمان، قصر أو طال، هي نهاية لزمان سابق لمعلوم زمان، وبداية لقادم زمان. إن نهاية الزمان وبداية الزمان، إنما هي، ساعة، أو لمحة، أو قيامة، للحق، بالإنسان، في قائم الله، وقائم الرحمن، تجمع بين قديم وقادم الإنسان، بقائم إنسان، عروة وثقى بين زمان بإنسان الخلق، وزمان بإنسان الحق.. أمرا وسطا في إنسانية الله الأزلية الأبدية السرمدية بحقها وخلقها، وبخلقها وحقها، في دورة الحياة في الوجود المطلق، لمفردات الإنسان.

يتحدثون من وقت لآخر، ومن بلد لآخر، في بلد وآخر حديثا يعم الأرض، في قبضة سلطان الله بالإنسان عن نهاية الزمان، وعن القيامة، ولا فهم لهم في قيامة الرحمن، أو قيامة الديان في دائم قيامة الإنسان بالتكوين والإحسان.

إنهما قيامتان في قائم الناس بالشيطان أو قائمهم بالرحمن، قيامة بالرحمة والإحسان، يمثلها إنسان {ما كان محمدا أبا أحد من رجالكم...}[٢٠]، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم}[٢١]، وقيامة، للفصل، في كنود الإنسان، بقيام للديان، بعنوان بإنسان، فيها الجزاء ورد الأعمال. (كيفما تكونوا يولَ عليكم)[٢٢].. {فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية}[٢٣].. {فاستخف قومه فأطاعوه}[٢٤].

كلاهما لله كلمة، وهما فيه كلمتان، توفيتا بالعرفان، عن الدنيا أو عن الأخرى، بعثٌ بالحق أو الباطل مثله أبناء الإنسان، رسلا من الرحمن، ورسلا من الفتان، قيامة في الإنسان للإنسان عن أمره، للفصل في الكيان هو يومه للدينونة للعيان، يدين الله عند نفسه من دان، ويكشف الغطاء بالإحسان عند أهل الإحسان، كما يكشف بالمسخ، على حالهم عند أنفسهم أهل البطلان. فإذا عمت معرفة الإنسان بالإنسان ينفضح الأمر بين الناس لأنفسهم في العيان، مبلسين كانوا، أو رحامين تواجدوا، وبالحق بعثوا. إنه علم للساعة بإمام ومعلم في القيام للعيان.

نقول هذا بمناسبة ما نشرته الصحف، في هذه الأيام، عما يقال، في إندونيسيا، أو في إقليم من أقاليمها، من أننا، في يوم للقيامة، أو سنجابه يوما للقيامة، وسنجابه نهاية للزمان. ومن قبل وقع مثل هذا في الهند، كما نشر في صحفنا هنا، ومن قبل نشر شيء من ذلك، بقول من مثاله، جاء من إنجلترا، وكذلك من قبل جاء من أمريكا، ومثاله وقع في إيطاليا وفي أوروبا، فماذا عند هؤلاء الذين يتحدثون بذلك؟ هل هو محض هراء وباطل؟ أم أنه قول له مسحة من حق حرفت عن موقعها من الإدراك، وأن فيه ولو قليل من الصدق أسيء فهمه؟

إنها إرهاصات هذا الزمان.. نعم، إننا في هذا الزمان، نجابه نهاية لزمان، ونستقبل بداية لزمان.. إننا في عصر تميز عن سابقه على ما نعرف من العصور، إننا نقوم في أمر تميز عن سابقه مما ندرك من الأمور.

إننا نستقبل جديدا، ونشهد زمانا وليدا، وأمرا من الله خلقا وبعثا وطورا سعيدا، ذكرا محدثا لذكر قديم، تحقيقا لنبوءة محمد بجديد لعيسى وتمام له، كما تحققت نبوءة عيسى بمحمد روح قدس إنسان أبوته يظهر بين الناس بتمام آدمه له لوصف جديده.

إنها دورة لآدم من دورات آدم، في قائم الإنسان، ودورة للرحمن من دوراته في قائم الرحمة، ودورة للحق من دورات في قائم الحقيقة.

دورات في الله، لا غيبة له.. لا إحاطة به في المطلق.. في المنزه عن الأسماء وعن التسمية، وعن قيود الذوات وعن محدود الذات، فيمن تنزهت ذاته، وتنزهت صفاته عن المثيل، فلا شريك له في ذاته بذات، ولا شريك له في صفاته بصفات ولكنها منه للوجود الكلمات، بالإنسان للإنسان.

إنه عند العقل من عجز العاقل عن تقديره، وعجزت الروح عن إدراكه، وعجزت النفس عن محاكاته. من تعارف بعارفيه، إلى عارف، فأصبح عند العارف معروفا بعارف، ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات، في الله ذي المعارج للموجود المطلق في وجوده اللانهائي، المدرك في لانهائي عطائه، مع أيدي منحه وإعطائه.

الإنسان فيه، هو الزمان، بداية ونهاية.. الإنسان فيه هو العصر، بداية ونهاية.. الإنسان فيه هو القيامة، وهو الساعة، وهو اليوم، وهو العام، وهو الشهر، وهو الأسبوع، وهو الليل، وهو النهار، وهو القرن، وهو القرون، وهو الألف، وهو الآلاف، إنه العالم، إنه الوجود، وإنه الزمان، والعصر بداية ونهاية.

إن الإنسان على الأرض، ساعات وأيام وليال ونهار، في كل وقت وحين يبعث ويقوم. إن الإنسان بقرنه والقرون، بألف والآلاف، في كل وقت وحين، يتواجد ويتجدد بالرحامين أو بالشياطين على أرضكم.

{إني جاعل في الأرض خليفة}[٢٥]، خليفة للرحمن وخليفة للشيطان، لا يغيب أحدهما أبدا، ولا ينقطع أحدهما أبدا، وما غاب أحدهما أبدا، ولن ينقطع أحدهما أبدا، كلاهما خليفة، على الساعات، على الأيام، على القرون، على الدهور، بأمر وأمور، أمر لله، وأمور لله، لا تنقطع أبدا، وتبعث أبدا، وتتواجد أبدا، على ما كانت أزلا، في لا إله إلا الله، تعلم وتعرف وتشهد للرحمن، بمحمد رسول الله، كما تشهد بالشيطان للمتخلفين عن ركبه إلى الحق في الله.

جاءت الرسالات، قبل محمد، وجاءت الرسالات بعد محمد، فبشرت به رسالات ما قبله، وعرفت عنه رسالات ما بعده، بذلك جاء كتاب محمد بيانا لما جاء به برسالته، وقد جاء بها فعلا قبل أن يجيء بها حديثا وقولا، جاء بجماع المعارف عن المعروف، وبجماع الأوصاف عن الموصوف، وبجماع الأسماء عن

المسمى، وبجماع الحقائق عن الحقيقة، عرفها لنفسه، في نفسه، بنفسه في قديم وقائم وقادم. وعرّفها على ما عرف لنفسه، إلى الناس ليعرفوها على ما عرف، يعرفوها في أنفسهم، بأنفسهم، لأنفسهم، عن أنفسهم في قائم بقديم وقادم.

عرّفهم أن الله، الذي يعرفون، والذي يسمون، هو الحياة لحياتهم، وهو قيوم القائم على كل نفس، بما كسبت، وأقرب إليها من حبل الوريد، ومن ورائها بإحاطته وعونه قيوم قيامهم لقائمهم في قيامهم.

عرف نفسه عبدا لرب، رفيقا أعلى، وعرف رسول ربه إليه عبدا لمن هو له عبد، وعرف مرسله إليه، عبدا لأعلى هو له عبد، فعبَّد نفسه لعبد ربه، فتوحد معه، فعرفه بذلك، عين عبد ربه ورسوله إليه، فلما صار به معه إلى ربه، فلقيه، عرفه، معيته منه معه، على ما هو رسوله إليه معه، فعرفه مع ربه العظيم، على ما ربه مع ربه الأعلى إلى أحد الله، فعرف أن أحد الله، مع ربه، ومع رسول ربه، ومعه لموصوف الاسم والوجه والعبد له، فعرف نفسه وربه ورسوله إليه وأناه بحقه ولرسوله منه، كلها قيام الحق بمعناه لمعاني عبد الله، في أحد الله، لا شريك له، هو لهم جميعا، وهو معهم جميعا.

فأدرك ما تكون وحدانية الله، وما يكون أحد الله، وما يكون التوحيد لله، فعلمنا على ما علم، وأعلمنا على ما علم، فكان حقا رسول الله، وكان حقا من أظهره الله على الدين كله، ومن رضيه للناس جميعا، ليكون لهم، وليكون كل كلهم، لا يبلغون في الحق كل كله، قائمين به وجها لكله، إمام جمعهم، وقائد ركبهم، إلى من كان هو منه لكل كله وجه كله، ولم يبلغ ولن يبلغ فيه معنى كله وإن كان مسيحه لوجه كله، فكان حقا عبد الله، وحجابه الأعظم.

عرف رسول الله وعبده أن رسول الله إليه كل كله، وأنه فيه ليس كل كله. وعرف أن رسول الله إليه، في ربه، ربه كل كله، وليس هو مع ربه كل كله، وعرف ربه في ذي المعارج، ذو المعارج لربه كل كله، وليس ربه مع ذي المعارج كل كله، وعرف ذا المعارج، في المطلق، عرف المطلق له كل كله، وليس ذو المعارج في المطلق كل كله.

بذلك قدَّر الله حق قدره، وتأدب معه حق الأدب له، وعرف عنه كمال التعريف به، فقال لا إله إلا الله والله أكبر، وتواصى مع المؤمنين بالله ورسوله معه. يا من دخلتم معي، في حصن لا إله إلا الله، فانتهيتم منكم إلى الله، فقامكم الله، وقمتم لله، وجوها له، وأسماء له، اعلموا أن الله أكبر، واحرصوا على إيمانكم بلا إله إلا الله، واحرصوا على طلبكم لله أكبر، فقال متابعوه على أمره لأمرهم (السير إلى الله له نهاية والسير في الله لا نهاية له)[٢٦].

فإذا تكلمنا عن نهاية الزمان أو عن بداية الزمان، أو عن الساعة، أو عن الساعات، أو عن القيامة، أو عن القيامات، فإنما نتكلم عن الإنسان.

لكل منكم ساعة.. لكل منكم قيامة.. لكل منكم أفرادا ساعة وقيامة، ولكل منكم بيوتا ساعة وقيامة، ولكل منكم جماعات ساعة وقيامة، ولكل منكم بشرية ساعة وقيامة.. لكل منكم عصرا وزمانا ودهرا ساعة وقيامة.. ولكل منكم وجودا وكونا ساعة وقيامة. فكيف يتحدث الناس في الله عن الله، ولا علم عنه عندهم، ولا علمية عليه لهم! وكيف يصفون الله، ولا صفة معه بهم، ولا خبرة به أو بهم عندهم!

{فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}[٢٧].. هو {الرحمن فاسأل به خبيرا}[٢٨].. (المؤمن مرآة المؤمن)[٢٩]، فهل آمن الناس بالغيب، فعبَّدوا أنفسهم لربهم في أنفسهم، فذكروا ربهم في أنفسهم، فكشفت عنهم أغطيتهم، فعرفوهم وربهم أسماءً لله وعبادا لله، يوم شهدوهم حقائق لله؟

طلب إليهم أن يسبحوا الأعلى، الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والذي أخرج المرعى، فجعله غثاء أحوى، عرفوه بهياكلهم لأرواحهم، فتحقق الإنسان لمعنى الخلق بالإنسان لمعنى الحق، في الله ذي المعارج، للمطلق في أمره لنفسه.

لقد أعطي الناس برسول الله، كتاب أنفسهم.. كتاب أيمانهم.. كتاب شمائلهم.. كتاب عقولهم.. كتاب أرواحهم.. كتاب ذواتهم.. كتاب زمانهم.. كتاب كينونتهم.

هل أدركوا هدي رسول الله لهم، (أول من تنشق عنه الأرض أنا)[٣٠]، وقوله لهم (ما أعطيته فلأمتي)[٣١]؟ وهل ربطوا ذلك بهديه إليهم، (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)[٣٢]، أو قوله تعالى {أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون}[٣٣]، وقد {جعلنا المسيح وأمه آيتين}[٣٤]؟

هل أدركوا قوله من يجدد لها أمور دينها، بقيامه رسولا من أنفسهم قيام محمد بينهم؟ هل ربطوا بين ذلك وبين قوله تعالى، {إنا أعطيناك الكوثر.. إن شانئك هو الأبتر}[٣٥]؟ هل ربطوا بين ذلك وبين قوله تعالى {فصل لربك وانحر}[٣٦]، وبين ذلك وقوله لهم {فاقتلوا أنفسكم فتاب عليكم}[٣٧] {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}[٣٨]؟ وبين ذلك وقوله {وقل جاء الحق وزهق الباطل}[٣٩]؟ هل عرفوا في محمد حقا مبعوثا، وباطلا مزهوقا، فطلبوا إلى الله أن يزهق باطلهم، وأن يبعث حق الله فيهم، حقا بهم، وحقا لهم، في اقتدائه، حتى يكونوا عبادا للرحمن، يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما؟ هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٤٠].. {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[٤١].

هل عرفنا شيئا من ذلك؟ هل عرفنا أن الأرض تنشق عن ظل لرسول الله، حقا لله مزوية له الأرض بانشقاقها عن أنفسنا، وهو الذي يتصف لنفسه عندنا، (بينما أنا نائم أطوف بالكعبة...)[٤٢]؟ ويعرفنا بلسان ربه (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)[٤٣]؟ ويقدم نفسه هدية الله إلينا مبعوثا بالحق، وهو يقول (والذي بعثني بالحق[٤٤]، أنا رحمة مهداة[٤٥])، (ما أعطيت فلأمتي)[٤٦]؟

هل أدركنا شيئا من ذلك ليكون فقها لنا، ففقهنا أمر أنفسنا، وأمر رسول الله إلينا، وأمر الرب فينا، وأمر الله قائما على كل نفس منا؟ هل عرفنا كيف نفرق وكيف نجمع بين أمر الله لنا وأمر الله علينا، وبين معاني الربوبية فينا، وقيومية الله علينا والعبودية لله لنا؟

فنعرف أن العبودية لنا والربوبية فينا، والألوهية علينا إنما هي حق واحد، وأمر واحد لله، فكشفنا عن أقانيم الحقيقة للإنسان، بالإنسان على ما عرف الإنسان، في دين الفطرة، وفي هدى الرحمن، حتى نجادل أهل الكتاب من إخواننا في الإنسانية وإخواننا في الدين وإخواننا في الله، وإخواننا في الكتاب، بما هو أحسن، وبما هو أقوم، وبما هو أوضح، وبما هو أقبل للعقل، وأدرك للنفس، وأصدق في الحقيقة؟

هل عرفنا أن البسملة، بمعنى اسم الله الرحمن الرحيم للإنسان، وقد أنزل الاسم بها مع كل نبي، ورفع معه، إلا محمدا فقد أعطيها له ولأمته، اسما جامعا لأسماء الله، قديما فيه محدثا له، وأمرا وسطا له، قام ولم يغب، وجاء ولم يحتجب، ووضع ولم يرفع، وشُفِع فَشَفَع، ما ردت له شفاعة، وما خابت له ضراعة؟

إنه إنسان الله وعبده، لإنسان الله ورسوله، لإنسان الله وغيبه، في إنسان الله وقدسه، به عُرف الله حق معرفته، وبه قدر الله حق قدره، وبه دنا الله لا تعدد معه، وبه تعالى الله لا شريك له.

أشهر شعاره لا إله إلا الله، وأشهر طريقه محمدا رسول الله، عين طريق ربه وحقه، إنسان الله، وعبد الله، وحق الله، واسم الله ووجه الله، كان منه عين معناه، وكنا به عين معنى رسول الله لعين معنى ربه وإنسانه لله يوم آمنا بالله ورسوله.

ها هي البشرية، من وقت لآخر، ومن بلد لآخر، تتحدث عن نهاية الزمان، وعن القيامة، ولو عرفوا عن الزمان وعن القيامة، لأحسنوا الحديث، ولكنهم خلطوا بين ما هو قائم من الله، بأمره، وبين ما هو قائم من أنفسهم بوعيها، يعبدون الله بالظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا، ولا يتقلبون لأنفسهم في أنفسهم بمن يعبدون الله معهم باليقين يوم يطلبوهم فيلاقوهم فيعرفوهم من أخذوا كتبهم باليمين، فكان حالهم لهم بينهم، هاؤم اقرأوا كتابيَ، مرسلين.

ولكن الناس يقولون إن النبوة قد انتهت، وأن الرسالة قد انتهت، جاحدين بالرسول الدائم، والحق القائم، خاتم وطابع النبيين، أمر المأمورين، وحق المرسلين، ونور المستنيرين، وجماع كلمات رب العالمين، وهو يقول لنا (أُعطيت جوامع الكلم)[٤٧]، (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[٤٨].

ولكن الناس هم الناس فريق له يكذبون وعنه يزورون، وفريق عنه يتحدثون، وهم في قومه به يتلاومون منكرين عليه دائمه بظلاله وعودته بحاله، كما تحدث الفراعنة أصولا لهم عن يوسف، فقالوا لن يبعث الله نبيا بعد يوسف مستكبرين على المؤمنين مفتونين بأنفسهم طاغين، لكلم الله محرفين، وعن كلمات الله بينهم مزورين.

يحرفون {خاتم النبيين}[٤٩] إلى (ختام النبيين)، وهو ما كان ختاما للنبيين، ولكن كان خاتما وطابعا للنبيين، تقوم به صفته بها في المتابعين، ويستكمل به النبيون في متابعتهم له كمالهم إلى حقائقهم بها يتوفون، عليه يجتمعون ومعه يعملون، وهو المتوفى من رب العالمين، والحق الظاهر للطالبين وللمتحققين، والنبيون من قبله به من بعبده عبادا لله يبعثون، لاستكمال حقائقهم بها يتوفون بعيدا عن أيدي المستكبرين وعن عيون الضالين.

لقد قام رب محمد في وجوده لعاليه إلى أحده أحدا لا رب معه، وقام محمد في ربه ومن ربه رسولا منفردا، جماع رسالاته، وظهر منه، عبدا منفردا جماع عباده لا سبق له من العباد إليه، ولا سبق عليه لرفاقه من الرسل بالحق إلى الناس. فكان محمد بعبوديته، ومحمد برسالته، ومحمد بربوبيته، ومحمد بحقه في حقيقته، أحدية لله من آحاد، في وجود لله من مثال، لعين مثال، في مثاله لا تنحصر أحاد الله في أحدية مطلقه، ولا الأرباب من الله، في وجودهم، لمعلوم ومجهول ربوبيته، ولا الرسالات، لصفة الهدي فيه، والحديث منه والحديث عنه في آحاده.

فلا العبودية الجامعة لعباد في وجود، ولا الوجود من عباد له، في وجود ووجود، لها حصر أو عد. فلا حصر لعباده، ولا حصر لوجوده في مطلق موجوده بالإنسان والكون له.

بهذا كله، جاء الإسلام، وبمجيئه بهذا كله، رضيه الله دينا له، يبقى، ويتجدد، ويعمل وينتشر، ويعرف ويُعرِّف عمن لا شريك له.

فهل قدرنا هذا الدين حق قدره؟ هل قدرنا أنفسنا في الله حق قدرها؟ هل حرصنا على أنفسنا في الله؟ (إن لبدنك عليك حقا)[٥٠]، فمن تكون أنت؟ هل أنت بدنك؟ أم بدنك مملوك أناك؟ وأناك لنفسك ما كانت إلا أنا لمولاك، يوم تذكر الله، في نفسك، وعلى نفسك، ومن حولك بلا إله إلا الله، فتوحد ما فيك، مع ما حولك، يوم يتوحد إناؤك وعبدك مع من هو فيك لمعنى ربك لقائمك، ومع من هو من

حولك لمعنى إلهك وقيومك حتى تكون أمرا وسطا، بين ما هو فيك، وبين ما هو من حولك، فتكون إنسانا لله، وعبدا لله، وحقا من حقائق الله.

هذا ما جاء به دين الفطرة، وما جاءك به الإسلام، فهل به تواصيت مع مؤمن؟ وهل في بيئتك بحثت عن مؤمن؟ والرسول يهديك لخيرك (فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية)[٥١].. (الزم الإمام)[٥٢].. (عليك بالجماعة)[٥٣]، (يأكل الذئب من الغنم القاصية)[٥٤].. (لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه)[٥٥].. لنفعه اعتقاده، بالإنكار على نفسه ظالمة مظلمة، (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)[٥٦]... {لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}[٥٧].. هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٥٨].

أفمن كان قبضة من نور الله، وآدما من أوادم الله صارها وصارته، فأحياه الله وأمره أن سبح الأعلى، فبالأعلى سواه، وعلى خلقه من فعله أعلاه، كمن بقي بظلام نفسه في مثواه فما سبح أعلى ولا أعلى داناه، ولا غير ما بنفسه من عدو له بالهلاك تولاه وتحداه؟

اللهم يا من جعلت من آياتك، خلق السماوات والأرض، وما بثثت فيهما من دابة وجمعت بقدرتك لحكمتك بينهما، جاعلا في الأرض خلافتك باصطفائك.

اللهم يا من أظهرت آياتك، في السماوات والأرض وفي أنفسنا حتى يتبين لنا أنه الحق.

اللهم يا من هديتنا وبينت لنا أنك ما خلقت السماوات والأرض، وما بينهما إلا بالحق.

اللهم يا من أظهرت حقك، لوجودك بوجودك، في السماوات والأرض، وما فيهما من مثقال حبة من خردل، فجئت بها جيئة الحق حية فاعلة، بما كشفت لنا من أسرار الذرة، وتجسد القدرة.

اللهم يا من جعلت وجهك مشهودا معروفا، أينما ولينا، لنشهدك، بلطيفك يلحق أبصارنا فنشهد بك شهودك لنفسك، فما عرفك غيرك، في لا إله إلا الله.

اللهم يا من كنت على ما أنت، فكنا لك على ما نحن، فكنت لنا قيوما علينا بقيام لنا بعباد لك.

اللهم يا من هديتنا إلى ما هديت، وأعلمتنا بما علمت، وأقمتنا فيما أقمت، وأكرمتنا بما كشفت لنا من أسرار الطبيعة، ولنا لها سخرت.

اللهم عمم هدايتك، وانشر رحمتك، وأحطنا جميعا بكرمك، واشملنا جميعا بمغفرتك، بمن جعلته إليك الوسيلة، وأظهرته منك الفضيلة، وأبعدت عن موصوفه كل رذيلة، عبدك ورسولك.

اللهم أشهدناه فينا لنا، حتى نشهدك به فينا، ونعرفك به لنا، لا إله إلا أنت سبحانك.

اللهم أنزل السكينة على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وبالرحمة فعمنا، وبالخير فاشملنا، وبالنعمة فعاملنا، وبالمغفرة فتولَنا.

سبحانك إنا كنا من الظالمين.

اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، والطف بنا فيما قضيت، بكريم لطفك، ورحيم أمرك، وعاملنا بعفوك، واجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك وفي أنفسنا.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ حديث شريف: "لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر." صحيح مسلم. كما أخرجه البخاري بلفظ: "يسب بنو آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار."

٢ سورة العصر - ١:٣

٣ حديث شريف جاء في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي باب "حقيقة النية ومعناها". وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر: سمعت ذا النون المصري يقول: "الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، قال الله عز وجل: "ليسأل الصادقين عن صدقهم."

٤ حديث شريف ذات صلة: "لو تعلمون ما أعلمُ لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا وما تلذذتم بالنساءِ على الفرش." جاء في سنن الترمذي، كما أخرجه ابن ماجه، وأحمد باختلاف يسير.

٥ سورة طه – ١٢٨ ، وسورة يس – ٣١

٦ سورة ق – ٣٦ وعدد آخر من الآيات الشريفة.

٧ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.

٨ سورة الفجر - ١:٢

٩ سورة الجمعة - ٩

١٠ سورة الأنبياء - ٢-٣

١١ سورة الحج-٤٧

١٢ عبارة شائعة على أنها حديث شريف ولكن ينكرها معظم المحدثين.

١٣ سورة آل عمران - ١٤٠

١٤ سورة الأنعام - ١٥٨

١٥ أضيفت هذه الكلمة وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

١٦ حديث شريف: "المهدِيَّ رجلٌ مِنْ ولَدِي، وجْهُهُ كالكوْكَبِ الدِّرِّيِّ". أخرجه الطبراني. عبارة "يقتفي أثري" للسيد رافع

١٧ حديث شريف رواه ابن ماجه.

١٨ سورة المعارج - ٤

١٩ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.

٢٠ سورة الأحزاب - ٤٠

٢١ سورة الأحزاب - ٦

٢٢ حديث شريف: "كما تكونوا يولَّ عليكم." رواه الديلمي والبيهقي.

٢٣ الحاقة - ٥

٢٤ سورة الزخرف - ٥٤

٢٥ سورة البقرة - ٣٠

٢٦ مقولة صوفية عامة، وغالبا ما تعود إلى مولانا جلال الدين الرومي.

٢٧ سورة النحل -٤٣

٢٨ سورة الفرقان - ٥٩

٢٩ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

٣٠ من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقَّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." صحيح ابن ماجه.

٣١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها من السياق.

٣٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.

٣٣ سورة النمل - ٨٢

٣٤ سورة الفرقان - ٤٥

٣٥ سورة الكوثر – ١, ٣

٣٦ سورة الكوثر - ٢

٣٧ سورة البقرة - ٥٤

٣٨ سورة الرعد - ١١

٣٩ سورة الإسراء - ٨١

٤٠ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩

٤١ سورة يوسف - ١٠٨

٤٢ من الحديث الشريف: "بَيْنَما أنا نائمٌ رأيتُنِي أطُوفُ بالكعبةِ، فإذا رَجلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعْرِ، بيْنَ رجُلَيْنِ يَنطُفُ رأسُهُ ماءً، فقُلتُ: مَنْ هذا؟ قالُوا: هذا ابنُ مَرْيَمَ، ثمَّ ذهبتُ ألْتَفِتُ، فإذا رجُلٌ أحمَرُ جَسيمٌ، جَعْدُ الرأسِ، أعْورُ العيْنِ، كأنَّ عيْنَهُ عِنبةٌ طافِيةٌ، قُلتُ: مَنْ هذا؟ قالُوا: الدَّجالُ، أقْربُ الناسِ بِهِ شبَهًا ابنُ قطَنٍ". أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير. وفي حديث آخر للبخاري ومسلم أيضا: "إن الله ليس بأعور".

٤٣ قول للإمام عليّ كرم الله وجهه. المحدث: السيوطي. المصدر: الدرر المنتثرة.

٤٤ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.

٤٥ حديث شريف: "إنما أنا رحمة مهداة". أخرجه ابن سعد والحكيم والحاكم.

٤٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها من السياق.

٤٧ جزء من حديث شريف: "فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

٤٨ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

٤٩ سورة الأحزاب - ٤٠

٥٠ حديث شريف: " إن لربك عليك حقا، وإن لبدنك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه.". الصحيحين البخاري ومسلم.

٥١ حديث شريف: "ما من ثلاثةٍ في قرية، ولا بَدْو لا تُقَام فيهِم الصلاةُ إلا قد استحوذَ عليهم الشيطانُ، عليكَ بالجماعةِ فإنّما يأكلُ الذئبُ من الغنمَ القاصيةَ". أخرجه أبو داود، والنسائي، وأحمد باختلاف يسير.

٥٢ من الحديث الشريف: "تكونُ دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ، مَنْ أجابَهم إليها قذفوه فيها، هم قومٌ مِنْ جِلْدَتنا، يَتكَلَّمُونَ بألسنتنا، فالزمَ جماعَةَ المسلمينَ وإمامَهم، فإنْ لم تَكُنْ جماعَةٌ ولَا إمامٌ فاعتزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّها، ولَو أنْ تَعَضَّ بأصلِ شجَرَةٍ حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنتَ كذلِكَ" المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. أخرجه البخاري بصياغة متقاربة.

٥٣ من حديث شريف: "ما من ثلاثةٍ في قريةٍ ولا بَدْو لا تُقَام فيهِم الصلاةُ إلا قد استحوذَ عليهم الشيطانُ، عليكَ بالجماعةِ فإنّما يأكلُ الذئبُ من الغنمَ القاصيةَ". أخرجه أبو داود، والنسائي، وأحمد باختلاف يسير.

٥٤ نفس الحديث في الملحوظة السابقة.

٥٥ حديث مشهور على الألسنة بصيغة: "لو حسن أحدكم ظنه في حجر لنفعه." يوصف بأنه موضوع ولا أصل له.

٥٦ حديث شريف. أخرجه البيهقي. كما أخرجه الطبراني بلفظ: "ليس عدوُّك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلته كان لك نوراً، أعدى عدوِّك نفسك التي بين جنبيك.".

٥٧ سورة الرعد - ١١

٥٨ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩

(٤)

الإنسان
أو الأمر الوسط
القِدوة والغاية كافة للناس
مدينة بيوت النور الأزلي للوجود المطلق

حديث الجمعة

١٠ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ - ٢٥ أغسطس ١٩٦٦ م

يا وجود.. يا مطلق.

بك آمنا، ولك عرفنا، وحقَكَ برسولك إلينا قَبِلنا، وله تابعنا، نفوسا مطمئنة فيه دخلنا.. عبدا وحقا لك فيه أقمنا.[١]

به فارحمنا، وقُدوة منك به فعلّمنا، ومتابعين له فيه صِلنا ولا تقطعنا، ومنه لا تخُرجنا، يوم تطهره مما فعل السفهاء منا، بما تواجد من فعلهم بنا.

فيه فاحفظنا، جنة نعمتك لنا، وأرض حضرتك بخلافتك لمعرفتنا، ومدينة مأواك برحمتك لخلاصنا، وبيت رضاك لصفوتك لحقنا، وأسماء له لأسماء لك فابعثنا وأقمنا.

لا إله غيرك، بك تواجد الإنسان ما غايرك، وبه نتواجد لا نغايره ولا نغايرك، فيقوم قيوم وجوده لقائمه بنا، بمطلق وجودك، كما يقوم قائم وجوده بنا بمطلق وجود قيومه علينا فيهما يقوم وجودنا، في مطلق وجودك لنا، فنعرج في معارجك، لذي المعارج لك، فندركنا لا نحن بقائمنا، ولا هو بمعروفه وموصوفه، ولا ربه وقيومه في قيامه وقيامته، إنما الكل أنت، لا شريك لك.

لا شريك لك بما أوجدت، لعين وجودك، في منفرد موجودك، لنا ذلك منك، لنا ذلك فينا، يوم ندخل حصن شعارك لا إله إلا الله، لإنسان حقك رسول الله، فنعرج في مطلق وجودك، بالله أكبر لنا، وبالله أكبر منا، يوم نعرف الله أكبر لإنسان عبوديتك، والله أكبر لإنسان ربوبيتك، والله أكبر

لإنسان مطلقك في وجودك، لا شريك لك، قائما على كل نفس، بما كسبت اتجاها لرحمانك، أو اتجاها لشيطانك لقائم أمرك.

استمعنا إليك تؤدبه لأدبنا، واستمعنا إليك تكرمه لإكرامنا، واستمعنا إليك تحذره لتحذيرنا، واستمعنا إليك لا تفرق بينك وبينه، لتعلمنا أن لا نفرق بيننا وبينه، واستمعنا إليك توجهه إلينا لعين قيامه، لتعلمنا كيف نتوجه إليه لعين قيامنا، وأعلمتنا مبشرا لنا كيف يتوجه هو إلينا ربا لنا، أولى بنا من أنفسنا، لنعلم كيف أن ربه متوجه إليه وملائكته، أولى به من نفسه.

جعلته الأمر الوسط، والإنسان الوسط، وجعلت به أمته الأمة الوسط، وعلمتنا وأعلمتنا به أننا رجل سَلم لرجل إلى ما شاء الله، اتجاها إلى أزل، أو اتجاها إلى أبد، في عُمد ممددة، عرضها السماوات والأرض.

بكلمات منك لك، وكلمات منه له، وكلمات منا لنا، إليك يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه، من شجرة أصلها ثابت، على أرض الحق غرستها، ومن أرض الحق أثبتها، وفي السماوات أسريتها ورفعتها، ببيوت وضعتها وبيوت رفعتها.

بيوت وضعتها، لا ينتهي لها منها وضع، ما وضعت، وبيوت رفعتها لا ينتهي لها منها رفع، ما رفعت، لبيوت حققتها، فما وضعت وما رفعت. منها رفع المرفوع، ومنها وضع الموضوع، وبها تَخلق المخلوق خَلقا وخُلُقا، وبها تحقق الحق أزلا وأبدا.

هي بيوت حضرتك، وشموس طلعتك، ووجوه إطلاقك، وإنسان مسحك، لمطلق حقك، في مطلق وجودك. الدين في معرفتهم بالدخول من أبوابهم، بالتوحد مع ظلالهم بأوادمهم، في التحاب إليهم، بالرضوان منهم، بالقيام بهم، بذلك تتواجد ظلالهم، عبادًا لك، بساحة وجود منك لك فيك.

هم حقائق تواجدهم، وهم حقية ظلالِهم، وهم أحدية عوالم وجودهم في قديم موجودهم، وفي محدث تواجدهم.

قاموا الله.. هم، وعُرِفوا الله.. هم، لأنهم هم أسماء الله، وجوها له، انقلبوا إليه، انقلبوا من وصف الخلق، إلى قائم الخالق، انقلبوا من وصف التوقيت، إلى قائم الدائم، انقلبوا من قائم المادة، إلى قيوم الروح، انقلبوا من الخضوع للشيطان، لأنفسهم إلى اسم الرحمن لهم، إلى قائم الرحمن لذواتهم، لبروز وجه الله لمعانيهم، باسم الله لقائمهم.

فتحنا، لك، فتحا مبينا، مغفور الذنب لقديمك. بماضيك بوزرك لقائم نفسك، مغفور الذنب لجديدك لقادمك بنفسك مغفور الذنب في قائم نفسك لخلقك لقائم وصفك لحاضرك، مُبشرًا، لقديمك وقادمك، ببعث الحق في موجودهما بك، للحق بمطلقه مبعوثا بك بحاضرك.

لك الخلود، بما أصبح لك من الوجود، وأنت في هذا كله، كافة للناس، وقدوة لهم به وبلسم تأسّيهم في شقائهم إليه، {ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى}[٢]، بهم شقيت، به إليهم، تذكرة لمن يخشى، وما الشقاء نريد بك، ولكن التذكرة لهم بك ما نريد، فاصبر وما صبرك إلا بالله. ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون.

بذلك كان الإنسان، هو الإنسان الوسط، له عاليه، وله سفله، وله وجوده بقائمه، فكان منه فيه، بين يدي رحمة مطلقه لحق قيامه، في قائم وجوده.

كان بعاليه، ملحقا، بإنسانية الأزل إنسانا، وكان بسفله، ملحقا، بإنسانية الأبد آدما متجددا متعددا متوحدا دائما وأبدا، لقائم الحق، بقائمه، حقا وسطا.

فهو من عاليه حق مُرسِل، إلى سفله خلقا متكاثرا بقائمه، حقا، رسولا ليبين لهم. كافةً للناس، يفنيهم عنهم، إلى عينه لوجوده، صلاةً منه لعاليه، وإحياءً لهم، بتطويرهم به، من موصوف الخلق إلى موصوف الحق، لقائم الإنسان كافة للناس، يُفنون أنفسهم إلى عينه لوجودهم به، صلاة منهم لعاليهم، وبعثا به لحق رسالتهم إليهم فيه.

فالحق في ذاته، بعاليه، وبأسفله وبوسطه، إنما هو الإنسان، والإنسان إنما هو الحق الجامع، إنه اسم الله، أينما كان، وكيفما كان، وحيثما كان، وفي أي صورة كان. الله له من ورائه بإحاطته لحقيته، والله عليه بقيوميته لرعايته، والله أمامه، لإعلامه، وتعريفه، وإرشاده وقيادته.

الله من جانبه، لا يشعر بالمغايرة له مع خلقه، ولكن الخلق، هم الذين يقدرون ويتخيلون مغايرته لهم معهم، كنودين له معية أنفسهم بما ضاق إدراكهم عنه، فما سألوا أهل الذكر فيهم، ولا تابعوا الخبير بهم لهم بينهم. وهو القائم على كل نفس. فهو ليس ما يقوم عليه. ولكن ما يقوم عليه ليس غيره.

رفضوا، حق الله يجري معهم، في أقدارهم، كما يجري معهم في وجودهم، كما يجري معهم بينهم في خلقتهم. ألم ترَ أنا نأتي الأرض؟ استوى إلى الأرض، الكل له وجوه، والكل به قائم، حياة جمعهم، وانتظام اجتماعهم، يوم يتلاقون عليه، روح قلوبهم. يعرفونه يوم يتجهون إليه، نور عقولهم. ويلاقونه يوم يتفكرون فيه جذوة نفوسهم، يكشفون معيته يوم يذكرونه رغبا ورهبا، صلاح جوارحهم لوظائفها به

وبقدرته، يوم يعاملونه بها، فيتقونه لها ويستقيمونه عليها، فيبصرون ويسمعون ويلمسون، وهو ما هم منه في حاضرهم محرومون وعنه معزولون.

يتساءلون أيان يوم القيامة! وهل هم قائمون إلا في قيامِه؟ وهل كانت القيامة إلا قيامَه؟ ومتى غاب هو عن قيامه؟ ومتى قصَّر بقيومه على قائمه؟ وما نرُسل بالآيات إلا تخويفا، ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم.

أنتم تعذبون أنفسكم، بشرككم، إن كانت هذه إرادتكم فهي ليست إرادته بكم فموتوا بغيظكم. (وما عذابي سوى حجابي وما نعيمي سوى وصالي، الكل عندي جنة خلد، ما دمت في حضرة الرجال)[٣].

سعادتكم أن تحيوا بربكم، وأن لا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دونه، فما تكون الربوبية لكم؟ إنها قدوتكم، إنها أبوتكم، إنها إمامتكم، إنها نبوتكم، إنها مُثلكم، إنها الأسماء الحسنى من بينكم، إنها عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، إنها رجل سَلم لرجل، إنها نفوس مطمئنة، تدخل في عباد الله، معروف وجودها، لمعروف وجودهم، لا أوهام، لا أحلام، لا كلام، ولكن حق وقيام، سَلْم وسلام.

ادخلوا في السلم كافة، فأين أهل السلام، يدخل معهم الناس في سلام، ليدخلوا مع الله في سلام، يوم يدخلون في أربابهم في سلام، أربابا من أنفسهم، الله لهم قبل أن يكون لأربابهم؟ هم دور السلام لأهل السلام.

إن إنسان الربوبية، إن الربانيين، لا يستعلون ولا يستكبرون ولكنهم عبادًا للرحمن، في خشوع على الأرض يمشون، وفي تواضع مع الناس يتعاملون، إذا أعليتهم، على رؤوسهم أعلوك، ما تحت أقدامهم وضعوك، ولكنهم وضعوا أنفسهم عند قدميك، ورفعوك إلى العلي العظيم لفوقهم، ووضعوا أنفسهم من دونك، وهم وجوه العلي العظيم.

ولكنهم بمعرفتهم أيمنا ولوا، فلا يرون إلا وجه العلي العظيم، فهم يرون فيك وجه العلي العظيم. لا يستكبرون عليه أو عليكم له وجوه، ولكن الناس بجهلهم عليهم يستكبرون، وهم على الناس لا يطغون، وهم على الطغيان فضلا عن العدل قادرون، ولكنهم لا يطغون، وأيضا لا يعدلون، ولكنهم برحمة الله يتعاملون، فيرحمون، ويتواضعون، ويغفرون، وفي رحمة الله عن نصرة أنفسهم يتعثرون، فبقدراتهم لا يظهرون، لا بل ولها لا يعملون، سعة رجاء برحمته ينتظرون.

إن الناس، باستكبارهم عليهم، على الله يستكبرون، وللربوبية في شهودهم يجحدون، وعنها، يولون، وأقفيتهم لها يعطون، ولها يظاهرون، وهي من وراء ظهورهم بإحاطتها ترعى وتغفر وتقوم.

قام رسول الله على أرضكم، عنوان قيامها، وحق وجودها، ووجه طلعتها، وشمس إشراقها، ونور رحمتها، وأرض تواضعها، وساحة كونها، وباب مطلقها، فماذا أدرك الناس؟ وماذا عرف الناس؟ ولسان حالهم بينهم، يقول لهم (أبي تهزأون؟ وعلي تجترئون، لأتيحن لكم فتنة، تصير الحليم فيكم غضبانا)[٤].

ويقول بشريعته إني بلسان رحمته، وإني وأنا ترجمان رحمته وإحسانه، لأحذركم من غضب الحليم، فإن غضبة الحليم هي غضبة الله الذي لا يغضب على ما أعرفه، وضربة الحليم، هي بطشة الله الذي لا يبطش، كما أني لكم أصفه، هي بطشته يوم يبطش البطشة الكبرى بإنسان له.

وما أنا - وقد جعلها لي - بفاعلها ولن أفعلها، بل أنا برحماني ورحيمي خصيمها لنفسي تقومها، ولكني بالله لنفسي قائمها، ومقيمها، وأنا بالله لا أملك لي إرادة إلا ما أراد، ولا أملك لي مشيئة إلا ما شاء، ولا أملك لنفسي ضُرًا ولا نفعًا، ولا حياةً ولا نُشورًا، إلا ما أراد بي، أو أراد لي.

إنني في ذلك، قائم الحق، وأنا في قائم الحق لقائمه وقيومه بي لا قيام لي. (لو سرقت فاطمة ابنة محمد لقطع محمد يدها)[٥]، وهو يبكي ويشعر أنه يقطع يده. ولكنه لا يخرج عن قضاء الله به، ولا عن قضاء الله فيه، وها أنا راض لقضائه بكم، بقضائه لكم ومعكم، ما شكت منكم مؤمن شوكة، إلا وجدت ألمها عندي.

فاحرصوا على أنفسكم، (إن لبدنك عليك حق)[٦]، حرصًا عليَّ، وحفظا لي عن إيلامي، إن كنتم حقا تحبونني كما أحبكم، وإن كنتم حقا ترضونني كما أني من الله بكم رضيت، فلا تجعلوني بشقائكم الشقي، وارحموني أنتم، لأكون برحمتكم المرحوم، ولأكون بسعادتكم السعيد.

أقربكم مني منازل في القيامة، يوم يقيمني الله بقائمي على ما أنا قائم، مسفرا بي لمعاني وجهه وحقه، يوم يخلق له من موجودي لجماع خلقه صورة، يتجلى بها على الخلق، وهو ما بشرني به لكم، يوم قال لي {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}[٧]، فإني حي في قبري، ومعكم لمنتظرها، وإني لصابر لكم عليكم لكسبها، وما أقومها إلا لكم، وما أظهر بوحدانيتي وأحديتي به إلا معكم، (أول من تنشق عنه الأرض أنا)[٨] عليّ تجتمعون ومعي تتلاقون أول العابدين. (أقربكم مني منازل في القيامة أحاسنكم أخلاقا)[٩] يوم أقوم بينكم بحقيقتي في أحديتي بكم، وأحديتي معكم، وأحديتكم بي، وأحديتكم معي، كلما أنا بالحق بينكم قمت لأبين لكم، أو لأفصل بينكم. (أقربكم مني منازل في القيامة [يومئذ] أحاسنكم أخلاقا، الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون)[١٠].

قلوب متآلفة، وعقول متواصية، ونفوس متزكية، وهياكل متراصة، لبيوت مقامة هي لها لبنات، هي بيوت سَلامه، هي غرف قبلته، تتراءى لأهل الجنة، من جمعها وعملها لمعنى الوجه لربها، كما تتراءى

النجوم لأهل الأرض قبلة مراده منها، وحقا قائما عليها، وجمالا وجلالا متجليا لها في لا إله إلا الله والله أكبر، شهادة الحق بمحمد رسول الله، لقائمه بأمته، لقيومه بربه قياما في الله بواسعه ومطلقه، فهو قائم الحق لموصوف عبده، علما على قائم الحق لقيوم ربه. هو قائم عبد ورب بحقه لوحدانيته مدركة لوجوده بموجوده في قائم الوجود بمطلقه وتنزيهه.

هذا دين الفطرة.. هذا دين الإسلام.. هذا دين السلام.. هذا هو الدين القيم، لا تتركه، ولا تفرط فيه، أوغل فيه برفق، ما ظهر لك منه كمال، ففيه من الله لك أكمل، وما ظهر لك منه جمال، فعند الله لك به ما هو أجمل، وما ظهر لك منه ما تخشى وترهب، فعند الله فيه ما هو أرهب، وما هو أخطر.

إنه الطريق.. إنه الحياة.. إنه المعراج إلى ما يستهويك، فتنة لك {زُين للناس حب الشهوات}[11] وإلى ما يرضيك إسعادا لك، {أليس الله بكاف عبده}[12]. إنه الطريق إلى الجنة.. وإنه الطريق إلى النار، ولكن هل يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة؟ إنه الطريق إلى إنسانك من النار {وإن منكم إلا واردها}[13]، أو إلى إنسانك من الجنة (خلقتك لنفسي)[14]، وأنت بإنسانك تشقى.. وأنت بإنسانك تسعد، {من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه}[15] فيسعد، {ومن ضل فإنما يضل عليها}[16] فيشقى.

وما توفيقي يوم أوفق إلا بالله لي يوم أكسبه وجها له واسما له، وما أبرئ نفسي، إن النفس لأمارة بالسوء، يوم أقع في السوء، يوم تزل بي القدم، يوم يحل بي الندم، وإنه ليحل يوم تحس النفس بالفرقة والألم مختبرة مع رب الفلق، من شر ما خلق، ومن شر غاسق إذا وقب، ومن شر النفاثات في العقد، ومن شر حاسد إذا حسد.

برزت الجحيم للنفس في أعماقها، غاوية يوم تكشف، كما أزلفت الجنة لأهلها من المتقين، بخروج العقول من حيرتها، يوم تعرف. فما افترق أهل الجنة عن أهل النار، في ساحة وجود، ولا في أرض قيام، ولا في عالم تواجد، ما كان هناك للجنة والنار معنى ووجودا في حياة الإنسان.

ها أنتم الآن تمشون على الأرض، منكم من هو من أهل الجنة، عالما بذلك، عارفا به، ومنكم من هو من أهل النار، عارفا بذلك، غير جاهل به. ومنكم، من تجاوز الأمرين، وعلا فوق السماءين، ونزل تحت الأراضين.

منكم من علا فوق السماوات، والخلائق، وإن كانوا الملايين والبلايين، ومنكم من انطلق فتجاوز ذلك، وتواضع فتجاوز السفل من الأراضين.. منكم من سما في نفسه بنفسه، لم يشغله غير حقه، وغير أمره، تعبيدا لها لمطلق موجدها، منه تواجدت وإليه تعود معية وجودها وتعالي تواجدها، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ومنكم من لم يدخل الحياة بعد، مزورا عن معية الحق له، وقيومه عليه، وقائمه به، منشغلا بجلباب مادته لوهم موجوده، جاهلا أو متجاهلا لموجده، رائيا لظاهر من القيام عين ما بلغ بما به بشر ومنه حذر، لم يدركه تعبيرا، فلم ينشده تقديرا، لفعله وكسبه.

بهذا كله جاء خادم الناس، بهذا كله جاء سيد الناس، بهذا كله جاء رب الناس، بهذا كله جاء عبد الناس، بهذا كله جاء عبد الله، بهذا كله جاء وجه الله، بهذا كله عمل من كان يدا لله، وسعى من كان قدما لله، فكان باخعا نفسه على آثارهم، نكدين كنودين، فكان وما زال إماما لحقائق الله إليهم ساعيا بها متلاحقين، ملاحقين، فكان خلف الفارين ملاحقا برحمته من رحمته، وكان وجه الحق للمقبلين بطلعته، بهجة الله، رسول الله، عبد الله، الحق من الله، وجه الله، اسم الله، موجود الوجود، والشاهد والمشهود، والعروة الوثقى بين العابد والمعبود، جبريل الطريق، روح القدس، إمام الناس، نبي الله، رسول الله، باب الله، ساحة الله، حق الله، رحمة الله.

فبماذا عاملناه؟ وبماذا تعاملناه في معاملتنا بعضنا البعض فيه، أمة له؟ ليس فينا من هو خال منه، ليس بيننا من هو قائم بغيره، ضل أو اهتدى، يا أيها الذين آمنوا بالله لهم، آمنوا برسولي لكم، فما كان لكم من الله إلا هو.

فما كان الحق بكم من الله إلا هو، فما كان الحق غيره، يوم أنه لكم به إليكم كافة، ما قدرتم الله حق قدره حتى تقدروه، وما قدرتموه حق قدره حتى تقدروا الله حق قدره، فلا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله لكم جميعا، هو به إليكم الرب والمربوب فيكم، هو به فيكم العبد والمعبود لكم، هو به معرفتكم عنكم كتابا لكم، لمعنى المخلوق والخالق، المعبود والعابد، الموجود والمتواجد لموجودكم وتواجدكم، فهو اسم الله، لا إله إلا أنا، هو لمن أراد أن يكون لله اسما ووجها وأنًا.

أُمِرنا منه أمر الله إلينا أن اعبدني وأقم الصلاة لذكري، {لن تراني}[١٧]، إلا يوم تُصعَق نفسُك، ويقتل مبناك وحسك، وتنساك من أنت، وتذكرك من أنا، فما تعارفت لمغاير لي، وما تعارفت إلا لنفسي، وما خلقتك إلا لها.

فيوم تعرف ذلك فتطلبه، فيتحقق لك، تعرفني يوم لا شريك لك لوجودك لأنك أني، ولا شريك لي منك وجدتني يوم تواجدتك، فتواجدتني ربا وتواجدتك عبدا، فلا تمحني لتبقى، ولكن امحي لتبقى، وحدني لعيني، ولا تخضعني لعينك، فما خضعت إلا لنفسي، يوم كتبت على نفسي الرحمة بك.

لو أني أؤاخذ الناس بظلمهم ما تركت على ظهرها من دابة، {يا عبادي الذين أسرفوا، على أنفسهم، لا تقنطوا من رحمة الله}[١٨]، إني أغفر الذنوب جميعا. ولكني لا أغفر أن ترى لك وجودا مع وجودي،

ولا شهودا غير شهودي، لا إله إلا أنا لي المـُثل العليا في السماوات والأرض. هي صبغتي لفطرتي فما أنا في ظهوري إلا عبدي، من آذاني عبدا توليته، فليأذن مني بحرب.

إن عبادي يمشون على الأرض هونا، وما هم بمعزل عني ولكنهم روح مني، تجسد لوجوه ذاتي، تقوم رسولا من أنفسكم، وروحا متجسدا لقدوتكم بخلقي. بها أتواجد بينكم ذاتا لذات، ووجها لوجه، حتى نتلاقى فنتعارف ونتآلف، فنتحد ونتوحد فتشهدوني وأشهدكم، وتعرفوني وأعرفكم.

قل جاء الحق، قل زهق الباطل، بيّن لهم، واصبر معهم، وخاطب الناس على قدر عقولهم، {أرأيت الذي يكذب بالدين}[١٩]، أرأيت كيف جعلتك الدين؟ أرأيت كيف أظهرتك على الدين كله، وجعلتك الدين كله، وجعلت الكفر فيمن يَدُعُّك، والجهل فيمن لا يتابعك، تمام كلمتي لكلماتي، وإنسان حضرتي لإنسانية حضراتي؟

جعلت القطيعة معك، قطيعة عني، والبعد عنك، بعدا عني، والمظاهرة لك، مظاهرة لي، لا أقبل صلاة ممن لا يصلي إليك، ويجعل صلاته عليك. ويل للمصلين، ويل للمرائين، ويل للمنافقين، ويل للكاذبين، الذين هم، عن معنى الصِلة معك صِلة بي، وصلاة لهم، ساهون.

فهم يراؤون، بظاهر أفعال، لا جوهر لها، ولا نية بالصِلة معي بها، ولا قبلة لهم تقترن بأدائها. {فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يراؤون. ويمنعون الماعون}[٢٠]، يمنعون مواعين أنفسهم، من الامتلاء بماء الحياة تفيض به أحواضك. ولا يشعلون مصابيح قلوبهم، من مشاعل الحياة بظلالك، بكوثرك بينهم لقائم إهابك، ولا يطلبون الدفء من جذوة النار المقدسة مشعلة حول نصب دعوتك.

إن قاربوك وطافوك فقد أدركوا الخلاص ومشقة التخلص من ظلام أنفسهم. فبورك من في النار، وبورك من حولها، فما كنت إلا نار الله الموقدة، يوم يدخلونها، بنفوسهم لتشعل، وبهياكلهم لتصقل، فتصبح زجاجة مصباح يوقد ويضيء، في مشكاة الصدر ومشكاة الإناء نور على نور، أما هؤلاء الذين يراؤون، ويمنعون الماعون، فويل لهم، مما كسبت أيديهم، وويل لهم مما يكتبون.

هيأ الله لهم الأسباب ليكونوا ربانيين، بما يُعلمون وبما يدرسون، فبدلوا، عوامل الحياة إلى عوامل العدم، فمسخناهم على مكانتهم، فإذا هم المبلسون، وإذا هم جند الشيطان يرجمون، وكان لهم أن يكونوا الشيطان الكريم، يوم أنهم بآدم لهم من بينهم يؤمنون، ولأوادمهم لأنفسهم يصقلون، ولأديمهم يحرقون، ومصباح قلوبهم يشعلون، بهذا الدين القيم المتين، الذين هم فيه يفرطون، وعن النبأ العظيم يغفلون، وله لا يستقبلون، وإليه لا يتجهون، وبه أنفسهم له قدوة لهم لا يعملون، ولرحمة الله لأنفسهم لا يعرضون،

وهو الرحمة المهداة، على ما بلغوا ويرددون لو يعلمون. {كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون}[٢١]، فما كانت رسالة الإسلام قولا يقال، بل كانت في دوام فعلا يؤتى تعبر عنه الطبيعة بالأحداث يصفها القول بالحكمة والبيان.

يا وجود.. يا مطلق..

بك آمنا، وإليك رجعنا، خلف حقك، وعبدك، ووجهك، ويد نجدتك، وقَدم سعيك، وحوض مائك، ونور وجودك، لمعاني جودك.

اللهم به فأوجدنا.. اللهم باسمه فجددنا.. اللهم بعَلَمه فألحقنا.. اللهم بعلمه فعلمنا.. اللهم بحقه فحققنا.. اللهم بموجوده فتواجدنا.. اللهم صلِّ منا عليه، كما صليت عليه من آبائنا وأجدادنا.

اللهم وقد جمعت القديم عليه، والقادم إليه.. اللهم بقديمنا عليه فاجمعنا، وبقادمنا إليه فوجهنا، وفي قائمه بك فأقمنا، حتى نشهدك لا إله إلا الله، ونعرفنا بك الله أكبر، في معروف وجودك، لمطلق تواجدك، لا شريك لك، ولا معبود سواك، ولا حق إلا إياك.

إذا ذكرناك، جهلنا الخلق لنا، وذكرنا الحق لك، فقمنا لا إله إلا الله، وعرفنانا محمدا رسول الله، محمدًا ما جحدنا، وواحديتك ما أنكرنا، وقائمنا بكما فيكما عرفنا أنا منكما جئنا، وإليكما صرنا، وبقائمكما نقوم، إيمانا بالله ورسوله لنا، كلمات لهما، وكلمات منهما، لموجوديهما في وجود لهما. هذه هي لا إله إلا الله لمحمد رسول الله لنا.

نتواصى بالحق، ونؤمن بضرورة الصبر، ونعرف حتمية الأمر. نعرف، ما يكون الحل لشقائنا، ونعرف ما تكون الطريق لسعادتنا، ونعرف حتمية الإيمان لذهاب الرجس عنا، وقيام الأمر بنا، نعرف أنه توحيدك، لا تعديدك، وأنه لقاؤك، لا قطيعتنا عنك، من فعلنا، وأنه قيامك وبعثك بنا، إيمانا بالإنسان، ومعرفة بالإنسان، وإحسانا للإنسان، وتقويما للإنسان، باستقبال الرحمن، في قبول عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا، يفيضون بالإحسان، ويدركون بالوجدان.

يعرفون أن الدنيا لنا جميعا، وأن الآخرة لنا جميعا، وأن السماوات والأرض لنا جميعا، وأننا جميعا في معانينا، أسمى من السماوات والأرض، وأرحب من السماوات والأرض، وأقدر من السماوات والأرض، وأوعى بالله من السماوات والأرض، وألصق بالله من السماوات والأرض، وأحيا بالله من السماوات والأرض. إننا أسماء الله.. إننا وجوه الله.. إننا مواعين الله.. إننا نصب الله.. إننا غرف الله.. إننا بيوت الله.. إننا أكوان الله، وعوالم الله.. قائم أنفسنا، وقيوم عقولنا، ووحي قلوبنا، بلا إله إلا الله، وبشهودنا محمدا رسول الله.

اللهم باللهم، كن لنا بمن كنته اللهم، جماع حقائقك لإنسان حقك، واجعلنا به اللهم، فزلزل أراضينا، وأخرج منها معانينا، وأحيِ وجودنا، لقائم موجودنا، واكشف حجاب الغفلة عنا، حتى نرى الحق فينا، والحق بنا، والحق منا، بلا إله إلا الله، وبقائمنا لها محمدا رسول الله.

اللهم زحزحنا عن النار لنفوسنا، وأدخلنا الجنة لعقولنا، واجعل أيادينا بك قادرة، ونفوسنا جنة قائمة، قطوفها دانية. واجعل أقدامنا بك سارية، حتى نمشي على الهواء، ولا نكتفي بالمشي على الماء، وإن كنا بما أدبتنا نمشي على الأرض هونا، وإذا خاطبنا الجاهلون قلنا سلاما. وبما أعطيتنا نمشي فوق السماء.

تحديت الكافرين والغافلين، يوم قلت لهم إنكم لن تخرقوا الأرض، ولن تبلغوا الجبال طولا، وما كنا معهم في ذلك، ولا كنا معك كذلك بما أكرمتنا وهديتنا، فقد علمتنا كيف نخرق الأرض، وكيف نبلغ الجبال طولا.

لا.. بل علمتنا كيف نمشي على الهواء، كما نمشي على الأرض، ومشيت بنا على الماء، كما مشيت بنا على الهواء، فمشينا فوق سطح السماوات أرضا لنا، ندب عليها بأقدامنا، يوم عرفناك في أنفسنا، نشهد بأناك لنا أنه لا إله إلا أنا، يوم نقول لا إله إلا أنت، فنجأر ونعلن أنه لا إله إلا الله، تحدثا بنعمتك لقيامك، وإخفاءً لسرك بنا، وإعلاءً لأمرك بالناس، في إخفائنا فيك، حتى لا نظهر بما أنَّا، حتى يطمعوا فيك لهم بما أنت.

قمنا للناس ذكرًا مُحدثا، فكنا فيهم لهم الذكر القديم، يتجدد في محدث وجودهم، قديم وجودك لموجودهم، بهم تجليت قديما، وأعددتهم لتتجلى بهم قادما، وأخفيت عليهم تجليك قائما، (إن الله اختفى في شدة ظهوره)[٢٢].

إن الذي قال أينما تولوا فثم وجه الله، لا يليق أن يكون غيبا. كيف يكون غيبا من يُشهد في كل مشهود، ومن هو موجود في كل متواجد! كيف يكون غيبا من هو الوجود، {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق}[٢٣]، فيبرزوا جميعا لله لا شريك له، طائعهم وعاصيهم، ممسوحهم وممسوخهم. إن الله من وراء الشيطان، كريما ورجيما، كما هو من وراء الرحمن، قائما ومقيما. ما زال القائم على كل نفس بعيدا عما قام عليه من كل نفس.

إنه لا إله إلا الله، إنه لا إله إلا هو، إنه لا موجود غيره، إنه الوجود على ما هو الوجود، الإنسان فيه، اسمه وعلمه، وجهه وحقه، خلقه وخالقه، موجوده وموجِده.

ما ظهر الله في شيء، مثل ظهوره في الإنسان، فهل عرفنا إنسان القرآن، لله؟ هل عرفنا إنسان القرآن، لنا؟ هل عرفنا شرف الإنسان؟ هل عرفنا خسارة الإنسان يوم يفقد معنى الإنسان له؟

جاءنا من كان إنسانًا للعيان، وآدما ببدن بين الأبدان، ووجها للرحمن، لوجوه للرحمن، هل عرفناه اسما لله إلينا، بين أسماء الله لنا؟

نِعم الاسم لله المؤمن مرآة المؤمن، وبئس الاسم للإنسان الفسوق بعد الإيمان، هو الذي أمات وأحيا، هو الذي أضل وهدى، وما ظهر مضلا إلا بالضالين، المضلين، وما ظهر هاديا إلا بالهادين والمهتدين، لا إله غيره، ولا معبود سواه.

كيف تقولون إنكم أمة التوحيد ولا تجمعون أنفسكم في مباني هياكلكم، باتحاد قلوبكم حول قلب منكم لقبلتكم، فتقومون جسدا واحدا لذات جمعكم للأعلى فتجمعون شتات إنسان الله لكم، وتجددون عصر الرسول بكم، {محمد رسول الله والذين معه}[٢٤]، فتتجددون أمة له، {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}[٢٥]، وتؤمن بالله.

هذا دينكم.. فهل أنتم حقا في دينكم؟

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

نسأل الله بمحمد، ونسأل محمدا بالله، أن يقيم الله علينا من يخدمونا، وأن يبعد عنا من يفتنونا، وأن يكشف من رحمته عمن يرحمونا، وعن المهتدين والهادين حتى يهدونا، وعنا لا يحتجبون، فللفتنة يتركونا، ومن غمرة الغفلة لا يخلصونا.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ تشكيل بعض الكلمات تم وفقا للنسخة المراجعة من السيد علي رافع.

٢ سورة طه -٢

٣ من الأناشيد الصوفية.

٤ حديث شريف ذات صلة: "يخرج في آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذئاب; يقول الله عز وجل: أبي يغترون؟ أم علي يجترئون؟ فبي حلفت، لأبعثن على أولئك فتنة، تدع الحليم حيرانا" رواه الترمذي. ويوصف بأنه ضعيف.

٥ من حديث شريف قالَ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّما أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عليه الحَدَّ، وايْمُ اللَّهِ لو أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا". صحيح البخاري.

٦ حديث شريف: "إن لربك عليك حقا، وإن لبدنك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، فأعطِ كل ذي حق حقه." أخرجه البخاري.

٧ سورة الإسراء - ٧٩

٨ من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." صحيح ابن ماجه.

٩ من الحديث الشريف: "إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة". أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.

١٠ نفس الحديث في الملحوظة السابقة.

١١ سورة آل عمران - ١٤

١٢ سورة الزمر - ٣٦

١٣ سورة مريم - ٧١

١٤ جزء من حديث قدسي جاء في بعض الآثار منه "ابن آدم، خلقتك لنفسي فلا تلعب، وتكلفت برزقك فلا تتعب.." ذكره المناوي في فيض القدير قائلا إنه لم يعثر على عزوه للنبي صلى الله عليه وسلم فلعله مما روي عن أهل الكتاب.

١٥ سورة الإسراء - ١٥

١٦ سورة الإسراء - ١٥

١٧ سورة الأعراف - ١٤٣

١٨ سورة الزمر - ٥٣

١٩ سورة الماعون - ١

٢٠ سورة الماعون - ٤:٧

٢١ سورة الصف - ٣

٢٢ معنى يرد في الأدب الصوفي ويوافق اما جاء من خطبة للإمام عليّ كرم الله وجهه: "فسبحان من احتجب بإشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره". بحار الأنوار. العلامة المجلسي. المكتبة الشيعية.

٢٣ سورة فصلت - ٥٣

٢٤ سورة الفتح - ٢٩

٢٥ سورة آل عمران - ١٠٤

(٥)

القيامة
ويوم القيامة
في قيامات وأيام الحياة

حديث الجمعة

١٧ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ - ٢ سبتمبر ١٩٦٦ م

اللهم يا من هو بنا قائم.. وعلينا قائم.. ومعنا قائم.. قيوم قائمنا، وقيوم بنا، على قائمه منا، لا إله غيره، ولا معبود سواه.

اللهم يا من هو لنا، ومنا وعلينا، لمعيتنا الإله والغيب، وفينا لنا وبنا وعلينا الراعي والرب، وقائمنا لقيومنا الحق والعبد، لا شريك له.. لا شريك له منا، ولا شريك له مما بنا، ولا شريك له ممن هو معنا، ولا شريك له ممن هو علينا.. كيف وهو لا إله إلا هو لا شريك له!

اللهم يا من كنت لنا واحديتنا، بواحدية أشتاتنا، كما كنت لنا أحديتنا، في جماع شَتَاتنا.

اللهم يا من كنت لنا ما كنا، وما عنك عَلِمنا، وما عنا نكون، وما عنا نعلم.

اللهم يا من كنت لنا معلومَنا، وعَلَمنا، وأَعلاَمَنا، جامع شتاتنا، بأحدية أشتاتنا، إنسانية وجودك، وإنسان موجودك. لا إله غيرك، ولا معبود سواك.

اللهم يا من جعلت قيامَتك في قيامنا، وقيامنا في قيامك، تواجدتنا لنفسك، لوصف خلقك، وبَعثَنَا بحقك، لوصف أمرِك، وعَلَّمتنا فأعلمتنا فعَلِمْنا، كتاب وجودك لوجودنا لوجود رحمتك، في رحمة جودك، في رضوانك لنا، ورضواننا لك، جعلتنا فيك، موصوف العبد لك، ووصف الرب منك، وأزواجا خلقتنا، وعبادا وأربابا مزجتنا، وإليك وجهتنا، قديما لا بدء لك، وباقيا لا انقضاء لك، وشاملا لا شريك لك، يوم أدخلتنا حصن لا إله إلا الله، وبعثتنا فيها، لشهادتنا لنا محمدا رسول الله.

لا زال الناس على ما كانوا، وسيبقى كثيرهم على ما هم، يجادلون في الله بغير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير.. يؤمهم جهلاؤهم، ويحكمهم طغاتهم وسفهاؤهم ويزل بهم أئمتهم في عثرات التعديد، وفي أوحال التوحيد، لا يعرفون قديما، ولا يجعلون من قديمٍ جديدا.

يغمضون أعينهم عما يرون.. ويغلقون آذانهم عما يسمعون.. يتخبطون في سيرهم، ويدورون حول أنفسِهم في مدارهم، فلا أرضًا يقطعون، ولا ظهرا يُبقون، ولا بابا أمامَهم يطرقون، ولا سبيلا لهم تُفتح يَسلكون، ولكنهم دوما وفي دوام أنفسهم يعمهون.

إلى الله لا ينسبون، وربَهم فيها لا يشهدون، ومعيته منه معهم لا يتابعون، وله يتجاهلون، أو عنه يجهلون، وهو داعيهم بأئمتهم يوم يدعون، ومقيمهم بأئمتهم يوم يبعثون، ظلالًا للحق بهم يقومون، ووجوها للحق يقومون، وللحق في أنفسهم يَشْهَدون إذا هم إليه فيهم يرجعون، فيروهم بكشف أغطيتهم وجوها ناضرة، لربها، مذكورًا في النفس، ناظرة، لا ترهقها قترة، ولا تشوبها غبرة، أو يروهم ظلالا وجندا للشيطان يجري منهم مجرى الدم، به على مكانتهم يمسخون، يقدمهم فيوردهم النار، بئس الورد المورود، وجوه عليها غبرة ترهقها قترة.

يجادلون في القيامة.. ويجادلون في يوم القيامة، ولا يعرفون ما القيامة.. ومن الذي يقوم.. ومن هو المقيم.. يخلطون بين القيامة ويوم القيامة.. لا يفرقون، بين يوم القيامة، فيه يتقلبون، وبقائمه بهم ينامون ويستيقظون، بين ليل ونهار، فيه يتواجدون، وبهم يتواجد بالناس نيام، لمعاني دنياهم، في تعدد دناهم. والناس، قيام، في انتباهٍ بسلام، يذكرون من كان لهم السلام، ومن كان لهم القيام، ومن لم يفارقهم في نيام، أو في يقظة بخصام، لنصب بمراد لتمام، في سعي مرضي لغاية بسلام.

إن الناس، تقطعهم أيام القيامة، بأيامهم، ويقطعون أيام القيامة بأمرهم، بحقهم، بيقظة قلوبهم، بقطعهم لأحوال النبوة بعقولهم ونفوسهم، (نحن معاشر الأنبياء، تنام عيوننا، وقلوبنا لا تنام)[1]، ما أُعطيناه، فهو للناس.. (علماء أُمتي كأنبياء بني إسرائيل)[2].. (وما أُعطيته فلأُمتي)[3].. (أنا رحمة مهداة)[4]. إن الله لا تأخذه سنة ولا نوم، والناس ليسوا كذلك، ولا يكونون كذلك إلا يوم يكونوا أسماءً لله، لا يرتابون في إيمانهم بالله ورسوله لهم.

اشهدوكم محمدا رسول الله، فيه تُقيمون، وبه تقومون، يوم أنكم به حقا من الله إليكم تؤمنون، ونور الله معه في قلوبكم تستقبلون، كوثرا لا يغيب، بظلال لا تحتجب، لحق كان قبل أنه بينكم يكون، كلما كان وكلما يكون، أولية عابدين متجددة، بأوليتها متعددة، قائمة في قائمها لكم، لقائمها بكم، كوثر وجودها، لكوثر تواجدكم...

إنسان الله وبحار الحياة، أنهار الرحمة، سحب النجدة.. عيون الفطرة، قائم الحق بقائم الإنسان، لقيام إنسانكم، قيوم الرحمة عليكم. حي في قبره بقلوبكم، يوم تُودعوه، تنشق عنه قلوبكم يوم تبعثوه، (تنشق عني الأرض)[٥].. وأي أرض هي التي عنه تنشق؟ إنما هي أرض القلوب يوم تحيا، فتشهدها محمدًا رسولَ الله، في قائم هيكلها لعالم وجودها، بلا إله إلا الله، رجل سلم لرجل، خلقناكم أزواجا.. صل لربك وانحر.. رجل لله بقلب، في رجل لله بهيكل.. رجل سلم لرجل، في ذي المعارج، ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات.. {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[٦].

إلى ذات إنسانه.. إلى مسيح مطلقه.. إلى قدس أقداسه، الكل إليه، والكل به يبعث، يوم يتواجد منه، متجددا له، يتجدد فيه.. رجل لرجل، رجل سلم لرجل.. ابن لأب، وأب لابن.. الأب في بنيه، والابن في آبائه لأبيه، بفطرة الآباء لأبنائهم، والأبناء لآبائهم، لا بداية للآباء، ولا انقضاء للأبناء، في دورة الحياة، في حلقات الحياة، حلقاتٍ مفرغة، لا أول ولا آخر لها.

فما تكون القيامة؟ إن أول القيامة، هي قيامة النفس بأولية مبعوثة بالنفس اللوامة {لا أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة}[٧].

أما يوم القيامة، فهو الإنسان كعصر، يوم يبدأ بأن تبعث النفس لوامة، وينتهي ببعثها بالحق، قائمة بالله قوَّامة، عالمةً ما قدمت، وعالمة ما أخرت، وعالمة ما قامت، فأيقظت بما علمت عن قديم، وحذرت ما فاتها، في قائم، وبشرت بما أخرت لقادم، مما تنتظر بسعي في قائم بعثًا بكمالٍ عرفته في قديم عنه تخلفت في قائم، وله أمّلت وعملت أن يقوم في قادم، مُبشِرة منذرة، أمرا وسطًا في قائم، بين يدي رحمته بقديم وقادم، معلمةً هادية، مُقَوّمة للخير ساعية. {ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين}[٨].

فالإنسان للإنسان هو حوض الحياة.. وشمس الخلاص والنجاة. ونفسه بمعناها لأحدها، بشتات، هي القيامة ببدايتها، لقيامتها قوامة، من قديمها لوامة، وهو ما بين الزمنين للحالين، يوم القيامة. فيومُ القيامة يومُ الإنسان من خلقيته إلى حقيته، والقيامة.. الإنسان لها القائم والعنوان.

يتحدثون عن يوم القيامة.. ويهرفون، بما لا يعرفون عن يوم القيامة، ولا يشهدون لقائمهم قيامة. تردد صحائفهم، أنهم ينتظرون القيامة، أو أن يوم القيامة تحدد في السادس والعشرين بعد الألفين من مولد عيسى، فيرجفون، ويهزلون، ومن قبل فعلوا، وها هم يفعلون، وعلى فعلهم يَبْقُون، ما داموا في الجاهلين، عن السِلم والسلام راغبين، ولكل حق يُبعَث بينهم يخاصمون، ولصوت الله، لا آذانهم، ولا آذان قلوبهم، ولا آذان عقولهم يفتحون.

{إن يوم الفصل كان ميقاتا، للطاغين مآبا، لابثين فيه أحقابا}[٩].. {إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون}[١٠].. {يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون}[١١].. {تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة}[١٢] مما تعدون.

{قل إن كان للرحمن ولد، فأنا، أول العابدين}[١٣].. (أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر)[١٤]. لقد كان محمد أولية ليوم من أيام الدين، {ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم}[١٥].. {اصبر وما صبرك إلا بالله}[١٦].. {إن يوم الفصل كان ميقاتا، للطاغين مآبا، لابثين فيه أحقابا}[١٧]. إن يوم القيامة، إن أيام القيامة، إن أيام الله، تبدأ ببعث النفس لوامة، وتُغْلَق، ببعثها بقيام بكرامة قوامة.

{فَانتظروا إنا معكم منتظرون}[١٨]، نحن في يوم القيامة، نقطعه ويقطعنا، ويُغَلَّق، كيوم للدين، يوم تعرفون لمن عقبى الدار، يوم تعرفون من يرث هذه الدار، من عباد الله، أهي للصالحين أم هي للطالحين؟ وما مدى صلاحية رسول الله عندكم وعند ربه؟

إنها للطالحين يجري منهم الشيطان مجرى الدم، دار اختبار وابتلاء، يوما من أيام الله، كانوا عليها زينة لها، ما واصل الرحمن بينهم وجوده في حجاب، على النفوس وفي سفور للقلوب، فإذا كان يوم القيامة، يومُ الحساب، يومُ العقاب، يوم الأعمالِ وَردِّها، يوم كشف الأقوال وبهتانها، يوم كشف النفوس وانحرافِها، يوم كشف الطغاة في ذِلتهم، يوم كشف الجهلاء، في محنتهم، يوم سفور المستضعفين في عظمتهم، يوم سفور الأتقياء في أغطيتهم، يوم سفور الحق بالإنسان للإنسان للنفوس والقلوب يوما من أيام الله بكلمة منه برسالة، إنه لعلم للساعة.

قليل من عباد الله الشكور، وكثير منهم أهل الفجور، هم من يهدمون دور الله، في قلوبهم ودور الله في قلوب الناس، بفتنة عارمة، وجَهَالة صارمة، وإلى أن يُفْصَل في ذلك لهم برد أعمالهم إليهم، وإلى أن يفصل لجمعهم في أمر إمامتهم فيمن كان يوم القيامة، بقائمه، مبعوث لائمه، بدء دائمه بينهم لهم.. وهو ما أسفر به الرسول رحمة بهم، نفسا لوامة. (ها أنا رسول الله بينكم ولا أدري ما يفعل بي غدا)[١٩].. (أنا أقربكم إلى الله وأخوفكم منه)[٢٠].

(خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)[٢١]، (ما أعطيته فلأمتي)[٢٢]، (أنا رحمة مهداة)[٢٣]، عسى ربي، أن يرحمكم وأن يرحمني وأنا باخع نفسي على آثاركم، أسفا، وحزنا، أطمع أن يخرجني من حزني، وأن يجبرني في أسفي، فيرتضيكم لنفسه، على ما رضيني لنفسه، فأسعد في سعادتكم، وأهنأ في هناوتكم، وأسكن في سكينتكم، وأُرحَم في رحمتكم. {ولسوف يعطيك ربك فترضى}[٢٤]... حمدا له وشكرا له... (لا أرضى وأحد من أمتي في النار)[٢٥].

فيومُ الفصل، يومٌ معلوم، بميقاتٍ معلوم، لنصرة معروف معلوم بناصر معروف معلوم، لمنصور معروف معلوم، أنكره، ظلمًا لأنفسهم، بظلام عقولهم، الظالمون، وتركه المستهترون، وحرص عليه اليقظون، الناس فيه يبتلون، وكيف يتركون ولا يبتلون، حتى يتميز الخبيث من الطيب بما يعملون، وبما يستقيمون، وبما يستجيبون وبما في أنفسهم لأنفسهم بأنفسهم يُغَيِّرون، الشيطان يجري منهم مجرى الدم منه يُحَذَّرون، والرحمن معهم أقربُ إليهم من حبل الوريد إليه يوجهون له يشهدون، يوم تكشف عنهم أغطيتهم فينظرون، فبربهم في أنفسهم يؤمنون، وبه يعتقدون، يوم أنهم لوجهه بينهم بالرسول ينظرون، ووجوها له بالحق به يُبْعَثون، فبه عند الناس يُنْظَرون ورسالته يجددون ويقومون وينشرون...

دوام رسالة الإسلام بالمسلم لو أنهم يسلمون، وبالله لهم يؤمنون، فلا إله إلا الله وحصنها يدخلون، ومحمدٌ رسولُ الله، سفنَه يركبون. تعالى الله عما يصفون.

يا أيها الذين آمنوا ألا تتقون، ولله تُقدِّرون، فبالرسول حقا تؤمنون، وبينه وبين الله لا تفرقون، وربه في نفسه ربا لكم في أنفسكم، به تُبْعَثون وله تتواجدون، يوم أنكم ما في أنفسكم تُغيرون، فظلام أنفسكم تمحون، ونور الله مع رسول الله تستقبلون، فبقلوبكم تُشرقون، ومشكاة صدوركم تضيئون، وسراج أنفسكم تشعلون، وحول النارِ المقدسة تطوفون، وفيها تدخلون، أن بورك من في النار ومن حولها، لو تعلمون.

الله لكم، نورُ السماوات والأرض وأنتم بسر السماوات والأرض تقومون، وإلى أرض وسماواتها تتطورون، أرض وسماوات لقدس قيامكم للأقدس، فيها تشرقون، شموس الحياة، لو تعلمون. {والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى}[٢٦] {جعلنا الشمس عليه دليلا}[٢٧]، ويوم تشهدونه لأنفسكم، تكون الشمس عليكم دليلا، ويوم تقومون في دوركم من السماوات والأرض، إنسان وجوده، وحقيقة موجوده، وأيدي جوده، لمن عليه تجودون، وبموجودكم به تتواجدون، إيجادًا له، بما تقومون، أعلامًا على المطلق تكونون، ووجوها لله تشهدون لو أنكم معكم عقولا تصدقون، ومع أنفسكم لا تراؤون، وبأمر الله بكم لا تستهترون.

تقولون إنكم على دين!! أي دين!! إن الإسلام جاء بكل دين، جاء بدين للعارفين، حقُهم فيه ما يعرفون، وعبدهُم ما يقومون، وربهم ما عليه بين جوانحهم يحرصون، وإلهُهم قيوم معانيهم لقائمهم الذي تشهدون.

هذا دين المعرفة عند العارفين، في رسالة المعرفة، فيها المعرفون بالله، وجوها له يشهدون، وحقا به يبعثون، في قلوب المؤمنين به بالله معيتهم يؤمنون، وللقائمين بهم رسلا لهم يتابعون، بالله قائمين (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[٢٨].

(نزلت البسملة على كل نبي من قبلي ورفعت معه إلا أنا فقد أعطيتها لي ولأمتي)[٢٩]، فما زال اسم الله الرحمن الرحيم، قائما بيننا لم يغب، ونورا لم يحتجب بعد أديم آدم بفرد رسول الله، بعد محمد الله بجلدته يتجدد، بعد حق الله ينتشر وبالوجوه يتعدد، بعد عبد الله بظلاله يتكاثر ويتناثر، بعد وجه الله يتسع للناس كوثر معناه، لقائم معناهم، فكيف يحتجب من كان كوثرا بمعناه، لقائم الناس بمعناهم له!

(الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة)[٣٠]، (بعثت والساعة كهاتين)[٣١]، موجُودُه البعث ليوم القيامة، وقيامَتُه الحق، في ساعة الأمان والسلامة {إما العذاب وإما الساعة}[٣٢] قانون دائب من قوانين الفطرة لفعل الصبغة في كافة الناس ولكافة الناس. (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه)[٣٣]{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعِ إذا دعانِ}[٣٤].

إن الناس يظنون بالله الظنون، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا، قد يُقْبَل الظن الحسن، من الجاهلين، ولكنه لا يقبل من العالمين، قد يقبل القول الفطير[٣٥]من الجاهلين، ولكنه لا يقبل من العاقلين، فإذا كان دين العارفين معرفتهم، فدين العلماء عِلمهم.

وعلم العلماء، في عِلمهم عن أهل المعرفة بينهم. وهذا دين العلماء، في رسالة الفطرة، أن يكون لهم من الله أولياء، في قائم الشهادة، {من يهدي الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا}[٣٦].. فمن لا ولي له وليه الشيطان، وهذا دين أهل العلم في رسالة الفطرة.. ورسالة الإسلام.

أما دين العامة، فهو الاستماع لأهل العلم، والمتابعة لهم في متابعتهم لأوليائهم فيما يُرشِدُونهم، ويثقفونهم به، إنه دين الإمامة واعتقادها، قبل أن يكون دين المناسك وإتيانها، بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام رمضان، ومعاملة الناس، بما يحبون أن يعاملوا به منهم.

عليهم أن يستفتوا قلوبهم، وأن يعملوا بما تَرضى به ضمائرهم، وبما تستجيب له عقولُهم، مخاصمين لشهوات أنفسهم، مجاهدين في الله، ومجاهدين بالله، ومجاهدين لأنفسهم، مدركين مقدِّرين أن الأمور كلها، إنما تسير في قدر، مرسوم لها، وفي أمر مقدر بها، لاجئين إلى الله، مؤمنين به بالغيب.. فإن صدقوا في تقواهم علمهم مولاهم، وهداهم السبيل إلى من بالله يتولاهم.

فدين الإسلام، في حقيقة أمره، وهو دين الفطرة، في واقع أمره، إنما هو ثلاث أديان رئيسية منها تتفرع أديان كثيرة، فدين العامة، ومثَّلته جماعة موسى وصحفه لأهل النفوس وما زالت رسالته قائمة بعامة الناس، ودين الخاصة، ومثَّله جماعة عيسى وحواريوه، لأهل العقول وما زالت رسالته قائمة بأهل الرجاء، ودين القيمة لأهل القلوب ومثَّله إنسان آدم وبنوه، ويمثله أهل المعرفة وما زالت رسالته قائمة بهم، وهو دين الطريق، ودين الفطرة، ودين البدء، ودين السلوك، ودين النهاية، ودين الربوبية، ودين

الألوهية، ودين العبودية، ودين الحقيقة، ومثَّله وجدده وأشهره العروة الوثقى والأمر الوسط والحق المشاهد رسول الله، أُعطيت له جوامع الكلم، روح قدس الله.. (ما عرفني غير ربي)[٣٧]، (من رآني فقد رآني حقا) [٣٨].. (أُمة مذنبة ورب غفور)[٣٩].

فإذا كان لنا شرف القيام والانتساب إلى دين الفطرة، دين الإسلام، دين الطريق، دين الرسالة، دين الحقية، دين الخلقية، دين العبودية، دين الربوبية، دين الألوهية، دين الإطلاق، دين لا إله إلا الله والله أكبر، دين محمد، آدم أبنائه، وابن أوادمه، والعروة الوثقى، بين أوادم البدء لا بدء لها، وأوادم التجدد للبقاء للجنس لا انقضاء لها.

دين آدم، كان الرسول بمعناه من دين آدم جديدا لدين آدم فكان من أظهره الله على الدين كله، فعلمه الأسماءَ كلها، وجعله أول العابدين، بذاته، لجديد ذواته، وبذاته، من قديم ذواته فكان إنسان الله، لسابق لإنسان لله، وللاحق لإنسان لله، به عرف الله واسعا عليما، به عرف الله جوادا كريما، به عرف الله، قائما لا يغيب، وقيوما لا يفتر، به عرف الله، لانهائيا في وجوده، لانهائيا في كرمه وجوده.

الإسلام دين الفطرة، دين الله، دين القيمة، به تجدد قديم الأنبياء، لجديد قيامٍ باسم الأولياء، لقائم قيام باسم الحكماء، به كَشَفت الفطرة عن حقها، وبه تواجدت الصبغة في قيامها، بلا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، ذلك دين القيمة، أوغلوا فيه برفق، ولا تنافقوا فيه مع أنفسكم. هذا دين، له قائمه، وله حقه، وله أثره {الذين قالوا ربنا الله، ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة، ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة}[٤٠]، وهل كان الأنبياء فيما تميزوا به على أممهم إلا شيئا من ذلك؟ أصبح بدائم رسول الله حقا للكافة، يعملون له ويسعون إليه ويتحقق لهم.

{أيحسب الإنسان ألَّن نجمع عظامه، بلى قادرين على أن نسوى بنانه، بل يريد الإنسان ليفجر أمامه، يسأل أيان يوم القيامة}[٤١]، وهو قائم في يوم القيامة، مقداره الألف والخمسين ألف مما تعدون، إنكم في يوم القيامة في دوام تقومون، يوم تتبادلكم أيام الله، لقيامات الله، لرحمة الله، ولحساب الله، ولحشر الله، ولبعث الله، ولقيامة الله، من مات فقد قامت قيامته، ولكل منكم قيامة، لا أقسم بالنفس اللوامة، {وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد}[٤٢]، فبعثت لك النفس اللوامة، بدءا ليوم قيامة، ليومك بالقيامة.. يبدل الجلود، ويجدد الشهود، ويمد في الوجود، ويُنظر ليوم السجود.

{وإنه لعلم للساعة}[٤٣]، إن للساعة رسالة علم بها، كان عيسى معناها، وكان محمد حقَها ومجلاها، إن الإنسان، من عمل نفسه، وإن الإنسان، هو المهلك لنفسه، وإن الإنسان هو المنتج لنفسه، وإن الإنسان

هو المستهلك لنفسه. إن الإنسان بين إيجاده لنفسه، وبين استهلاكه لنفسه، يتواجد، لموجود حقه، لحقيقة نفسه. {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يُرى}[٤٤].. {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}[٤٥]، فليعمل الإنسان لأمر نفسه، ولا يفرط في أمر نفسه، فما كان أمر نفسه إلا أمر ربه، وما كان أمر ربه إلا أمر حقه، وما كان أمر حقه إلا أمر معناه، وما كان أمر معناه إلا أمر مولاه، وما كان مولاه إلا إياه، بلا إله إلا الله، بقائم محمد رسول الله.

إن الإنسان من صنعه، يتطور من خلقه لحقه، يتطور بخلقه، في قائمه من خلقه بخلقه، كما يتحقق خلقه، بقائم حقه بما فيه من حقه، بمن هو أقرب إليه من حبل الوريد، ومعه أينما كان، قائما على نفسه، ومن ورائه بإحاطته.

إن الإنسان في حقيقة أمرِه وجهُ ربه، وجه الله، هو عالم الوجود وعالم الحق، الإنسان في حقيقة أمره، عَلَمٌ على قديم إنسانه، وإعلام عن قادم عنوانه، بلا إله إلا الله، في متابعة محمد رسول الله.

لا تقولوا إنا على ما وجدنا عليه آباءنا، فما كان آباؤكم على شيء، إلا من رحمه الله، وقليل ما هم، ولكن جددوا أنفسكم بذكر الله، لتكونوا بدءا لذكر لله من عملكم، وإن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد، وإن جلاءها لذكر الله، فجددوها بذكره، مع من كان ذكرَه، ومع من قام بينكم ذكرا محدثا لذكر قديم، له تذكرون، وعليه تتعارفون، بمحمد رسول الله، في قائمكم لله، بقائم لا إله إلا الله.

نسأل الله بلا إله إلا الله، ونسأل رسول الله برسول الله، ونسأل الله بالله، ونسأل الله برسول الله، أن يجعل لنا من رسول الله رحمة لنا، في قربه، وأن لا يرد أعمالنا علينا في حسابه، وأن يجعلنا منه، في قائمه بغيبه وشهادته، وأن يجعلنا برسول الله معنى حقه، لقائم أمره، بغيبه، لغيبه ولشهادته بشهادته، حتى نقوم أعلام لا إله إلا الله، وعَلَم رسول الله، لغيبنا وشهادتنا.

اللهم بالله ورسوله، ولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، وكن لنا برحمتك حكاما ومحكومين، أئمة ومتابعين، مجاهدين وغافلين، جاهلين وعالمين، عاملين وخاملين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم بالله ورسوله أنزل سكينتك على قلوبنا، والسِلم والسلام على أرضنا، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك، في أنفسنا، بأمرك لنا.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ حديث شريف: "إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا." أخرجه البخاري.

٢ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٤ حديث شريف: "إنما أنا رحمة مهداة". أخرجه ابن سعد والحكيم والحاكم.

٥ وفقا لما جاء في الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." صحيح ابن ماجه.

٦ سورة الأحزاب - ٦

٧ سورة القيامة - ١-٢

٨ سورة فصلت - ٣٣

٩ سورة النبأ - ١٧ و ٢٢ و ٢٣

١٠ سورة الحج - ٤٧

١١ سورة السجدة - ٥

١٢ سورة المعارج - ٤

١٣ سورة الزخرف - ٨١

١٤ من حديث شريف: "عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير." رياض الجنان: مخطوط. بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

١٥ سورة هود - ١١٠

١٦ سورة النحل - ١٢٧

١٧ سورة النبأ - ١٧ و ٢٢ و ٢٣

١٨ سورة يونس -١٠٢

١٩ إشارة إلى الحديث الشريف: "واللَّهِ ما أدرِي - وأَنا رسول اللَّه - ما يفعل بي ولا بكم." صحيح البخاري.

٢٠ إشارة إلى أكثر من حديث شريف منها: "إِنَّ أَتْقَاكُمْ وأَعْلَمَكُمْ باللَّهِ أَنَا." صحيح البخاري. أيضا "... ما بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟! فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ باللَّهِ، وأَشَدُّهُمْ له خَشْيَةً." أخرجه البخاري ومسلم.

٢١ حديث شريف. أخرجه الترمذي في صحيحه، والدارمي

٢٢ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.

٢٣ حديث شريف: "إنما أنا رحمة مهداة." أخرجه ابن سعد والحكيم والحاكم.

٢٤ سورة الضحى - ٥

٢٥ من حديث شريف جاء في تفسير القرطبي أنه حين نزلت الآية {ولسوف يعطيك ربك فترضى} قال النبي صلى الله عليه وسلم "إذا والله لا أرضى وواحد من أمتي في النار." وجاء في صحيح مسلم في حديث طويل منه: "اللهم أمتي أمتي وبكى. فقال الله تعالى لجبريل: اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك فأتى جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - فسأل فأخبره. فقال الله تعالى لجبريل: اذهب إلى محمد، فقل له: إن الله يقول لك: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك."

٢٦ سورة النجم - ١:٢

٢٧ سورة الفرقان - ٤٥

٢٨ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

٢٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٣٠ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٣١ حديث شريف: " بعثت أنا والساعة كهاتين"، (وفرق بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام) صحيح البخاري، ورواه أحمد ومسلم والترمذي.

٣٢ سورة مريم - ٧٥

٣٣ حديث شريف: "مَن أَحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ." صحيح البخاري، وصحيح ابن حبان. كما أخرجه مسلم

٣٤ سورة البقرة - ١٨٦

٣٥ كل ما أَعجل به قبل نضجه.

٣٦ سورة الكهف - ١٧

٣٧ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكتاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي". ولم نستدل على سند له في كتب الأحاديث الشريفة.

٣٨ حديث شريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٣٩ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةُ أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في (تاريخه) عن أنس ابن مالك. المحدث الألباني. المصدر: ضعيف الجامع.

٤٠ سورة فصلت - ٣٠ و٣١

٤١ سورة القيامة – ٣-٦

٤٢ سورة ق - ١٩

٤٣ سورة الزخرف - ٦١

٤٤ سورة النجم - ٣٩ و٤٠

٤٥ سورة الزلزلة - ٧-٨

(٦)

كل مريد بقائمه في اقتدائه رائد
وكل رائد في حقيقته لقيومه مريد
فالإنسان في استقامته أمر وسط رائد ومريد
بين أزلية الريادة وأبدية الإرادة

حديث الجمعة

٢٤ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ - ٩ سبتمبر ١٩٦٦ م

(خير الناس أنفعهم للناس)[١].. (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)[٢].. ولا خير، فيمن لا خير فيه لنفسه.

(ابدأ بنفسك ثم بمن تعول)[٣]، لقيام أمرك، فإن صلح في الله أمرك، فـ (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها)[٤]. (ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)[٥].

كلكم يطلب دار السلام، وكلكم يحمل في هيكله دار السلام، يوم يصبح قلبه دارا للسلام، بيتا خاليا من الخصام، بيتا يعرف الفعل قبل الكلام.

(ذرة من عمل القلوب خير من أمثال الجبال من عمل الجوارح)[٦]. ما صدر من القلب وصل إلى القلب، وما صدر عن اللسان، لا يتجاوز الآذان. {إن هو إلا وحي يوحى}[٧]، وإن هو إلا روح من أمره يلقى.. إن هو إلا قلب للقلوب.. إن هو إلا نور للظلام.. إن هو إلا حياة للكائنات.. إن هو إلا بعث بالحق، لطالبي الحق، لعاشقي الحق، لشاهدي الحق، لمؤمني الحق في أنفسهم ومن حولهم، لمشاهدي ولمشهدي عَلَم لا إله إلا الله، على أنفسهم، ومن حولهم.

يدخلونها بفطرتهم لقائم قيامهم، فهي لا تُعلَّم ولا تُعلم بالرواية والنقل.. ولكنها تقوم بالتجربة والفعل في الروح والعقل، لتُشهر بهم على القلوب والعقول، تاج الرؤوس، وقدرة السواعد، وقدم السعي في الطريق إلى الله أو إلى الناس لمن يرافق في الله.. لمن يجتمع في الله.. لمن يلتئم في الله.. لمن يتحد في

الله.. لمن يتوحد في الله.. لمن يوحد الله.. لمن يشكر الله على نعمته، بإيجاده لنفسه واجب وجوده، تواجده بجوده.

لمن يعلم في شعوره بنفسه أن وزره ذنبه، وأن وجوده خطيئته، وأنه بقائمه وقيومه عليه، وقائمه وقيومه به، إنما هو من الله وإلى الله...

لمن يؤمن أن الله لا شريك له من نفسه.. لا شريك له من معناه.. لا شريك له من قائمه.. لا شريك له من قادمه.. لا شريك له من قديمه، إنه لا إله إلا الله، يقوم بها الوجود، وتقوم بها الكائنات، يوم تستيقظ من منامها، وتفيق من غفلتها.

مَن عَرف الله، ميسرة له معرفته، لا إعجام عنده في الله. الله على ما عرَّفه، رسول فطرته، ويد نجدته، ووجه طلعته، وقَدم سعيه، وجودا مطلقا، لا حد له، لا إحاطة به، لا مُشاركة له.

الإنسان متواجد فيه أزواجا، من قائم وقيوم، قائمه عين قيومه والأعلى، وقيومه عين من قام عليه والأدنى.

الإنسان فيه، عَلم وجوده، وكتاب عِلمه، لشاهده ومشهوده. هو لكل مفردات جنسه، شرف بشريته، وبشرى جوده، لكل موجوده.

جعل الله خلافته، على الأرض لمعنى الذات لهيكله منها عبادا له، وجعل الناس بأمره بالحياة لهم منه خلائفه عليها، وأربابا لها بملكية أنفسهم منها، فجعل في الأرض خلافته باتحاد القلوب على ذكره، وأقام فيها شريعته بناموس فطرتها لأمره، وعلَّم بدءا منها حقيقته لكونه، وتجلى بها لها فيها منها عليها، بإنسان جماعها لطلعته، وأول العابدين في معراج الإنسان منه إليه، لعين ذاته، بدءا بذواته، وقياما من ذاته، للقائم على كل نفس في ذاتها، عارجا بها، ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات.

جاءنا الرسول بذاته، روحا تمثل لنا بشرا، سويا، مع أزلي إنسانيته، وبداية لأبدي بشريته، كان شرف البشر والبشرية.. كان شرف الإنسان والإنسانية.. كان شرف الحق والحقيقة، والحقائق الربانية.

كان مجد الإنسان وسعادته في العبودية، ومشقة الإنسان ومجاهدته، بالربوبية.. وغيبية الإنسان في سكينته بالألوهية.. وشهادة الإنسان وتعاليه في وجوده في التواجد بالوجودية.. ورحمة الوجود بالإنسان في الكونية.

كان بمبناه لمبانيه، ومعناه لمعانيه، كائن كائنه، وكينونة عالمه، حِل بالبلد، ووالد وما ولد.. كان حياة الأشياء، وحياة الكائنات، وحياة النبات، وحياة الحيوان، وحياة الإنسان في بشريته وإنسانيته وحقيته.

كان معارج الحياة، للمادة، بدءا من ترابها، إلى كائنها، بيتا أو مدينة، شجرة عالية، أو زرعا نَجَم من الأرض، قريبا من الأرض، حب الأرض، غابات الأرض، متارب الأرض، جنان الأرض، مزارع الأرض، حيوان الأرض، إنسانية الأرض.

(لولا شيوخ ركع وأطفال رضع، وبهائم رتع، لصُب عليكم العذاب صبا)[٨]. لا يؤاخذ الله الناس بظلمهم، {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة}[٩]، فمن يكون الشيوخ الركع، والأطفال الرضع، والبهائم الرتع؟ ولِمَ خص الرسول، الشيوخ الركع، والأطفال الرضع؟ لأن الأطفال الرضع، متخلقون، من روح الله، من الأبوين لمعنى الإنسان، قائم الحضرتين خلقا من بعد خلق، ظاهر الإنسان في أحسن تقويم...

ولأنهم سيمرون في أطوار الحياة، وفي معارج الحياة بنوهم من تراب الأرض، وسينزلون بنو ظلامهم أسفل سافلين، ثم يتخلصون من ظلامهم، فيرجعون إلى بدئهم بأحسن تقويم بجرمهم في أسفل سافلين، فيصيرون شيوخا ركعا، والله لهم غافر، قائمهم، ما بين أطفال رضع، وشيوخ ركع.

حتى إذا بلغ الأربعين، قال ربي تبت إليك، فهو ما زال في طفولته إلى الأربعين، فإن رجع إلى الله قَبلها قَبِله دون مساءلة، فهو الشاب التائب، وهو بدء الشيخ، المفيق الراكع.

إنه الآدم.. إنه الإنسان.. إنه البيت. وهو إلى غاية الله به، وحكمته من إيجاده، متجه، وقد أوجده في سلالة من طين، بدأها كلما بدأها في كراتها من ماء مهين، كلما نضجت له جلدة، بدّله غيرها، وكلما قطع كرة، جدد له مثالها، حتى يتوفاه، بيقظة تعقب الموت لأناه في عزلته، فيرى ما كان منه يحيد من أحدية وواحدية مولاه في وصلته. يراه في أمره الجديد.. يراه في حقه السعيد.. يراه في سكينته بالحق جاءه، يبدأ به أمره، بحق وليد، وشيء جديد. ابن الإنسان وكلمة الرحمن.

فالله، عند المؤمنين، بالله ورسوله لقائمهم يرونهم فيه كلمات لله ورسوله، وهو للناس عندهم أمر بسيط ميسر، فالإنسان لهم فيه، غايتهم منه، وهو أمر، في وجودهم موجود، وفي قائمهم متواجد، وفي قديمهم وجد. الإنسان فيه، هو حقهم، وهو حقيقتهم، هو خلقهم، وخليقتهم، هو صانعهم، وهو صنعهم.

الإنسان فيه، عرف لهم، برسالته إليهم، أبناء آبائهم، وظلال حقائقهم، وجديد قديمهم، وقديم جِدتهم، يوم يتعلمون كيف يجددون جلودهم، ويجددون أمرهم، ويجددون نفوسهم، ويجددون معانيهم، ويشغلون يومهم بأيامهم، أقلام قدرة الله، وصحائف كتب الله، {ن، والقلم وما يسطرون}[١٠].

أظهر الوجود إنسانا على الأرض في دوام، وقدّم في كل زمان لأيام الله عنوانا في سلام. ما غاب عن الأرض في حاضرها عنوان لقديم لها، وما انقطع عن الأرض في قائمها عنوان لقادم إليها.. خلقنا

الأرض كفاتا، أحياءً وأمواتا، فليسيروا في الأرض، ولينظروا كيف بدأنا الخلق، ولينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم.

إن هذه البشرية على الأرض، وفي دوام، يتواجد لها، ويتواجد بها، آدم في جنته، وآدم في محنته، وآدم في وصلته، وآدم في قطيعته، وآدم في حقيته، وآدم في خلقيته، وآدم في ظلامه، وآدم في سلامه، وآدم في علمه، وآدم في جهله، وآدم في نشأته، وآدم في نهايته، وآدم في بدايته، وآدم محقق لغايته، وآدم متخلف عن حقيته، وآدم في مفرداته، وآدم في جماعاته، وآدم في فرده، وآدم في بيته، وآدم في أمته، وآدم في بشريته، وآدم في إنسانيته، وآدم في ملائكته، وآدم مع شيطانه، وآدم مع إنسانه، وآدم مع عنوانه، وآدم بعنوانه، وآدم بإحسانه، وآدم، وآدم، وآدم، إلى ما شاء الله. إنها الإنسان في أي صورة ما شاء ركبه.

هذه الأرض ببشريتها، قرآن جامع، وأم كتاب لجامع صحائفها كتابا له، لمن كان لصحائفها جامع، لمن طلب العلم من المهد إلى اللحد، لمن ينشد الحكمة، لمن كانت المعرفة ضالته، والإنسانية عقيدته، والحقيقة معرفته، والله مشاهدته، لمن كان الله قيامه، وذكره، وهمّه وسلامه.

إن كان كذلك، وقام بذلك، فما يكون عمله؟ وما يكون قوله؟ كان عمله عمل قلبه.. وقوله، إرادة ربه، إرادة الوجود، إرادة الله، قدرة الله. فما التأمت في الله قلوب، إلا كانت إرادته وأمره للوجود، وحقه وعينه للشهود، وقبلته ونصبه للسجود، وماءه وحوضه للورود، وحبله المتصل الممدود، لمن يريد أن يتمسك بحبل الله للحياة وللوجود.

لا تظنوا أنكم هنا متعطلون، إنكم هنا الموحدون الذين يعملون. أنتم في هذه الحياة للبشرية وحدكم من لها يعملون.. أنتم هنا بقلوبكم حية، تحيون القلوب، وبعقولكم مشرقة توقظون العقول، وبنفوسكم متألقة تزكون وتشعلون النفوس، في مسجدكم من الأرض مزوية لكم، على ما زويت لأولكم، وعلى ما يسفر به وبأمره عليها آخركم.

أنتم في أمره - رسولا إليكم – قيام، أنتم به الأمة الوسط، بين قديم الإنسان، أمة في أحسن تقويم، وقادم الإنسان، أمة في أحسن تقويم.

لا تستهينوا بإمكانياتكم، وإن قل عددكم.. ولا تَرهبوا عديدكم، ما ضل بهم سعيهم، فما كانوا غيركم، فكم من فئة قليلة، طوت في أحضانها، أو احتوت في أحشائها، أو قومت بسلطانها فئة كثيرة.. فما النصر إلا انتصار القلوب على القلوب.. وانتصار النفوس على النفوس.. وانتصار العقول على العقول.. وانتصار الكينونة على الكينونة، في سَتر من الأمر، وفي حق من القائم بالقيام.

لا تقدروا رسول الله وجمعه مهزوما، ولكنه في دوام ما كان إلا قائما منتصرا معلوما، يلهم ويوحي، ويقود ويوجه.. يعرفه، من يعرف نفسه، يدركه ويقدره، من يقدر نفسه فيه، ونفسه منه، فيُكشف له غطاؤه عنه، وإلى أن يكشف له غطاؤه عنه، ما خرج عن قائمه به، ولا عن مراده له.

إن المسلم الفطري، أيا ما كان لسانه، وأيا ما كان قومه ووطنه، وأيا ما تابع مثالا له، يرتضيه، وكيفما قدر أمره فيه، يجاهده، ويلتقيه، فإنه في الله ورسوله، وبالله ورسوله.. في الله ورسوله لا يخرج عنهما، وبالله ورسوله، لا يتخلص منهما.

كونوا للخير، ولتكن منكم أمة، تدعو إلى الخير، تأمر بالمعروف لها، وهو الله ورسوله في قيامها لقائمها.. وتنهى عن المنكر، من الشرك بهما، والخروج عن أمرهما وهديهما، وتؤمن بالله، قائم وقيوم وجودها، بالله ورسوله.

إن قمتم أمة وسطا، على ذلك، على ما قامها الرسول وصحبه بذلك، وتجدد بها من تجدد به، في أحوالهم لأحواله، من آيات الله بينكم، بهم حييت القرون، وبعثت الأوادم، وجاء في قائم ما هو قادم، وتجدد في قائم ما قام، مما لا زال في قيام قائم.

بكم تدور الحياة، على ما هي دائرة.. وبكم يتجدد للناس الخلاص والنجاة، على ما هي سفن النجدة، في بحار الوجود ماخرة، بالحياة وبالحق سافرة.

سفن بيت إنسانه، وقائم حقه وعنوانه، في مدينة بيوته توضع وترفع، لبيته، أصلا لكل بيت يرفع أو يوضع، في أحد وجوده، لأحد ربه.. لأحد إلهه. في مطلق الله اللانهائي بموجوده، فيه عديد مثال من وجوده، وقائم موجوده، آحاد ومدن وبيوت وأرباب، وآلهة وعباد، وحقائق وخلائق، لا عد ولا حد ولا حصر لها.

بذلك جاءكم دين الإسلام، لتكونوا مسلمين.. وجاءكم دين الإيمان، لتكونوا مؤمنين.. وجاءكم دين المعرفة، لتكونوا عارفين.. وجاءكم دين الحياة، لتكونوا من الأحياء.. وجاءكم دين الكتاب، لتكونوا أهل كتب، أناجيلكم صدوركم، وقرآنكم وجودكم، ورسولكم شهودكم.. ومعراجكم تواجدكم.. جنتكم فيكم، ونارکم بكم، وحقكم، في بيته، من هياكلكم، ونصبكم، قائمكم لمن يحيط بكم، دائرة وجودكم ونقطة مركزكم.

أنتم الألف والهاء، لمن يشير إلى وجوده موجودكم.. أنتم (الآه) في آلامكم، من عبئكم.. وأنتم الهاء في سعادتكم بإحاطتكم، لاستقامة ألفكم لتآلفكم، ألف ألفكم، وأليف موجودكم، ظهور معيتكم، ومعية معانيكم، لا إله إلا الله قيامكم، والله أكبر شعاركم، ومحمد رسول الله بشراكم، وبشرى منكم، لمن يستبشر به إليكم، ليشهده فيكم، ويكسبه لنفسه منكم.

أنتم البلد.. أنتم الوالد والولد.. وأنتم ما حل بالبلد، وما حل في والد وما ولد.. أنتم رسول الله.. وأنتم ما حل في رسول الله من الله، يوم أنكم لله ورسوله، وبالله ورسوله، بهما تقومون، ولهما في كل شيء تشهدون، ومنهما، لكل شيء بهما، بما هو بكم منهما تقيمون وتشهدون.

تخلقون وتوجدون فبما عملتم تتخلقون وتتواجدون، نور الله تسيرون، ونور الله تقومون، وبنور الله تؤمنون، وظلام النفوس تقتلون، ومشاعل الحرب تطفئون، ومشاعل السلام ترفعون. نار الله توقدون، ونار الخصام فيكم تطفئون، وفي الناس تخمدون.

أعلام الحب، تقومون، وتُشهِدون، وأعلام الحب، تَشهَدون، آباءكم تستقبلون، وأبناءكم تجددون، وآباءكم منكم ومن خلالكم في أبنائكم تبعثون.. تقيمون القواعد من البيت كما فعل آباؤكم الأولون إبراهيم وإسماعيل ومن يتابعون. تتهيؤون في دورة الناموس، لترجعوا إلى الأرض بعد الخروج منها غير هيابين. فمحمدا أو عَلِيًّا تقومون[١١]، ومحمدا وعليًّا تبعثون، وبيوتا لله تتكاثرون، وأمة على ما وعدوا وحققوا توعدون وتحققون وتتواجدون.

فما كانت أمة إبراهيم، إلا أمة محمد، مِلة أبيكم إبراهيم. هو سماكم المسلمين، وما كان إبراهيم أمة، إلا محمدا يقوم ويتقلب في الساجدين.. (أنا دعوة أبي إبراهيم)[١٢]، (ما أعطيته فلأمتي)[١٣]، (الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة)[١٤].

سعدت البشرية، بإنسانها، يوم انشقت الأرض عن ربها زويت له مسجدا وطهورا، وقد أوحى إليه روحا من أمره، كشف له عن نور الله فيه أنزل معه، يقومه، ويقيم به، فأشرقت به بشرية الأرض بنور ربها، فانقطع الإنباء عن الله، إلى الاجتماع عليه، والقيام به، والعرفان له، بشعار لا إله إلا الله، يرفع على أرجائها، تقوم به سماواتها، وبه يقوم جديدها منها، وقائمها لها، فتواجدت على الأرض خلافة المطلق، إذ تواجد على الأرض إنسانها، جعل له الخلد بشرا عليها ومن أنفسهم، فتواجد للسماوات على الأرض عنوانها، وأوحى في كل سماء أمرها، وجمعت على الأرض أمورها، فجعلت النبوة لعلمائها.. والحقيقة والمثل الأعلى لعباد الله عليها.

إذا جاءكم نبي، مصدق لما معكم، لتؤمنن به، ولتنصرنه. قالوا قبلنا وتعهدنا، قال لهم، قدموا على ذلك إصركم، فقدموا إصرهم، فأخذ منهم إصرهم وعهدهم، وقال اشهدوا وأنا معكم من الشاهدين، فجاء به أمرها وإنسانها ومعه ربه لنفسه وأمته، مزوية له الأرض بمعناها، لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، فبلّغ وهدى، وعمل وسعى، وجاهد وجمع وانتهى، وخلف وائتمن إلى ترك علم محفوظ بكتابه

وحديثه وحديث ربه، فبقي بذلك في عمل دائب موجد خلاق بعترته وأهل بيته، ومجال لا ينقضي لنشاطه بأمته.

ودعا إلى أعلى ليتمكن من الأدنى، (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم)[١٥]، (فليبلغ الحاضر منكم الغائب، ورُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)[١٦].. (اللهم فاشهد، اللهم فاشهد، اللهم فاشهد)[١٧].

نعم شهد له من شهده محمدا رسول الله وكان الله من الشاهدين، فشهد، وتعهد، أنه مبين، لما كلفه به، وائتمنه عليه، وأمره أن يتلوه في الناس على مكث له فيهم، وأن يبين لهم، لا يشق عليهم، لا يكلفهم إلا وسعهم، ففعل بذاته وظلالها ممن آمن بالله ورسوله لنفسه على ما آمن بهما محمد لنفسه، فعرف الرسولَ آدم وجوده ومحمد شهوده لصلته بالله.

إذا قرأناه فاتبع قرآنه، فاتبع كتابا أنزلناه إليك لتبين لهم، فبين. ثم إنا علينا بيانه، إنا علينا جمعه وقرآنه، إنا نزلنا الذكر وإنا له لحافظون، وها هو على ما بينه الرسول يبينه لكم، وسيبقى، يبينه لكم حتى يبين. وسيتلوه بينكم على مكث حتى تعوه وتدركوه.. إن الله بالغ أمره على ما علمكم وأعلمكم وتعلمون. له في كل شيء آية، تدل على أنه الواحد، لا شريك له. ها هي رسالة السماء مرة أخرى، يحملها عالم الروح مرة أخرى.

إن الشيطان على ما هو الرحمن، يعملان في حكمة الله، لغاية واحدة، ولأمر واحد، هو معرفة الله. وإن للشيطان رسالة، كما أن للرحمن رسالة، الله من ورائهما بسعته وحكمته، فلا تشركوا بالله، شيطانه، أو رحمانه، في أنفسكم، أو من أنفسكم، أو على أنفسكم. إنه الله في أمره، لا شريك له في أمره، ولا موجود بحق سواه في أمركم، فاقبلوا الله على ما هو، واشهدوه على ما أنتم، وتأملوا فيه أمركم، تصلح به لكم أموركم. لا تحقروا أنفسكم فيه بشيطانها، ولا تغفلوا أنفسكم منه برحمانها.

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم يا من جعلت من المؤمن مرآة لأخيه المؤمن.. اللهم احجب عنا في مرآة شهودنا، أمر أنفسنا على ما هي، واكشف اللهم لنا في مرآة مؤاخاتنا، أمر نفوسنا، على ما تريد أنت لها، وما تريد أنت بها، حتى ترتبط قلوبنا بمرآة مؤاخاتنا، في طريقنا ووجهتنا.

لا تتساءلوا بينكم، من يكون رائدنا؟ ولا تشقوا على أنفسكم بحيرة في ذلك، فما قام رائد لا عوج له إلا وكان مرآة لمريدي الله معه، على ما أراد الله لهم، رحمة وهداية وتبشيرا، أو على ما قام في أنفسهم في قائم من قطيعة وغفلة، ابتلاءً واختبارا وإنذارا وتحذيرا.

فأنت على مرآة رائدك، مؤمن ومؤمن، إنما هو مرآتك، لتشهد ما أنت على ما أنت، فتشمئز منه، وما هو ما رأيت، ولكن ما رأيت إلا نفسك، جديرة بالاشمئزاز والمقت، وفي هذا خطر القطيعة، وأوحال التوحيد، ومتاعب التعديد.

هذا لا يزعجك ولا يريبك يوم تعرف ما هذا؟ ولِمَ هذا؟ فترجع إلى نفسك فتستغفر الله من وزرك في أمرك، وحالك في شأنك، فيغير الله ما بك، فيتغير شهودك، في مرآة وجودك، في رائدك، فترى غير ما رأيت، وتعرف غير ما عرفت.

وأنت ما رأيت إذ رأيت إلا نفسك، خيرا أو شرا، فلا تتعب نفسك، ولا تزعج خاطرك، من يكون هذا الرائد، هو عبد الله.. هو مرآة المؤمن.. هو مؤمن.. هو حق.. هو لله وجه، كما أنت لله وجه.. هو مرآة فيها يشهد الإنسان نفسه، أو الصديق نفسه، أو المؤاخي نفسه، وأنت في نفس الوضع، مرآة يشهد فيك مؤاخيك نفسه على ما شهدت، ويعرف على ما عرفت، ويدرك على ما أدركت. بذلك تقوم وتنتشر الطريق بعاملها دائما، كلما بعث وعرف ولوقي.

ليس هذا بدعا من أمر الله بالناس، هذا هو أمر الناس في عموم الناس، وهذا هو أمر الحق في عموم الخلق.. وهذا هو أمر الحق وأمر الخلق، في كل من تواجد، لأنه ما تواجد على الأرض متواجد، إلا بخلق وحق، لا ميزة فيه، ولا مزية له، إلا أنه تَعلَّم، ولك يُعلِّم، فتَعلَّم منه وعَلِّم به، فتتعلم وتصير المعلم على ما هو، لا فرق بينك وبينه.

لست بدعا من الرسل، لا تميزوا بيني وبين رسل الله، نزلت البسملة على كل نبي ورفعت معه، ونزلت عليّ كما نزلت عليهم، فلست بدعا منهم، ولكنها ستبقى فيكم، فأنتم الذين عمن سبقكم من الأمم تتميزون، لأن البسملة بقيت فيكم، أما هم، فكانت ترفع مع أنبيائهم.

وإذا نظرنا بشيء من حسن الإدراك وحسن التقدير، فما تميزت أمتي عن سائر الأمم، لأن النبوة فيهم بها ما انقطعت، وبها النبوة فيكم لا تنقطع. (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[١٨].. (الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة)[١٩].

كل ما تغير أننا أصبحنا لا نقول النبي، ولكن نقول العبد لله، أو الولي، أو الإمام، أو الرائد، أو المرشد، أو الحكيم، أو المعلم، سمه ما شئت، فهو المتابع، أو المصاحب لرسول الله، أو الممتد فيه رسول الله بنوره، الممتد فيه الله بنوره، ولا يتميز بنور الله، لأن نور الله ممتد في الجميع، ولا يتميز بنور رسول الله، فنور رسول الله ممتد في الجميع كذلك، ولكنه يتميز بأنه تقدم بعض الخطى نحو الحقيقة فكان أول عابدين وقائد ركب لمحبين.

فوجب على الآخرين أن يتابعوه في هذا الركب إلى الحقيقة محمد بحقيقته إمامه وأول العابدين، ومحمد بخليقته كوثره وآدم أوادمه، بحق محمد له أصبح يمثل السبيل، يمثل دعوة الأنبياء في عمومهم، ودعوة الأولياء في جماعهم، ودعوة الحكماء في جمعهم، الكل مريد لمريد فما هناك من رائد ينشد إلا إنسان الرسالة لإنسان المرسل له لإنسان الوجود المطلق اللانهائي لمعنى الله.

إن إنسان الله هو الطريق التي تمتد للناس من غيبهم، والناس جميعا في الطريق، بحكم الفطرة، وبقانون الفطرة، وبقانون الحياة، وبقانون الخليقة. كل منكم له عقل، والطريق هي أن تعقل بعقلك، وكل منكم له ضمير، والطريق هي أن تستيقظ بضميرك، وكل منكم فيه قدرة، قدرة الله، ويمكنه بقدرة الله فيه أن يطور نفسه، وأن يطور وعيه، وأن يطور أخلاقه، وأن يطور فعله، قَدّر فهدى.

فأنت بقدرة الله فيك، طريق الاهتداء لك، أنا لا أعطيك قدرة، فالقدرة أعطاها لك الله وهي معك، أنا لا أعطيك عقلا، الله أعطاك عقلا، فخذه ونمّه فهو طفل ويكبر، الله أعطاك نفسا، زكها وإن اتسخت فطهرها ونظفها.

نظّف إناءك، (كل نبت نبت من حرام النار أولى به)[٢٠]، طهر لقمتك، كُلْ لقمة من حلال، اكسبها من حلال. لا تجرِ وراء الحرام، لا تفكر في الكثرة من المال، (قليل توفي شكره، خير من كثير لا توفي شكره ولا تحسن تدبير أمره)[٢١]، فكيف إذا كان الكثير من الحرام!؟ (إذا غضب الله على امريء رزقه من حرام، فإذا اشتد غضبه عليه بارك له فيه)[٢٢]. هذا هو هدي الإسلام.

إذا أدركنا هذا الهدي على هذه الصورة، أمكننا أن ندرك هدي الرسول، (يأكل الذئب من الغنم القاصية)[٢٣]، (الزم الإمام، الزم الجماعة.. عض ولو على جذع شجرة[٢٤]، لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه)[٢٥]، هذه عبارات وشعارات هي الواجبة الترديد دائما صباح مساء، (من أراد وعظاً فالموت يكفيه، ومن أراد مؤنساً فالقرآن يكفيه، ومن أراد مفقها فضميره فيه يكفيه[٢٦]، عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به[٢٧] استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك[٢٨]).

المسلم فطريا أو مسيحيا كتابيا كان، ليس في حاجة إلى شيخ أزهر ولا إلى فقهاء، ولا إلى بطارقة أو قساوسة، أو إلى كنيسة، أو إلى جامع لتستقيم عقيدته في الله، فإنه ممكن من تقويم عقيدته في الله بعقله في نفسه. فالمسلم الفطري كل أمره فيه، يحمله ويسير به معه، لن يقول نسيت القرآن، أو الإنجيل في البيت، القرآن والإنجيل هو ذاته، لن يقول نسيت ربي في الجامع أو في الكنيسة، ربه في نفسه ومعه دائما. {واذكر ربك في نفسك}[٢٩].

لن يذهب إلى الله ليلقاه عند الرجل الفاضل أو العالم أو الحاكم، الله قائم على كل نفس، وأقرب إليها من حبل الوريد، فما لشيء من هذا جاء الدين، ولكن القيمة بالدين أبرزهم الله، ليجمعوك على الله، على ما هو الله لك ومعك وفي نفسك، إذا أردت أن تستعين على تقويم أمرك فاستعن بالله وهو معك، وهو القادر على عونك، وإذا سألت فاسأل الله وهو معك وهو القادر على إجابة سؤلك، وإذا توكلت فتوكل على الله فهو حسبك وهو الراعي لأمرك، وإذا اعتمدت فاعتمد على الله، فهو نعم الوكيل لك واسأله وهو معك أن يدلك على من يجمعك عليه معك بكشف الغطاء عنك {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}[٣٠].

هذا هو دينكم الذي تنسبون أنفسكم إليه، إن أردتم أن يكون لكم هذا الدين فكلكم رائد نفسه أولا، وأي إنسان منكم رائد غيره ما استقام لنفسه. فأيكم ينفذ ما أبينه لكم من الفطرة وكتابها ورسولها بما أقوله وأقومه بينكم، يبرز منه ويظهر به كل ما أنا بارز به لكم، أو ظاهر به معكم. فأنا لست شيئا جديدا عليكم، ولا بدعة جديدة، ولا أمرا جديدا، ولا شيئا معجما.. قضية واضحة، واضحة في هذا الدين، هذا الدين القيم، واضحة فيه من قديم، وواضحة فيه دائما، وواضحة فيه في سائر الأزمان وفي سائر الأمم، ما استقامت أمة من الناس في سلوك لها، مع تعاليم الفطرة تقيمها وتبينها برسالتها في هذا الدين، سواء كانت هذه الأمة من الإنجليز أو من الفرنسيس، أو من الروس أو من غيرهم، بقدر ما يستقيمون على هذه التعاليم الفطرية بفطرتهم، وبقدر ما تنتج هذه التعاليم آثارها فيهم، فالإسلام جماعة ومذهبا نواته المسلم إن وجد.

لو أنكم تتأملون وتنظرون إلى الشمال وإلى الجنوب، وفي الغرب وفي الشرق، في الماضي وفي الحاضر وتربطون بين حال الأمم وقديم وحاضر أفعالها لوجدتم هذا حق، لأن هذه التعاليم هي التعاليم الحاكمة للكون من الأزل، وستبقى حاكمة للكون إلى الأبد.

وما استقام الإنسان، وهو في صورة المحكوم، في هذه التعاليم، إلا وقع عليه الاصطفاء ليكون في صورة الحاكم بحكم الناموس وقوانين الطبيعة. أليس الحاكم في ظاهر من الحياة كان يوما محكوما؟ أليس المجتمع المحكوم هو الذي أنتج الحاكم فردا وجمعا؟

هذا ليس بدعا من أمر المجتمع المحكوم في شأنه الدائم. هل أنت كمجتمع محكوم، استقمت مع الحاكم الأكبر وهو الله ورسوله وهما الناموس والفطرة ولم يرتفع الله بك ويجعل منك عضدا له، وجندا له، وحاكما ومحكوما منه؟ فإنك إذا صرت أنت حاكما فيه، وحاكما به شهدتك عين من تحكم، وكان لك منه كل صفاته.

خلق لك أرضا مشتركة فلتخلق لك من مضغة قلبك غير مخلقة أرضا خاصة بك. خلق لك سماء مشتركة فلتخلق أنت من لطيف هيكلك سماء خاصة بك. (ما وسعتني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)[٣١]، {وما كنت متخذ المضلين عضدا}[٣٢].. {والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون}[٣٣].. (إن الزمان قد استدار على هيئته كيوم خلق الله السموات والأرض)[٣٤].. (ما أعطيته فلأمتي)[٣٥].

المطلب الثمين في حياة الإنسان، أن يعرف الإنسان عن نفسه، أن يعرف كيف هو حي ولِمَ يموت؟ وهذا الذي تواجده، أين هو؟ ولِمَ لا يتعارف إليه ويعرفه؟ لِمَ خلقه؟ وماذا يريد به؟ وماذا يريد منه؟ وماذا يعمل به الآن؟

إذا حُل عند الإنسان هذا اللغز، لغز الحياة استراح من الحيرة، وعمل لكسب الحياة، فاستقامت له ملحقات الحياة الموقوتة. وهذا ما جاءت الأديان ومؤسسوها ومتابعوهم لتيسيره للناس، ليجدوا السعادة في مجاهدتهم في يومهم، وقد شهدوا شيئا مما ينتظرون في غدهم.

ولكن رجال الدين أفسدوا عليهم أمرهم واستغلوهم مع طغاتهم ليستأثروا لأنفسهم بنصيبهم من خيرات الطبيعة، ويسلبوهم حقهم منها بأوهام عن الحياة. فإذا قام رجال منهم باسم الإصلاح والعدل فإذا هم يضعون أنفسهم في موضع سابقيهم سالكين عين مسلكهم لأنهم لم يغيروا ابتداءً شيئا من طبيعتهم كما أرشدتهم تعاليم الدين والفطرة.

أنا الآن مثلا أشغل لوقتي بالأمل في الحصول على مسكن شعبي، وأجري لاهثا للحصول على شقة، وأنا الذي أملك أن أخلق لنفسي كرة أرضية، كهذه التي أنا أسير عليها وأدب عليها بقدمي، فإلى أي مستوى من الانحطاط انحططت بالقيمة الإنسانية لي! فأنا قد انحططت بالقيم الإنسانية إلى تافه جدا.

وليس معنى هذا أن لا أعمل لأوفر لي مسكنا، فهذا أمر يجب أن يكون، ولكن يجب أن يكون أمرا ثانويا وعاديا وضروريا. فالمسكن الشعبي يجب أن تعطيه الدولة لمن هو في حاجة إليه، هدية أو في صورة الهدية، أو تيسر لمن يعمل له الأسباب للحصول عليه، إذا كانت الأمة لها منها الحاكم الصالح.

ولكن لا يليق بي كإنسان أن يصير همي كله دائما يدور حول الحصول على مسكن شعبي، وأنا من كانت السماوات والأرض داره الطبيعي أستطيع بشيء من التدريب الروحي أن أسبح فيها، وأتحرك وأتجول فيها، ثم يدعوني داعي الانحطاط إلى حبس نفسي في هيكلها المادي في غرفة في بدروم لصرح وجودي باسم الإصلاح وتوفير مسكن شعبي أو تعاوني من تراب لجسدي الترابي.

إن العاقل من يريد أن يعرف ما هو، وكل منا الآن يرى قلبه محبوسا بداخل صدره، وهو الذي عن طريقه يحس الإنسان بالسعادة أو بالشقاء، وعن طريقه يخدعه من يخدعه، وعن طريقه أيضا يهديه من

به يهتدي، فمستقبل كل إنسان عن طريقه يصلح أو يتلف، فما هو هذا القلب؟ وكيف يحيا؟ وكيف ينمو؟ إنا نريد أن نعرف ماهية قلوبنا، إنا لو حيا منا القلب على ما يبشرنا الله، ويكلفنا كيف نفكر بما يجلب لنا الهم في هذه الدنيا الموقوت مقامنا فيها؟ وكيف نقبل أن نكون عبادا أذلاء لها ولأهلها؟ وكيف نخنع للباطل فيها والحق ما يهمنا، وكسبه وعلاء كلمته ديننا؟ فإنا لو حيت قلوبنا تفه عندنا أمر الصفة الهيكلية لها من المادة فهذه قوانين خاصة بها تأخذ مجراها فيها.

الرجل البوذي الذي حيا قلبه، لا يأبه لهيكله الجسدي من المادة، فهو أشجع بكثير من الجندي في الميدان. تأمل وهو يلقي على جسده البنزين ويوقده وهو واقف ليحتج على أمر ظالم، أو على حكم ظالم وهو في وقفته أو قعدته ثابت غير منزعج، لا يحس بألم الحرق فلا تراه يجري مضطربا على غير هدى. انظر إلى حالة محروق عادي وهو لا يستطيع أن يقف في مكانه، فإن هذا الجيش الكامل العدة الذي يتمثل في شخص يحترق لا يتحرك من مكانه إلى أن يصير شيئا من التراب أو من الفحم، وهو ثابت في موضعه.

ماذا يحرق هذا الرجل؟ إنه ليس ما يحترق.. هل الإنسان الحي القلب هو الشحمة واللحمة التي تحترق؟ أنت لست بدنك.. هذا هو القلب الحي.. هذا هو الإنسان الحقيقي.. هذا هو المصباح المضيء.. هذا هو الشعلة.. هذا هو الحياة. إنه يضرب لأموات القلوب مثلا لتفاهة الشمعة أمام ما يصدر عنها من النور، إنها تحترق حتى تضيء لك طريق الحياة وتتساقط هي أمامك عن رضاء لفعلها حتى تذوب وتنتهي مادتها ويخلد في الكون ما صدر عنها من النور.

فنحن نريد أن نستفيد من هذا الدين القيم، من هذه العقيدة التي ولدنا في بيئتها، وللأسف فنحن نخرج منها بمسلكنا وفعلنا، لأننا ما فكرنا في قيمة الفرصة الذهبية التي أعطيت لنا بمولد في بيئة هذا الدين على أرض الفطرة.

إن المجتمع الذي يقول إنه مجتمع إسلامي في يومنا هذا، كم أخذ على قفاه من كل مِلة ومن كل إنسان! مص دمه اليهود، وضربه المسيحيون من الغرب، والوثنيون من الشرق، وأسجده الظلمة والطغاة فيه لأوثانهم وما زالوا.. مجتمع حاله مضطرب وتالف، ولا يفكر في دعوة أن تعالوا نجدد أمر هذا الدين اللهم إلا إذا أردنا أن نمتطي الدين لغاية زمنية ضارة أو تافهة.

نحن نريد أن نجدد مجد العرب.. هل العرب كان عندهم مجدٌ أو عرفوه؟ هل جاءهم مجد إلا بالقرآن والرجل العربي الذي قادهم به النبي العربي، الذي خرج من بين ظهرانيهم فكان مجدهم أن كان منهم، وهو من أكلوا خيره وأجزلوا ضُره، ولم يتركوه طليقا حتى في بيته! ولآخر لحظة من حياته.. كانوا في

مقاومته، ولم يؤمنوه حتى في أولاده، وما زالوا حتى اليوم يقتلون فيهم، وكل بصيص من نوره يظهر يسارعون بإطفائه، وإن تفجرت منه لهم عين ماء يسارعون بردمها. هذه حال من يسمون أنفسهم أمة محمد!! هذه هي حال مجتمعنا الذي نعيش فيه.

فهل نحن هنا اليوم في هذه الجماعة الصغيرة حريصون على أن نجدد لأنفسنا هذه العقيدة؟ لو كنا أو لو فعلنا، أو لو جددنا لأنفسنا هذه العقيدة، لتجدد لنا عنها كل ما نتج منها، على ما عرفنا بصدر الإسلام.

إنا طبعا لا نستطيع أن نُصدر لأمريكا طائرات نفاثة فهذه ليست رسالتنا، ولكنا نستطيع أن نصدر لأمريكا حكمة تسجد أمريكا وهي مفتقرة إليها اليوم. إنا لا نستطيع أن نصدر لإنجلترا دبابات ولا مدافع ولا رادار، ولكنا نستطيع أن نصدر لها نظاما تسجد له وتحترمه، وتكمل به ما ينقصها في نظمها، وما تفتقده في سياستها، وإن فعلنا فإنها تحترمنا بسبب تعليمنا لها.

فنحن وقد أكرمنا الله برسول الله لا احتجاب له عنا لنكون معلمي البشرية.. لنكون كتاب الله للبشرية.. لنكون القرآن لأهل الأرض جميعا.. لا ولأهل السماوات فهذا شرفنا وهو شرف يكفينا، من جانب الشرف البشري.

إن الروحية الموجودة الآن في هذا العصر ما جاءت إلا لتبرز هذا المعنى. وأنا لم آتِ بهذا من عِنديّاتي ولا من تعصب لديني أو لرسول الله، ولكني أجيء به لأنني صدقت مع هؤلاء الذين يتصلون بالأرض، وصدقت مع نفسي لا أخدعها ولا تخدعني فتكشفت أمامي القضايا، وأنا بدوري أكشفها لكم، (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٣٦]، فأنا مثلكم أريد أن أصير مؤمنا، وأريد من الله أن يكرمني بالإيمان بنفسي عبدا له، حتى أعرفه حق معرفته والإيمان من طبيعته الزيادة والنقصان.

الله لا يقبلني كمؤمن إلا إذا كنت أنا قد آمنت بشيء ما من الخير أقدمه لإخواني في الدين مؤثرا به، إلا إذا عرفت شيئا من الحقائق أقدمه لهم، وهذا الذي أفعله الآن بينكم، فأنا واحد منكم.. لا أنا رسول، ولا أنا ولي، ولا نبي، وإن شئتم وصدقتموني ولا رائد، لأني أنا مرود، أنا مريد ولست رائدا، وسأبقى كذلك حريصا على ذلك، وإنما أنا مشفق على عقولكم كمسلم عرف كيف يكون مسلما.

إن الرائد لي الظاهر لي ولكم هو أخي (محمد عيد غريب) ولست أنا الرائد، ولكني مريد يعض على جذع شجرة، إني أعتقد في نُصب من هيكل إنساني بدلا من حجر حتى ينفعني هذا الاعتقاد.. إني أتجه لنصب فيه الروح.. فيه الحياة، بعد أن حرت في معنى القبلة وسرها وحكمتها ومعناها وإشارتها.

والآن لقيت القبلة فإن رأيتموني صادقا فصدقوني، صلوا مثلي في اتجاه القبلة، تصوروا محمد عيد غريب هو القبلة في استقبالكم لغرفة مكة.. هو سر الكعبة.. هو الرجل الذي يسكن هناك وتمثله الكعبة، إن الذي في الكعبة هو الذي هو فيه ويتحدث منه. هذا هو الغرفة التي أعطتها وزارة الإسكان الإلهية لمن هو فيه، ويفعل به، ويظهر منه.. أعطته هذه الغرفة التي تذهبون إليها في مكة، هذا الرجل باب وسُلم للحق القاعد فيه، أي أن محمد عيد غريب بيت للسيد المرشد.

اعتقدوا هذا ينفعكم هذا الاعتقاد.. اتجهوا هذا الاتجاه، يستقيم اتجاهكم، لأنكم لا تستقبلون بما شرع لكم حائطا، ولكنكم تستقبلون هيكل إنسان، وهو ما يشير إليه هذا الحائط من تراب.. إنه هيكل الإنسان يذكر فيه اسم الله. كان الرسول أول هيكل وضع للناس يتتابع بكوثره لهذا المعنى.

أمر على الديار ديار سلمى أُقبل ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار.[٣٧]

أتختار دارا مسكونة، أم تختار دارا حالها خراب يباب؟ طبعا دار مسكونة أفضل، فليس هناك أقوى ولا أقوم ولا أجمل من هذا الذي تفعله الروحية في هذا العصر لكشف الستار عن سر القبلة. إنها تعطينا من بيننا ومن أنفسنا دارا مسكونة.. بيتا مسكونا.. غرفة مسكونة.. تسكنها روح الله.. قلبا عامرا مسكونا يسكنه نور الله، ومنها يتحدث إلينا الحق الإنسان من وراء حجاب الإنسان، ويظهر لنا فينا ومعنا، نورا ينتشر فينا، ويظهر بنا، ويتحدث منا.

كثير منكم ممن حضر جلسات الاتصال الروحي، رأى النور بالعين المجردة، بالنظر العادي، وهو يظهر في الغرفة ومن أصابع الوسيط أو من وجهه حتى يختفي الوجه تماما وهو يقترب منه أو من مريض أو في مقعده، بشكل واضح سافر، يعني أن هيكل الوسيط يقابل حجرة القبلة، فكلمة هيكل، أو غرفة يسكنها نور الله، أو تحجب نور الله، أو فيها نور الله. نحن نقول بيت الله، أو بيوت أذن الله أن ترفع أو أن توضع، ويذكر فيها اسم الله، أو أن نور الله بيننا وبينه حجاب. وبماذا نصف الله في حال التعريف عنه؟ {الله نور السماوات والأرض}[٣٨]، فإذا تواجد عندنا بيت مسكون بنور الله، ونور الله يظهر منه بقدرات ربانية من الرحمة، فأي قبلة أوضح من هذه القبلة؟ وماذا نريد بيانا لما جاء به القرآن، أو لما جاء به رسول الله عن بيت يذكر فيه اسم الله أقوى من هذا، أو أكثر وضوحا وأدق تعبيرا؟ ما ظهر الله - نور السماوات والأرض - في شيء - في قبلة - مثل ظهوره في الإنسان.

فهل يمكنني أن أقول إن فلانا من الناس رائد أي وسيط وهو لا يظهر منه أو من أصابعه أو وجهه نور الله، في الوقت الذي لا أستطيع أن أرى أو أرى فيه المعاني التي يمكن رؤيتها في وسيط غيبة كاملة

لروح مرشد؟ إن وسيط الغيبوبة الواعية لروح مرشد لا يملأ فراغ وسيط الغيبوبة الكاملة فيما أعد له وخص به من الإعلام عن الاتصال وهو المصدر المأمون الجانب للتعريف عن وسيط الغيبوبة الواعية خليلا له.

فإذا قلنا عن شخص ما الشيخ فلان، أو الشيخ علان، وأنه عالم فاضل وفقيه عظيم، فكيف أعرف له الفضل، وما هو الدليل الذي يمكن تقديمه عن فضله، أو عن علمه، لأفيد من صحبته إلا عن طريق الاختلاط لزمن كافي ولتجربة يتولد عنها عقيدة؟ ولكن إذا قعدت بضع دقائق في جلسة اتصال روحي، يمكنني أن أعرف عظمة الاتصال وما يمكن أن يكون للإنسان من نور السماوات والأرض أو من الله، فنحن بهذا الاتصال مع قبلة صامتة يتحدث إلينا الحق منها من وراء حجاب له، وهذه اللحظات كافية لإيجاد عقيدة أو تصحيح عقيدة، أو إيجاد وعي وفهم أو تصحيحه.

كثير منكم حضر جلسات روحية ورأيتم حركة الاتصال، وكيف يتكلم الروح المهيمن مع معاونيه أو مع مرافقيه بصوت مسموع لعالمنا لارتباطه بوسيطه من عالمنا، سواء كان هو البادئ بالحديث متحدثا عن أحد أفراد عالمنا مريضا كان أو متعلما يدرب للوساطة، بلغات متعددة مما نعلم ومما لا نعلم أو ردا على أسئلة موجهة إليه من عالم الروح ولكنا لا نستمع لمن صدرت عنهم.

فماذا نتطلب من بيان لما جاء به محمد وكتابه، عمن يكون العروة الوثقى بين عالمي الروح والمادة أحسن من ذلك وأقوى من ذلك؟

إذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إنا علينا بيانه... أي بيان أوضح من هذا تقدمه لكم الفطرة، التي كان الإسلام دينا لها، وجاء الرسول أمرا وشأنا لها، وقام بينكم بظاهره وجودا جديدا لقديم فيها نواة لدائم بها، وبباطنه حق قائمها لباطنها بظاهرها، إظهارا للدين كله؟ ماذا تقدم الفطرة أوضح من هذا؟ ما تريدون منها؟ أتطلبون منها أن تعد لكم أزهرا شريفا في السماء الأولى، وتهيئ لكم أسباب الوصول إليه لتجدوا عددا غفيرا من العمداء والأساتذة لكليات أصول الدين وكليات الشريعة وما إليها، وقد رُقوا إلى الدرجات العليا وحصلوا على فروق المرتبات والعلاوات فنذهب لنحضر ونسمع، ليتبين لنا الحق من الباطل؟ بعقلكم ماذا يعمل الله ليبين لكم؟ ها هي الأمور في ظهور مذهل أمامكم.

حادث فير فورد الذي وقع بالأمس، ألا يكفي لبيان قانون رد الفعل برد الأعمال إلى آتيها؟ أو الحكمة القائلة من أعمالكم سلط عليكم؟ ها هي الحوادث أمامكم تسير ناطقة بالمراد منها في كل مناسبة. أنا الآن سأقول لكم أن حرب فيتنام سوف تنتهي قريبا.. وسيقول بعضكم أو من يسمع ذلك عنكم، يا سلام عامل نبي ويقدم نبوءة، فإذا بها تنتهي بعد أيام أو أسابيع، فيقول البعض يا للولاية! ويقول آخرون هي

الصدفة، ليس هناك ولاية، وليست هي الصدفة ولكن الذي أقامها هو الذي سينهيها، أقامها لحكمة وأنهاها لحكمة، فقال عن طريق من يعبر عن مشيئته من عوالم الروح، إنه يرى في الأفق إنها في طريقها للتوقف والانتهاء، فحمل إلينا السيد المرشد هذه النظرة وجرائدنا لم تقل بعد في هذا الأمر شيئا، فإذا ما جاءتنا الجرائد بما يؤكد هذا يقول بعضكم الكرامات، النبوءات، والمعجزات.

إن الأرواح لا تحب أن تتحدث بهذا الأسلوب إلى البشرية إلا نادرا أو لقصد، حتى لا تثير بلبلة في الأفكار بأساليب منحطة، ولكن القرناء للبشرية من الجن يستهويهم ذلك.. (أنتم طابخين ملوخية) فتقول كرامة وإطلاع على المغيبات.. قراءة من اللوح المحفوظ، يقول الممسوس المشعوذ مثلا (اسمع كلام أمك)، ويكون شاتمها في الصباح.. فيقول كرامة للشيخ المطلع على الغيب. نحن نعيش في وسط من الجهل ومن العقليات السخيفة أو المنحرفة، وفي جو خانق، والعقول تعبة ولا تريد أن تستقيم.

تكلم أخا لك بما ينير أمامه الطريق إلى الحق فيعطيك ظهره مدبرا، وآخر يقبل على الحديث عن الحق فيجسده لنفسه، أو يجسده أمامه فيسجد لك أو للناس بصورة آلية حركية، ولا من يريده للسجود له، ولا من يدعوه لذلك. ما كان الداعي صادقا في دعوته، وما كان المدعو صادقا في استجابته، إنما يريده معتدلا عاقلا مستقيما، مقدرا.

استمع للكلام واحكم له أو عليه بضميرك فإن أعجبك فاقبله، وإن هداك فاحمد الله، واشكر الله، واعرف الفضل لذويه، فعرِّف عن مائدة الله عرفتها وطعمت منها.

إن من يعرضه الله للدعوة يشعر بالتعب مع نفسه ومع من حوله. ومن الناس من يضع الداعي في موقف الاتهام أمامه ويطالبه بالدفاع عن نفسه، فيقولون له: أنت إيه؟ أو هو إيه؟ هو ولا حاجة، هو مثلكم تماما.. فماذا يفعل وماذا يقول مثل هذا الإنسان؟

فإذا قلنا لكم اليوم أنتم تعملون عملا جليلا جدا، وأنتم غير مقدرين لخطورته، وأنتم لا تعرفونه تماما لأنه غير مطلوب أن يكشف لكم بوضوح الآن وهذا من الأفضل لكم ولنجاح العمل نفسه، ولما سيكون من أمر نصيبكم من هذا العمل الذي أنتم قائمون به، وهذا لخيركم ولخير الناس، حتى تزيدوا من جهدكم وتستزيدوا في تكوين أنفسكم عملا بقول القوم (لا تستعجلوا الفتح) حتى ترتفع الطريق بكم بعض الدرجات، فلا تبطركم النعمة عند سفورها.

وهذا أمر ظاهر بحكمة الله في واقع الحياة المادية أو الزمنية ومدرك في البيوت البشرية كلها تقريبا. فنحن نرى أولادا مات أبوهم وترك لهم الثراء فخسروا وضعهم في الدراسة وفي الحياة، أو ترك لهم تقوى الله فحفظوا ويسر الله لهم.

وإخواننا في هذه الطريق منهم من مر في هذه التجربة أو شهدها فرأوا فيهم هذا الأمر، بمعنى أن من إخواننا من يرون هذه الحالة موجودة في أمر أنفسهم وسلوكهم، ومنهم من تأملها في أهله وبيته.

إن الإنسان في كثير من الأحوال عندما تكشف له نعمة الله عليه ولو بقليل منها يفسد أمره عليه، ويضيع نعمة الله له قياما واستكمالا. ولا يعرف كيف يواصل أخذها، وقد يظن أنه استكملها يوم يفقدها.. فأنتم هنا تتأهلون وتربون تربية عظيمة وخطيرة لصالحكم ولصالح البشرية ولصالح آبائكم وأجدادكم ولصالح أبنائكم وأحفادكم. بمعنى أنكم تحصلون هديا إسلاميا على ما هو الهدي الإسلامي حقيقة.

هذا هو الجو هنا والذي خلق لنا هذا الجو - إذ نحن الفقراء - هو ما أسميناه الاتصال الروحي، الذي هو تجديد وتغيير جسيم في خلقة البشر في قائمها في البشرية. وهو بيان عملي وشافي فيما يتعلق بما جاء بالأديان والعقائد من أنباء عن المجهول من أمر الحاضر في سابقه ولاحقه، لأن هذا الاتصال ما جاء إلا تطهيرا للعقائد الفاسدة، وتفسيرا للقضايا الغامضة علينا عنا، وكشف للمجهول علينا فينا. وهو ما يسمونه في الديانات القديمة بالقيامة أو الساعة أو البعث أو الحشر سمه كما شئت أو تشاء، فهو أمر لم يخرج عن معرفة الإنسان عن نفسه.. ونحن هنا نتكلم كثيرا، لشرح هذه الألفاظ، لأن هذه الألفاظ بعد أن كانت طريقا للهداية للناس، أصبحت بالانحراف بها عن مدلولها أسلوبا قويا فعالا لتضليلهم وسلب إرادتهم وحريتهم وحقوقهم بالشعار الخطير انتظر يوم القيامة.

{إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون}[٣٩] كيف تحدد يوم القيامة وأنت فيه؟ إنه يطوي حياتك من بدايتها لنهايتها.. كيف تخرج منه لتراه؟ أنت تسير فيه في الألف لآدمها.. أنت تعيش وتموت وتقوم وتقعد وتولد وتبعث فيه، أي في يوم القيامة، فأي يوم للقيامة هذا الذي تنتظره!

ها أنت في القيامة.. أليس قيام النبي لنا بيننا لكسبنا قيامة؟ هل كسبناه؟ هل قمناه؟ بعث النبي بالحق نبعث به بداية لنا له ونهاية، فهل بدأناه وانتهينا منا إليه لنا؟

إن يوم الفصل كان ميقاتا للطاغين مآبا، لابثين فيه أحقابا.. فكيف يكون يوم الفصل وهو أحقابا من السنين أمرا يبتدئ ويبدو لنا محكوما بدورة الأرض، الدائبة في فطرتها ملايين السنين على ما هي؟ هل أقطع ورقة النتيجة وأقول اليوم يوم القيامة؟ وهل أسمع لجاهل يخاطب جهلاء، يقول لهم يوم القيامة سنة ٢٠٢٦ ميلادية، فأقبل منه؟!

السنة التي مضيت قالوا هذا القول، وقبلها قالوا، وكم في قديم قالوا نفس المقالة. وحددوا مرة عشرين يوما لقيام القيامة، ولم تقم، وكم من قبل حددوا وصوروا أن القيامة التي يعنيها الإندونيسيون هذه المرة

هي ما قام بينهم فعلا من مذابح بشرية فيهم بين أدعياء الشيوعية وأدعياء المسلمين على الإسلام، فقالوا يوم القيامة لهول ما هم فيه. لو تأملت لقدرتهم - صادقين وليسوا بكاذبين - فبماذا يفسر إزهاق الأرواح دون جريرة ودون مقتضى أو مبرر؟ نصف مليون شاب تُسال دماؤهم في مذبحة بشرية مفاجئة، ودون علة، فإذا كانت القيامة هي الإبادة فهذه قيامة، ولا أكبر من ذلك يكون في التصوير.. إنها الإبادة.. إنها هي القيامة.

ها هي الآلاف من النفوس تزهق أرواحهم في فيتنام، أليست هذه قيامة؟ ما دامت القيامة في عرفكم هي إزهاق الأرواح بالجملة.. وها هي قنابل هيروشيما وناجازاكي، أما كانت صورة كاملة حية للقيامة المقدرة لإدراك البشرية؟ أليست أمل كل حرب قيامة؟ أليست ضريبة الموت الدائمة الثابتة على البشرية قيامة دائبة قائمة؟ (من مات فقد قامت قيامته)[٤٠]، (لكل منكم قيامة)[٤١]، (لكل منكم ساعة)[٤٢].

إذا عرفنا البشرية وحدة، أليس نظام المواليد فيها بعث وحشر دائم؟ فنظام الموت قيامة دائمة. {يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها}[٤٣]، {والذين آمنوا مشفقون منها}[٤٤]، {ويعلمون أنها الحق}[٤٥]، {أكاد أخفيها}[٤٦]، {وإنه لعلم للساعة}[٤٧].

{إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون}[٤٨]، {وتلك الأيام نداولها بين الناس}[٤٩]، {إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة}[٥٠]، فكيف نحدد أول الألف إذا لم يكن بمولد دعوة في مولد صاحبها؟ إذا عرفت أن يوم القيامة ١٠٠٠ ألف سنة فكيف أقول أنا مريت بيوم القيامة؟ ولو تفهمنا الدين فهما مستقيما وقرأنا الكتاب بعقولنا قويمة وسألنا من الناس الذين فهموه وعرفوه ولمسوه وقاموه وأشرقوه، لفهمنا ما هي القيامة وفهمناها قائمة على دوام، فاعلة ونحن منفعلون معها فتحررنا واستقمنا، والرسول الذي هداك بها يقول لي ولك، لكل منكم قيامة، ولكل منكم ساعة، ومن مات فقد قامت قيامته، وموتوا قبل أن تموتوا، حتى تقيموا القيامة لمتاعكم، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا لتزحزحوا عن النار فتدخلون الجنة عرفها لكم، وتمرون بساعتكم لمعنى حاضر ومشاهد الحياة لكم، فتعلمون ما قدمتم وأخرتم من أمر أنفسكم في هذا الحاضر للحياة. هذا للفرد وللبيت وللأمة، {فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون}[٥١]، {وتلك الأيام نداولها بين الناس}[٥٢].

{علمت نفس ما قدمت وأخرت}[٥٣]، فما تكون القيامة؟ أليست هي علمت نفس؟ وإن علمت نفسك اليوم ما قدمت وأخرت، فهذا العلم ما يكون؟ بماذا نسميه بالنسبة لك، يا من علمت نفسك ما قدمت وأخرت؟ {إنه لعلم للساعة}[٥٤]، يوم يعلم هذا العلم تعلم نفسك ما قدمت وأخرت.

فإذا لازمت المرشد استجابة لهدي الله هو {الرحمن فاسأل به خبيرا}[٥٥]، فكشف الله لك ما كان الإنسان في أطواره من الحيوانية وفي أطوار النفس بهيمة الأنعام، مطية المسير، إلى الصور الإنسانية، حتى صارت من هو في حاضرها، وهو ما قامت على أساسه، تعريفا وإبانة علما وطريقا، رسالات الحكمة والتوحيد بين القلوب والقوالب في الشرق، في الهند وفي الصين قديما، وفي هذا البيان لما جاء برسالة الفطرة لمعنى سلالة من طين، وسلالة من ماء مهين مرحلتان متميزتان للقالب والقلب. فالقرآن يكشف لأهله على وضوح وصراحة، لأن رسالة محمد ذهبت بالإنسان لما هو بعد ذلك اتجاها لكسب الحق واسم الله لنفسه.

يقولون إن القرآن لا يعرف التناسخ؟ {ما ننسخ من آية أو ننسها نأتي بخير منها أو مثلها}[٥٦]، وهل كان الإنسان على الأرض إلا آية لله، {وجعلنا ابن مريم وأمه [آيتين]}[٥٧]، خلق الإنسان من سلالة من طين.. مرحلة قبل أن يصير إنسانا، ثم هو في مرحلة ثانية سلالة من ماء مهين، عندما يتواجد الناس من ماء الحياة {وجعلنا من الماء كل شيء حي}[٥٨] فيخرج من بين الصلب والترائب، بحارا للحياة للمجتمع من العلق، يتطور في أرضه من بويضة عالم المرأة، إنسانا تنشق الأرض عنه في أحسن تقويم.. ثم يتطور بعمله، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها، حتى يتعلم كيف يجدد نفسه بأمانة نفسه، ثم يجدد نفسه بنفسه ونفسه بنفسه حتى يصير في نفسه بنفسه لنفسه عبدا وربا وغيبا.

هل يعرف أحدنا كم جاء في البشرية من قبل وكم مرة، أو أن هذه هي أول مرة يأخذ فيها السمت البشري؟ إنك لا تعرف.. يجوز أنك جئت البشرية مرارا، وتخرج من هذه المرة أيضا صفر اليدين ولا تكسب مقام البشرية، وإن كسبت سمتها في البنيان، وبقيت بجوهرك الحيواني في المعنى والعنوان فما زلت مرتبطا بأمك البقرة.

إن النائب الهندي الذي صاح في مجلس النواب (فلتحيا أمنا البقرة)، هل فارق الصواب؟ إن هذا ما عناه عيسى بقوله أنا ابن الأرض، وما عناه محمد بقوله تنشق الأرض عني، وما عناه الذكر الحكيم عن آدم وابن آدم من أن الله خلقهما من تراب في المرحلة إلى البشرية، ثم من إرادتهما إلى المرحلة الإنسانية، ثم إرادته بهما إلى خلودهما الحقي.

وهذا ما هدف إليه الحديث في قوله (لولا بهائم رتع)[٥٩].. لماذا هذا التكريم للبهائم الرتع؟ لأن البهائم الرتع هي أساس حياتك المادية كبشر، أنت تذبحها وتأكلها لتبني منها جسدك، وفي هذا تطويرها لبنيانها الذاتي. إن الله يمنع العذاب عن أهل الأرض لأن فيها بهائم رتع.. لأن هذه البهائم الرتع، ستتطور إلى بشرية في طريقها للتواجد، لتصير يوما إنسانية، وربما كانت أوفر حظا في طاعة الله من البشرية الحاضرة، في حظها موفورا من الإساءة إليها، بالإساءة إلى حقيقتها لها.

فإذا كان هناك من كانت عقيدته عن أطوار الحياة كذلك، وغضب لما فهم أنه أساء معاملته للبقرة، فهل نقول له أنت كفرت، وحل لنا حرقك؟ أما يصح أن نفهم عنه لما عنده، ونقدم له ما عندنا من أن الله وضع عنا ما سبق أن ألزمنا، وخفف لنا وغير هذا النظام العقائدي، وكشف عما هو أصلح لها وأيسر لنا، وهيأ للبقرة أن تصير لقادمها جزءا منك أنت أيها الإنسان، إذا أكلتها جسدا، وتطورت بها إلى نفسك بشرا، من نفسها حيوانا، فالبقرة من سعادتها أن تأكلها فكُلها واهنأ بها، لأنها ستفرح بك وتطمع أن تكون خلية في إنسانك.

وتأمل بوذا وقد قال هذا في رسالته وكشف عن نفسه به في قديمها بيانا لما جاء بكتاب الإسلام {ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم، وما كنت متخذا المضلين عضدا}[٦٠]، فبوذا ما كان ضالا فهو يقول يوم أُشهِد خلق نفسه، (لما كنت أرنبا فدعوت البراهما ليأكلني، واندفعت إلى النار وأصلحتني له فأكلني، لأني وجدته جوعانا، وضربت بنفسي مثلا للإيثار أمام رفيقي)[٦١]، هذه تعاليم بوذا وهديه فلِمَ لا تعمم في الهند ولا تحرف عن مواضعها؟ ولِمَ لا تُعلّم لأهل الكتاب؟

قولوا لهم إن بوذا نفسه، كان أرنبا، قبل أن يأكله البراهما، فلما أكله البراهما تهيأت له الفرصة ليكون إنسانا. فأنتم البراهما فكلوا البقرة لتسعدوها، ولتحاربوا الفقر وتحيوا أبدان الناس، أبطلوا هذا النظام لأننا وصلنا برسالات مجددة لأمور وفهوم أرقى عن الحياة، بدأها بوذا بتوعيته، ونمت إلى ما هو أقوم وأرقى وأفعل في الحياة، فالبشرية في كل مكان في حاجة إلى توعية ودوام تجديدها.

زعماء الهند في حال من المشقة من الجمهور وهم لا يفهمون أن حل مشاكلهم هو في الدين الجديد الذي جاء متتابعا بموسى وعيسى ومحمد بجوارهم في الشرق الأوسط، كمالا لما عندهم، وعليهم أن يعمموا هذا الوعي.. إن غاندي ونهرو ابتدآ في هذا وعلى خلفائهما استكماله، إن أرادوا ببلادهم وبالإنسانية خيرا، فلعل الهند بروحانيتها أقرب الشعوب للاستجابة لنداء الروح، لقد أدخل غاندي الفاتحة والصمدية وفقرات من الإنجيل والتوراة على الصلاة العامة، لأن نفسه غير مستريحة للتعصب الأعمى مؤمنة بوحدة الروح ووحدة الحياة. فهو كإنسان عاقل ومدرك، بدأ بهذا أمرا هو أخطر من استقلال الهند. وكان على متابعيه متابعته عليه، وتمنية أواصره.

فهل هناك صلاح يرجى للإنسانية، وهي في حالة بعد عن تعاليم الإسلام؟ وهل هناك إسلام يقبل إذا كان أدعياؤه بعيدين كل البعد عن تعاليمه الفطرية المدركة للعقل؟

لن يكون للبشرية صلاح للدول المتخلفة، ولا سلام بين الدول المتقدمة في المدنية الزمنية لا في تصنيع ولا في سياسة، ولا في حكم عادل، ولا في تحرر من الاستعمار، أو في تجمع إنساني، ولا في اتحاد

للعروبة، ولا في اتحاد للمسلمين تحت لواء الإسلام، باتحاد إسلامي، أو في اتحاد إنساني، أو أي رجاء يحقق في هيئة أمم صالحة لها كلمة نافذة، ما لم يرجع الإنسان بفرده وجمعه إلى التعاليم الفطرية، وهي تعاليم الإسلام.

والعقبة أمام العودة إلى تعاليم الإسلام إنما هم أدعياؤه.. إن عنوانه الموجود الآن بالفرد والجماعة فاسد، فأنا لا أستطيع كإنسان عاقل أن أقول لخروشوف مثلا، أسلم تسلم، وها هو العنوان للفرد المسلم نقدمه، مدير الأزهر أو شيخه، ولا أستطيع أن أقدم الشعب السعودي حول البيت مثالا لأمة المسلمين. إن فعلت فأنا إنسان غير عاقل ورجل سخيف، وهذا ما ضيع في الناس فطرتهم بالإسلام.

فمطلوب منا يا من نقول بأنا مسلمين، أولا أن نسلم.. أن نجدد ديننا، أن نجدد إيماننا، فالرسول يقول كنت أجدد إيماني في اليوم سبعين مرة، ونحن انعقدنا على ما نحن فيه، ولا من يفكر. إن هذا الدين.. إن الإسلام، ليس ماؤه راكدا، وهو النهر الجاري. هو ليس بركة مليئة بالناموس والقذارة، على الصورة التي يبدو بها الآن من فعلنا.

الإسلام بحر زاخر متجدد لا يتوقف تنزليه، ولا يتعطل تأويله (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)[٦٢]. (الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة)[٦٣].. (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم) [٦٤]. الإسلام ليس ميتا.. الإسلام كائن نامي، مشرق، منتشر، وظهور صاحبه في أمته خير لمن ظهر له. وخفاؤه خير لمن جاهر وطلب الحق لنفسه.

فالصحيح والواقع أن الإسلام يعالج جميع مستويات الفكر، ويرتفع بالفكر من مستوى لمستوى، ويتمشى مع الفكر المنحط ومع الفكر العالي، ومع الفكر المتوسط، ويعطي لكل واحد منها ما يناسبه. فتعاليم الإسلام لكل إنسان على قدر إدراكه وقدرته على الفهم، فلا يعقل أن أقدم أقل مستويات الإسلام لأفرضها على كل العالم الكتابي. لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بما لديكم مما هو أحسن مما عندهم. كيف أطلب هذا وهناك من غير المسلمين علماء في القمة في مجال الحقيقة والعلم عنها هم في الفطرة بسلامتها.. والإسلام دين الفطرة، والعقل أصل فيه، فنحن المسلمين سبة الإسلام.

فإذا كنا نريد أن تكون لنا قيمة فعلا فيجب علينا أن نجدد إيماننا وإسلامنا، وندخل في الإسلام من جديد حتى يمكنا أن نظهر به الصورة الكريمة في مستويات الإسلام المختلفة، وننسق بين هذه المستويات التنسيق الذي رتبه لنا الرسول والذي رتبه القرآن، والذي هدانا إليه الله، وأمرتنا به كلماته إلينا بأئمتنا، وهذا ما جاءت الرسالة الروحية في هذا العصر لتهيئ أسبابه وتجدده لنا.

ونسأل الله أن يتولانا جميعا برحمته وهدايته، وأن ينير قلوبنا جميعا بنور رسالته برسوله الجامع لجوامع كلماته، وأن يصلح شأننا برحمته.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ من حديث شريف جاء في أكثر من صيغة: (المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس) رواه الطبراني)، وفي رواية أخرى (أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل، سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة، أحبُّ إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة). رواه الطبراني.

٢ حديث شريف. أخرجه الترمذي في صحيحه، والدارمي

٣ حديث شريف ذات صلة: "خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى. وابدأ بمن تعول." صحيح البخاري وصحيح النسائي. أيضا: "ابدأ بنفسك فتصدَّق عليها فإن فضلَ شيءٌ فلأهلكَ، فإن فضل من أهلك شيءٌ، فلذي قرابتِك فإن فضَل من ذي قرابتك شيءٌ فهكذا وهكذا، وهكذا." أخرجه مسلم والنسائي.

٤ استلهاما من حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم الإمام علي بن أبي طالب: " فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لكَ حُمْرُ النعم" أخرجه البخاري ومسلم.

٥ حديث شريف: "من أصبح وهَمَّه الدنيا، فليس من اللهِ في شيءٍ، ومَن لم يَهْتَمَّ بأمرِ المسلمينَ فليس منهم، ومَن أَعْطَى الذِّلَّةَ من نفسِه طائعًا غيرَ مُكْرَهٍ، فليس منا." أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)).

٦ مقولة صوفية توضح أن الذكر بالقلب له قوة وأثر لا يستهان به.

٧ سورة النجم - ٤

٨ من حديث شريف: "مهلا عن الله مهلا، لولا شباب خشع، وشيوخ ركع، وأطفال رضع، وبهائم رتع، لصب عليكم العذاب صبا." رواه البيهقي في السنن. كما رواه البزار، والطبراني في الأوسط باختلاف يسير.

٩ سورة النحل -٦١

١٠ سورة القلم - ١:٢

١١ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع.

١٢ من حديث شريف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ".. وسأخبرُكم بأوَّلِ أمري: دَعوةُ إبراهيمَ، وبِشارةُ عيسَى، ورؤيا أُمِّي الَّتي رأَت - حين وضعَتني - وقد خرج لها نورٌ أضاءَت لها منه قصورُ الشَّامِ." أخرجه البغوي في ((شرح السنة)) واللفظ له، وأخرجه أحمد وابن حبان باختلاف يسير.

١٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١٤ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

١٥ من حديث شريف: "حياتي خيرٌ لكم تُحدّثونَ ويُحدَّثُ لكم ووفاتي خيرٌ لكم، تُعرَضُ عليَّ أعمالُكم فما رأَيْتُ من خيرٍ حمِدْتُ اللهَ عليه، وما رأَيْتُ من شرٍّ استغفَرْتُ اللهَ لكم". أخرجه النسائي والطبراني.

١٦ حديث شريف: "نضَّرَ اللَّهُ امرأً سمِعَ مقالتي، فبلَّغَها، فرُبَّ حاملِ فِقهٍ، غيرُ فَقيهٍ، وربَّ حاملِ فِقهٍ إلى من هوَ أفقَهُ منهُ." المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. كذلك جاء في الصَّحيحَيْنِ من حَديثِ أبي بَكرَةَ رَضيَ اللهُ عنه أنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: "فلْيُبلِّغِ الشَّاهِدُ الغائِبَ، فرُبَّ مُبلَّغٍ أوْعى مِن سامع"

١٧ عبارة جاءت في أحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم، منها كل وصية أوصى بها في خطبة الوداع. ومنها في حديث طويل أخرجه البخاري ومسلم: ".. فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض."

١٨ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

١٩ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٢٠ حديث شريف: "كل جسد نبتَ من سُحتٍ فالنار أولى به." أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان والطبري بصياغات متقاربة.

٢١ من قصة طويلة جاءت في الأثر عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالا، قال: "ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير لك من كثير لا تطيقه"، ودعا الرسول له فرزقه الله بمال وفير. ثم شغله المال فترك الجمعة والجماعات، ونزلت الآيات: {وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ. فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ . فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}. (التوبة: ٧٥- ٧٧). جاءت القصة في المعجم الكبير للطبراني، والدر المنثور لجلال الدين السيوطي. وكذلك تفسير ابن كثير.

٢٢ قول مأثور: "إذا غضب الله على عبد رزقه من حرام، وإذا اشتد غضبه عليه بارك له فيه"، يشاع بأنه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن تصفه معظم كتب الأحاديث بأنه لا أصل له.

٢٣ حديث شريف: "ما من ثلاثةٍ في قرية، ولا بَدْو لا تُقَام فيهِم الصلاةُ إلا قد استحوذَ عليهم الشيطانُ، عليكَ بالجماعةِ فإنّما يأكلُ الذئبُ من الغنمَ القاصيةَ". أخرجه أبو داود، والنسائي، وأحمد باختلاف يسير.

٢٤ من الحديث الشريف: "تكونُ دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ، مَنْ أجابَهم إليها قذفوه فيها، هم قومٌ مِنْ جِلْدَتِنا، يَتَكَلَّمُونَ بألسنتِنا، فالزمَ جماعَةَ المسلمينَ وإمامَهم، فإنْ لم تَكُنْ جماعَةٌ ولَا إمامٌ فاعتزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّها، ولَو أنْ تَعَضَّ بأصلِ شَجَرَةٍ حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنتَ كذلِكَ" المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. أخرجه البخاري بصياغة متقاربة.

٢٥ حديث مشهور على الألسنة بصيغة: "لو حسن أحدكم ظنه في حجر لنفعه." يوصف بأنه موضوع ولا أصل له.

٢٦ استلهاما من عبارات حكيمة يقول البعض إنها للإمام علي كرم الله وجهه، ويقول البعض إنها حديث شريف، ويقول البعض إنها حكمة مأثورة. (من أراد واعظا فالموت يكفيه، ومن أراد مؤنسا فالقرآن يكفيه، ومن أراد مفقها فضميره فيه يكفيه)، (من أراد جليساً فالله يكفيه، ومن أراد أنيساً فالقرآن يكفيه، ومن أراد الغنى فالقناعة تكفيه، ومن أراد وعظاً فالموت يكفيه، ومن لا يكفيه هذا ولا هذا فالنار تكفيه)

٢٧ حكمة دارجة، توافق مقولة الإمام علي كرم الله وجهه: " قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: "اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً بَيْنَكَ وبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ واكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، ولَا تَظْلِمْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا تُظْلَمَ".

٢٨ من الحديث الشريف "استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك." أخرجه أحمد بن حنبل والدارمي.

٢٩ سورة الأعراف - ٢٠٥

٣٠ سورة البقرة -١٨٦

٣١ حديث قدسي: "لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن." ذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين"، وفي أدبيات المتصوفة.

٣٢ سورة الكهف -٥١

٣٣ سورة الذاريات -- ٤٧

٣٤ حديث شريف: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض." أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود.

٣٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٣٦ حديث شريف. صحيح البخاري. جاء أيضا: " والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ من الخيرِ." أخرجه النسائي ومسلم.

٣٧ من أشعار قيس بن الملوح. شاعر من العصر الأموي.

٣٨ سورة النور- ٣٥

٣٩ سورة الحج-٤٧

٤٠ حديث شريف: "إذا مات أحدُكم؛ فقد قامتْ قيامتُه؛ فاعبدوا اللهَ كأنكم ترَوْنَه، واستغفِروه كُلَّ ساعةٍ". أخرجه الديلمي في الفردوس، ورواه العسكري في الأمثال، وأبو نعيم في (حلية الأولياء)، وغيرهم.

٤١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٤٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٤٣ سورة الشورى - ١٨

٤٤ سورة الشورى - ١٨

٤٥ سورة الشورى -١٨

٤٦ سورة طه -١٥

٤٧ سورة الزخرف - ٦١

٤٨ سورة الحج-٤٧

٤٩ سورة آل عمران - ١٤٠

٥٠ سورة الجمعة - ٩

٥١ سورة الأعراف -٣٤

٥٢ سورة آل عمران - ١٤٠

٥٣ سورة الانفطار - ٥

٥٤ سورة الزخرف - ٦١

٥٥ سورة الفرقان - ٥٩

٥٦ سورة البقرة - ١٠٦

٥٧ سورة المؤمنون - ٥٠

٥٨ سورة الأنبياء -٣٠

٥٩ من حديث شريف: "مهلا عن الله مهلا، لولا شباب خشع، وشيوخ ركع، وأطفال رضع، وبهائم رتع، لصب عليكم العذاب صبا." رواه البيهقي في السنن. كما رواه البزار، والطبراني في الأوسط باختلاف يسير.

٦٠ سورة الكهف - ٥١

٦١ القائل هو الأرنب في إحدى قصص جيتاكا، وهي مجموعة من الحكايات الأخلاقية الهندية المرتبطة بالديانة البوذية. في هذه القصة، يرمز الأرنب إلى الإيثار والتضحية بالنفس. القصة تسرد كيف أن الأرنب، في تجسيد سابق لبوذا، ضحى بنفسه ليطعم شخصًا جائعًا، وألقى بنفسه في النار ليقدم وجبة، في مثال عظيم للإيثار ونكران الذات. (جيتاكا) (Jātaka) هي كلمة سنسكريتية تعني "قصص الميلاد" أو "قصص التجسد". تشير إلى مجموعة من الحكايات التي تروي عن الحيوات السابقة لبوذا قبل أن يصل إلى التنوير. هذه القصص تعد جزءًا من الأدب البوذي، وتوجد بشكل رئيسي في نصوص البالي كانونيكال (Pāli Canon)، وهي النصوص المقدسة للديانة البوذية.

٦٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.

٦٣ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٦٤ من حديث شريف: "حياتي خيرٌ لكم تُحدِّثونَ ويُحدَّثُ لكم ووفاتي خيرٌ لكم، تُعرَضُ عليَّ أعمالُكم فما رأَيْتُ من خيرٍ حمِدْتُ اللهَ عليه، وما رأَيْتُ من شرٍّ استغفَرْتُ اللهَ لكم". أخرجه النسائي والطبراني

(٧)

من هو الناس؟
يعرفونه يوم يكونوه على ما هُدوا
فيكونهم على ما أُعطوا
إنسان عبوديته لإنسان ربوبيته
لإنسان الحق لحقيقته

حديث الجمعة

١ جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ - ١٦ سبتمبر ١٩٦٦ م

كافةً للناس ليقتدوه.. وكافة للناس ليتأسوه..

كافة للناس بَعثه بالحق، ليُبعثوا بالحق به..

فيكونوه، فيكونهم ليُشهَدوه وُيعلِّموه، يوم يعلمون الناس، كيف يقوموه بما قاموه، وكيف بنعمة الله يقومهم، ليَشهَدوه في أنفسهم، وبأنفسهم يُشهدوه..

في شهادتهم، لله، بلا إله إلا الله، وفي شهادتهم للحق، بأنه محمد رسول الله.

كافة للناس حقًا، يتخلقوه، يوم يقتدوه.

ورحمة من الله، يتأسوه، خَلقًا لله، لجماع خلق لله يبدأون من عالم البدء، وينتهون إلى عالم الانتهاء، فيمن لا بدء ولا انتهاء له قياما به.

آدم وجودهم، وآدم موجودهم، وآدم تجددهم، في تخلقهم، خلقا من بعد خلق، كلما بدلت جلودهم، بكرات تواجدهم، وطورا من بعد طور، يتواجد، وجودُهم، في قادمهم، على ما هو موجود في قائمهم، وعلى ما كانوا ووجدوا في قديمهم، بأمانة الحياة لهم، بأمانة الله لهم، باسم الله لهم، بكلمة الله بهم، بآدم الله لتواجداتهم، في إنسان الله لحقهم، بحقائقهم في الله منه يبدأون وفي الله إليه ينتهون.

أبت السماوات والأرض أن تحمل أمانة اسمه، وعنونةَ وجهه، وسفور حقه، وحملها الإنسان. وهل كان أمينا هذا الإنسان؟ هل كان مشرقا هذا الإنسان؟ هل كان عارفا بأمر الأمانة هذا الإنسان؟ أم تصور الأمانة فجورا وسلطانا، فحملها ظلما وبهتانا، وقدمها كفرا وطغيانا؟

فلما تكشف له أمرُه، وانكشف عنده فيه سرُه، وعرف الحق لمولاه، وعرف أمره لمعناه، وعَرفَهُ، عزيزا، ولكنها ليست عزته.. قادرا، ولكنها ليست قدرته.. حكيما، ولكنها ليست حكمته.. عليما، ولكنه ليس عِلمه.. واسعا، ولكنها ليست سعته.. فعرف ما فيه من أمره، إنما هو لمولاه.

أجلسه على عرش أمره، وأقامه بأمره، ليعلمه، ويبتليه، فلم يطعم السعادة عارية وجوده، وعارية موجوده، وطعم السعادة، في حقه هو لوجوده، لا يفقد أناه بموجوده، ولكنه يراه، ملحقا، بمن تولاه، عبدًا أسعده فآواه، وأضافه إلى أوصافه وبها تولاه، ومنها منه أبرزها، ليُعرف في معناه، ومحاه عنه، وأبقاه به منه، فعرفه العدم مع الموجود، عرفه المسيح عن الوجود.

فعرف أن سعادته في التحاقه بمولاه، معنى فيمن تولاه، فقام لظهوره حاجبا ببابه، مردداً تاليا لكتابه، خاضعا خاشعا لجزائه وحسابه، سعيدا برحمته، طامعا في دوام في مغفرته، لا يهجع عن الافتقار إليه مهما آمنَه، ومهما أَمَّنه، لأنه عرفه في إرادته، مطلقة، ليس وراءها إرادة لغيره فلا غير له، ولكنها إرادتُه تمحو إرادته ومشيئته، تمحو مشيئته، وقدرتُه تعطل قدرتَه.

فكيف يكون له معه الأمان مهما أَمَّنه، وقد أعطاه العرفان، لا ليأمنه، ولكن ليؤمنه، وليعرفه على ما هو في سعته وحكمته في معاملته له على ما هو في ضعفه ومحنته؟ فجأر إلى ربه، وجه إلهه لغيبه، وخليل نفسه في قيامه، (اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا، واحشرني في زمرة المساكين)[1].

فخاطبه مطمئنا، إنك على خلق عظيم، غفرنا لك، ما تقدم، من ذنبك، وما تأخر، من همك، وما به تقوم من وزرك، لضرورة الظهور من أنفسهم بين قومك، به تظهر لهم لمعاني غيرك، وإن كنا قد وضعنا عنك وزرك لشهودك وحسك، لظاهر أمرك لك عندنا، لنقيض أمرك بينهم، بظاهرك من أنفسهم رحمة بهم بقائم حقك لقلوبهم.

لا نأسف، أن لك ذنبا في قديم فما كان، أو ذنبا في قادم، فلن يكون، أو حملا ووزرا في قائم فقد وضع، فأنت الناس، وأنت جماع الناس، وأنت حياة الناس، وأنت رحمة الناس، وأنت جذوة الحياة للناس. هذا هو لهم وهم بك مغفورين ومنا مكرمين. {ولو شاء ربك ما فعلوه}[2].

فبشرنا وأخبرنا، (زويت لي الأرض[3]، وجعلت لي مسجدا وطهورا [4])، فتساءلنا أين سلطانك إذن؟ أجاب، لا سلطان لي مع صاحب السلطان، وما يكون وجودك إذن؟ لا وجود لي مع صاحب

الوجود، بالحق بعثني، وعن الباطل أماتني، فمن الباطل أخرجني، ومنه بالحق أوجدني، (والذي نفس محمد بيده)[٥].. {والأرض جميعا قبضته، يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه}[٦].

يتكشف ذلك للناس، يوم يعرفون من هو الناس، من كان لهم الناس، يوم يكونوه، على ما هُدوا، فيكونهم على ما أُعطوا، (زويت لي الأرض، وتبلغ أُمتي ما زوي لي منها)[٧].

يبلغ ذلك المؤمن بالله ورسوله معي، إيمانا بي لقائم نفسه، قائم وجودها كلمة لله، مذنبة مستغفرة، مستغفرة تائبة، تائبة منيبة، مناجية مخاطبة، اقتحمت العقبة، وفكت الرقبة، وانطلق العقل، متأملا، متفكرا، متدبرا، في خلق السماوات والأرض، بعيدا عنها منطلقا، لها ناظرا، وبها محيطا.

اتسع لله قلبُه، لم تتسع له السماوات والأرض، اتسع لعقله إدراكُه، نور الله للسماوات والأرض.. إنسان الله وعبده.. نجما، هوى، فشُبِّه لهم، من أنفسهم، روحا تجسد، وحقا تجسم، وواسعا منطلقًا تقيد، وسرمدا، أزليا أبديا، في قيود الزمان تواجد.

كان في قيده من الزمان، وقيده من الذات، كوثرا، وعدًّا، وما كان له لأحده في الله حصرًا ولا قديما ولا جدا ولا حدا، أزليا حضر، وأبديا بالحاضر اتحد فنسي واحتجب، في الله، لله، من الله، وإلى الله، حقا سرمديا، ما تواجد وما اكتسب.

وكيف يتواجد من هو الوجود، ومن هو في دوام الموجود؟ وكيف يكسب من هو المعطي والعطاء؟ وكيف يرحم من هو الرحمة؟ وكيف يبتلي من هو الابتلاء؟ وكيف يخلق من هو الخالق؟ {الحق من ربكم فلا تكونن من الممترين}[٨].

إنه الإنسان، إنه الإنسان في حقه، إنه الإنسان في تواضعه وتجليه بخلقه، إنه إنسان القدم لإنسان الشهادة، وإنه إنسان الشهادة، لإنسان الأبدية والإرادة، إنه إنسان الله لله، عبدا وحقا، إنه إنسان الخلق للخلق، موجودا وخلقا، هو العروة الوثقى، يدخلونه خلقا في خلق، ومخلوقا في مخلوق، ورجل لرجل، هو له سَلم، وهو عليه عَلَم، فإذا هم به يتواجدوهم فيه، حقا في حق، وحقا لحق، وحقا من حق، وحقا متواجدا بجديد حق، لقائم حق، موجودا بقائم حق لأزلي حق. {أول العابدين}[٩]، وظاهر الحق لرب العالمين {قل جاء الحق}[١٠].

إنه الطريق.. إنه فيها الرفيق والصديق.. إنه مصابيح الطريق.. إنه تمهيد الطريق.. إنه الطريق ممهدة.. إنه الخطى فيها مسددة.. إنه الموجود به ومن أوجده.. إنه وجه الله ومن وحده.. إنه اسم الله، ومن في صفاته عدده، وعلما على قدس ذاته تواجده، فما زاحم الأقدس وما عانده. إنه الدين.. إنه العلم.. إنه

الحكمة.. إنه الرحمة.. إنه الحلم.. إنه الوجود.. إنه السجود.. إنه الاعتكاف.. إنه الطواف.. إنه المراد.. إنه المريد.. إنه الإرادة.. إنه الغيب والشهادة.. إنه الإنسان.

هل عرفناه؟ هل قبلناه؟ هل طلبناه؟ هل كناه؟ هل جددناه؟ أم أنّا بشياطين أنفسنا ادعيناه؟ ما قتلناها وما بُعِثَناه، ما أمتناها وما حييناه، ما أنكرنانا وما عرفناه، ولكنا بكل باطل زعمناه، وطغاة ظهرناه، وأنفسنا لكريم ذاته التصقناه، فما بحياء أكبرناه، ولا بصدق افتقرناه، ولا بحق ناجيناه، لا لا.. إننا إلى مولاه، على أشلائه طلبناه، كلما ظهر قتلناه، وكلما نطق أسكتناه، وكلما أنار حجبناه، وبظلام أنفسنا وهِمناه وادعيناه، ألسنا عبادا لله...!!

كيف نكون عبادا لله، وهذا حال عبد الله، بيننا قلوناه، وعلى أم رأسه صفعناه، وتحت أقدامنا وطأناه، لا فردا جددناه، ولا بيتا أكبرناه، ولا أمة قمناه؟ {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}[11]، وتؤمن بالله قائم كل نفس، وأقرب إلى كل نفس من حبل الوريد.

لا تمثلوا الله، فردا من أفرادكم، ولكن اعرفوا الله، لشهادتكم كل موجوداتكم، وكل وجودكم، فهو ليس فردكم، ولكنه كلكم وجماعكم وفي فرد منكم يجمعكم، يوم يؤلف بين قلوبكم في قلب كبير، يحيط بالسماوات والأرض، ولا تحجزه ولا تحده السماوات والأرض.

السماوات والأرض، موطأ قدميه، عليها يدب، وفي أمرها يتقلب، وبها عديدًا يتواجد، يدور به الزمان، كلما دار، كيوم خلق الله به السماوات والأرض. أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم؟ وكم خلق! وكم يخلق!

هل قدرتم الله حق قدره؟ هل اتخذكم عضدا فعرفتم؟ هل جعل منكم له عبادًا فشرفتم؟ هل قاربكم فقاربتم، فكنتم كتاب السماوات والأرض، عليه اطلعتم وله قرأتم؟ لهذا دعاكم فما أجبتم، وفتح لكم فما نظرتم، وشدهكم فما تأملتم، وباغتكم فما قبلتم ولا أطعتم.

ولكنه برسول رحمته لكم أزلا وأبدا وسرمدا ما عذبكم، وبه أكرمكم، وبكتابه أنظركم، وبرحمته بشركم، وبمغفرته وعدكم، وبجنانه استجلبكم، وبنيرانه أخشعكم، وبنوره محاكم يوم علمكم، وعن ظلامكم أقصاكم يوم ذكركم.

فماذا أنتم؟ أمته، وماذا تقولون؟ ملته، وماذا تُشْهِدُون؟ شرعته، وكيف تخرجون على الناس؟ طَلعَته، أسأتم إلى أنفسكم، وأسأتم إلى ملتكم، وأسأتم إلى رسولكم وإمامكم، وأسأتم إلى ربكم، وأسأتم إلى الله، ولكنه بحَضرة رحمته، ما آخذكم بل أمهلكم وأجلكم {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم، ما ترك عليها من دابة}[12].

تتكلمون عن الحشر والنشر، والساعة والقيامة، والكتاب والحساب، والسفور والحجاب، والخلق والحق، والظاهر والباطن، والغيب والشهادة، لا بكتاب منير، ولا بعلم، ولا بهدي، ولا بصفاء في قلب، ولا بمجاهدة بعقل، ولا باستقامة في حياة، ثم أنتم مع هذا كله تحملون أمانة هذه الرسالة وأمانة هذا الدين.. أنتم المسلمون!؟

لا تخدعوا أنفسكم، ولا تنافقوا ضمائركم، بل تأملوكم بينكم وبين أنفسكم، واحكموا أنتم، بضمائركم، على أنفسكم. لو أن محمدا كان على مثالكم، أتظنون، أنه يلاقي نصرا من الله، أو تأييدا من الله، أو قبولا من الناس، أو يجمع الله عليه من جنده من ينصره، ومن عباده من يؤمنه؟

احكموا أنتم.. وإذا كان الله، في أيامكم هذه، يهينكم، ويذلكم، ويذهب بأمنكم، فيكم ومن حولكم، يأتيكم رزقكم رغدا، فإذا رزقكم يُمسِك عليكم، بآفات الدنيا، بآفات الطبيعة، بمشاكل الحياة وعقدها، بسوء مسلككم، بسوء تصريفكم، لضيقكم بالله، وبتصريف الله، وبأمور الله، وبحكمة الله، وبقضاء الله، وبابتلاء الله، فماذا تنتظرون؟

وهو الذي يقول لكم (أبي تهزأون، وعليّ تجترئون، لأتيحن لكم فتنة، تصيّر الحليم فيكم غضبانا)[١٣]. بلّغكم وهداكم، أينما تولوا فثم وجه الله، ولكنكم على وجه الله تنكرون، في قائم وجودكم، لقائم وجوده، وباسم الله وأمانته تطغون، على أسماء الله وأهل أمانته، بزعم أنكم المصلحون، وأنتم للإصلاح لا تَصْلُحون، وأنتم في حاجة لمن يصلحكم، فتصلحون بغيركم يوم تُصلَحون.

إنكم تضعون طغاتكم فوق رؤوسكم، ويضع طغاتكم أقدامهم ونعالهم على هاماتكم، باسم الدين، بوهم الدين، وقد أُمِرتم، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[١٤]. أُمِرتم أن تتخذوا من رسول الله إليكم أبا وربا.

وأُمِر رسول الله أن يَشْهَد فيكم الله، {يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما}[١٥]، يا أيها النبي، إن الله مع المحسنين، يا أيها النبي، إن الله مع مثالك، إن الله مع من كان حاله كحالك. يا أيها الناس، لا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله.

فإذا رأيت في رسول الله ربي، فماذا يفعل رسول الله وهو ربي؟ يقول لي لا فرق بيني وبينك، أنت أخي، أنت خليلي، أنت حبيبي، أنت عيني، لا فرق في الله بينك وبيني متخلقا بأخلاق ربه معه، {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما}[١٦].

هؤلاء يُتخذون أربابا بالله، وليسوا أربابا من دونه، وما كان ربا من دونه، إلا كل شيطان مريد، إلا كل طاغية جبار عنيد، {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام

لها}[١٧]. إنها رسول الله.. إنها الحق من الله.. إنها رحمة الله.. إنها وجه الله.. إنها عبد الله.. إنها الربوبية الحقة من الله، يوم ينشد الناس لهم ربا في الله، وجوه لله تتراءى، شاهد ومشهود، وجوه ناضرة لربها ناظرة.

فلا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله لنا المغفرة والتوبة، وأن يردنا إلى الصواب، وأن يقينا شر أنفسنا، وشرور الأشرار من خلقه، وأن يأخذ بنواصينا إلى الخير وأن يسلك بنا طريقه، برسوله وعبده وحقه ووجهه وطلعته، حتى ندخل في حصن وحدانيته، في شعار دينه بلا إله إلا الله، وحتى نقوم برسوله، حق قيامنا وموصوف قائمنا، لقيومنا، بالله أكبر، في معراج الله، إلى لانهائي وجوده، ومطلق ذاته لموجوده، لا شريك له، ولا موجود معه، فيه نسبح، وبه نحيا، وله نقوم، وبلسانه ننطق وبقلم قدرته نكتب، وبحقه نفتح ونحجب، عبادا له، خلف إمامنا، وحبيبنا ورسوله إلينا، وحوضه بيننا، وبحره فينا، ووجوده لنا، من عرفناه محمدا رسول الله.

اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا.

اللهم به فادفع عنا من البلاء ما نعلم، وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

اللهم به فأنزل سكينتك على قلوبنا، والسِلم والسلام على أرضنا، وقوم فيك أمرَنا وطريقَنا.

لا إله غيرك ولا معبود سواك.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ من الحديث الشريف: " اللَّهمَّ أَحيِني مسكينًا، وأَمِتْني مسكينًا، واحشُرني في زُمرةِ المساكينِ يومَ القيامَةِ، فقالَت عائِشةُ: لِمَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: إنَّهم يَدخُلون الجنَّةَ قبلَ أغنيائِهم بأربعين خريفًا، يا عَائشةُ، لا تُرُدِّي المِسكينَ ولو بشِقِّ تَمرةٍ، يا عائشةُ، أحِبِّي المساكينَ، وقَرِّبيهم؛ فإنَّ اللهَ يقرِّبُكِ يومَ القيامَةِ." صحيح الترمذي.

٢ سورة الأنعام - ١١٢

٣ من حديث شريف: "إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أَمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها وأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ: الأحمرَ والأبيضَ... أخرجه مسلم في صحيحه.

٤ من الحديث الشريف: "فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

٥ قسم للرسول صلى الله عليه وسلم، يبدأ به بعض أحاديثه.

٦ سورة الزمر - ٦٧

٧ من الحديث الشريف: إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أَمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها وأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ: الأحمرَ والأبيضَ... أخرجه مسلم في صحيحه.

٨ سورة البقرة - ١٤٧

٩ سورة الزخرف - ٨١

١٠ سورة سبأ - ٤٩

١١ سورة آل عمران - ١٠٤

١٢ سورة النحل -٦١

١٣ حديث شريف ذات صلة: "يخرج في آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذئاب; يقول الله عز وجل: أبي يغترون؟ أم علي يجترئون؟ فبي حلفت، لأبعثن على أولئك فتنة، تدع الحليم حيرانا" رواه الترمذي. ويوصف بأنه ضعيف.

١٤ سورة آل عمران - ٦٤

١٥ سورة الأحزاب - ١

١٦ سورة الفرقان - ٦٣

١٧ سورة البقرة -٢٥٦

(٨)

مشاعل الطريق والحياة
لدائم هدي الله
بكوثر الحق لرسول الله

حديث الجمعة

٨ جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ - ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦ م

الرسالة.. ما زالت قائمة.

كيف تطفأ، وهي مشعلة الحياة الدائمة!

إنها من الله، الحياة والهداية.. إنها من الله، الرحمة والعناية.. إنها لله القدرة والرعاية.

إنها حقيقة الله.. إنها رسالة الحياة.. إنها الطريق إلى الحق من الله.. إنها قائم رحمة الله.. إنها عظمة الله.. إنها قائم الحق لله.. لداخلي حصن لا إله إلا الله، بمحمد رسول الله، وحق الله، ووجه الله، واسم الله، وكلمة الله، وروح الله، وعبد الله، وبيت الله.

تتكشف فترهص لتسفر في هذا العصر، دورة لآدم، كسابق ودائم دورات، وكلمة داوية للحق، كسابق ومتتابع كلمات، ورحمة محمدية لله، بسابق ومتواصل رحمات علمية عن محمدية لآدم لسابق محمديات لآدميات.

إنها العهد الجديد، للرسالة الإسلامية لقديمها للروح بعهود، ولقادمها في الذات بوجود، في دوام متجددة بجديد لشهود، تعريفا عن دائم المعروف وقديم الموجود.

إنها الحياة الأبدية، عَلَما على الحياة الأزلية للإنسان، في الوجود، الإنسان في الله وبالله، قائم الآزال لقبلها، وقائم الآباد لبعدها، الله له لا شريك له منه، ولا غناء له عنه.

عرَّفتهُ الفطرة القائم على كل نفس بما كسبت، عرَّفته القائم من وراء كل نفس بإحاطته، عرَّفته المُشاهِد والمُشَاهَد، للإبصار والبصائر بالأبصار والبصائر، لقائمه بجمال وجهه، وبهاء طلعته، ولقيومه بمعاني شموله وإحاطته، إحساسا وقياما بوحدانيته لأحديته.

عرفته الحكيم، لا تعلو حكمة على حكمته، ولا يكسب الإنسان حكمة لمعناه، إلا من فيض هدايته. الإنسان وجه معناه، وقائم ذاته لمطلق وجوده.

يعرفه الإنسان خالق المكان، لإبراز مكانته، وخالق الزمان لكشف حقيقته.. يعرفه الإنسان فوق الزمان وفوق المكان للإنسان تحت الزمان وتحت المكان، يوم يرتفع به فوق المكان وفوق الزمان، ليتعارف الإنسان إلى الإنسان في نفسه، وليتعارف الإنسان إلى نفسه بنفسه. يتعارف بفوقيته إلى تحتيته، ويؤمن في تحتيته بفوقيته.

يتعارف الإنسان في نفسه، لنفسه، إنسانا لإنسان، خلقناكم أزواجا، {أن تقوموا لله مثنى وفرادى}[1] فيتواصى الإنسان فيه بالحق له، بإدراك الحق عنده، أقرب إليه من حبل الوريد، ومعه أينما كان. الإنسان في مطلق الوجود هو المكان والزمان. هو ذات بالمكان، وهو عصر بالزمان، وهو حق بالبيان.

جاءنا الإنسان، ووصفنا لنفسه الإنسان، وأخبرنا عن مرسِله الإنسان، وعَلَّمنا عن الباقي لمعنانا في معنانا الإنسان. فكان الإنسان، ما بين الإنسان والإنسان. بذلك كان، العروة الوثقى للعيان ولسان الحق للبيان.

عرفناه خليل الرحمن وخليل وحبيب أهل الإيمان. عرفناه رسول معناه، إلى قائم معناه، كافة للناس، ما كانوا الناس، وما وُصِفوا الناس، وما حققوا لأنفسهم، شَرَفَ الناس، بشرا، هم أسماء الله، لجماع قيامهم بحاضرهم في قديم وجودهم، وقادم تواجدهم، لأزلي نشأتهم في أبدي خلقتهم في سرمدي حقيتهم في معروف حقيقتهم.

كانوا بقديمهم وقائمهم وقادمهم، مظهر قبلهم بالإنسان لموعود بعدهم فيه. فما ظهر المطلق إلا بالإنسان، وما تعارف لعارف به إلا إلى الإنسان، وما انطلق فيه إلا الإنسان.

بهذا جاءنا دين الإحسان، وقام بيننا حوضُ الإيمان، وماءُ الحياة وردناه للعيان، ولسان المطلق سمعناه للبيان، وحق اللانهائي، يدا ممتدة، لأيدٍ مستنجدة أحسسناها تأخذ بنا إلى طريق الرحمن.

{يد الله فوق أيديهم}[2] بها للناس يكون على ما كان، فكان بكوثره، أيادي الله، في عديدها، كوثرا بها، كان ذي الأيدي، كان ذي الوجوه في أي صورة ما شاء ركبه، كان كوثر الأوادم، وكوثر الهياكل.

كان وحدة القلوب، وفَرَجَ الكروب، كان السليم للنفوس، كان السلام للرؤوس، كان القيام للحقائق، كان القيامة للخلائق، كان الساعة لمقيمها، يوم يموت قبل أن يموت، كان البعث لمتواجده، يوم يُبعث الإنسان بمعشوقه، يوم يبعث الإنسان بمحبوبه، يوم يبعث الإنسان بالإنسان، خليلا وحبيبا للرحمن.

كان الإنسان به مظهر العبد، وقائم الرب، وقيوم الإله، فما كانت الألوهية، أو الربوبية، أو العبودية، في الإنسان، إلا معارج له، وصفاتٍ فيه، ومجالات قيام، لقائمه لفعله، عَلَما على معلومه، وكتابا لمعروفه، وظهورا لموصوفه، في لا إله إلا الله، لشعار عبوديته، بالله أكبر، فأكبر، فأكبر.. إلى لا عد في معارج بلا حد لشعار ربوبيته. تنزه الله عند منزهه، وما غاب الله عن أسمائه بعباده، إنسانية رشاده، وحاضر وداده، بمظاهر تواجده، لقائم وجوده، في دائم فعله بإيجاده، وجودا، أوجد وجودا، عند موجوده.

فشهد الناس لأنفسهم بهذا الدين، أنه لا إله إلا الله، وشهدوا، رحمة الله لهم، ورحمة الله بهم، بشهودهم أنفسهم محمدا رسول الله.

فقام الدين على شهادتين ودعامتين، لقائم الإنسان بنفسه، لنفسه، كلمة لله، إنجيله في صدره، قبسا من نور الله، امتداد رسوله، قائم وجودٍ وشهودٍ لله. انشق عنه قائم الوجود بمشهوده، فكان المؤمن بالله ورسوله لنفسه فيه وجودا من وجود، ونورا من نور، وروحا من روح، وأمرا من أمر، وإنسانا من إنسان.

بهذا جاء دين الفطرة، قامه وعلَّمه رسولُها، وقائمُها، وحقها، وحقيقتها، من عرفناه في أطواره، آدما، ومن عرفنا آدما به في كمال أطواره، محمدًا، ومن عرفناه في طريقه إليه عيسى يتوفى، ومن عرفناه في بدئه فطيرا، موسى يستوفي، ومن عرفناه في قديمه خطيرا، إبراهيم، ومن عرفناه في وجوده كوثرا، إسماعيل، ومن عرفناه في انطلاقه سريانا إسرائيل، ومن عرفناه في جماله إنسانا، يوسف، ومن عبر عنه لنا فينا بما جهلنا، سليمان وداوود.

من عرفناه في ركب الحياة ابن بنوته، وأب أبوته بقائم صلاحيته لله، هيكل وجود، وبيت قدس، وقبلة سجود، ونصب طواف وزمزم اغتراف، رحمة للعالمين وكافة للناس قدوة وأسوة.

صلى بمن هم فيه، على من هم حوله، وصلى بمن هم حوله، على من هم فيه، صلى بمن كانهم وبمن سيكونهم، على كائنهم به. وصلى بكائنهم به على كائنه بهم. فكان البيت، تُذكر أسماء الله فيه، ونصب الله يطوف العباد لله حوله.

لإيلاف قريش، إيلافهم، يوم هم عليه يأتلفون، فبيته يدخلون، وأطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، أو هم، على الكنود له، والمخاصمة له، يتآلفون[٣]، فله يقلون، ولكنه برحمة الله، كل شيء عنده

يهون فهم به إلى الجنة يساقون، وإلى طريقها يجرون. يصبر نفسه مع الآبقين، باخعا نفسه على آثارهم، ليكونوا من المؤمنين.

يختفي عنهم بما أودع الله فيه من قدرته إلى حين، ويظهر لهم بما أودع الله فيه من حلمه لعلهم باختيارهم يؤمنون، ثم هو يظهر بفريق فيه، بعزة الله، على فريق فيه، رحمة الله يفعل بإذن الله، فيقتل ليحيي، ويحيي ليميت ويسري[٤] بنوره ليحقق، حتى يبعث حق الله، بحقه، في هياكل حقائقه لوجوده، بلا إله إلا الله لموصوف خلائقه.

أُناس يجرون إلى الجنة بالسلاسل، سيقوا إلى الجنة زمرا، سيقوا إلى الرحمن وفدا، ومَن السائق؟ إنه الرسول الراعي، إنه الحق المداني، إنه الكتاب، إنه الثواب، إنه العطاء والجزاء والحساب، حَاسب الناس، في محاسبتهم لأنفسهم بإيقاظ ضمائرهم قبل أن يحاسبوا منهم قيوم نفوسهم، أرادهم لقائمهم، ليكونوا لقيومهم، بقائمه عليهم، أولى بهم من أنفسهم، هو الحق من ربهم، وهو الرب من إلههم، وهو الإله من وجودهم، وهو الوجود من لانهائيهم. لانهائيتهم، في لانهائيته، ولانهائيته في لانهائيتهم.

إذا كانوا منه، فهو الآباء، وإذا كان منهم، فهو الأبناء، وإذا كانوا به، فهم الحقائق، وهم الإنسان، رجل سَلم لرجل إلى أزل، ورجل سَلم لرجل إلى أبد فيمن تنزه عن الإحاطة به، فيمن تنزه عن الغيبة عن وجوده، فيمن تنزه عن المغايرة مع موجوده بخلقه، فيمن تنزه عن المشاركة له بموجود بخلقه فيه له، كان ولا شيء معه، وخلق الخلق، وما زال على ما كان، لا شيء معه.

هذا ما جاءتكم به لا إله إلا الله، شعار عقيدتكم، ترفعونه بإيمانكم على وجودكم، بها تبعثون، وبها تحيون، وبها في الناس تنتشرون.

(هل توافقوني على كلمة، إن معي قلتموها، كان لكم ملك العرب والعجم والروم؟)[٥].. وما تكون هذه الكلمة؟ وإذا كانت هكذا تفعل، فمن ذا الذي لا يقولها! قُلْها نقولها معك.. أن تقولوا وتشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.. فتلفَّت بعضهم لبعض، أهذه تفعل كل هذا!! نعم تفعل كل هذا وستفعل كل هذا.. (من منكم يبايعني على ذلك؟)[٦] فأحجمت أيديهم، وتيبست عقولهم، وخبت من نارها جذوة نفوسهم، فانعقدت ألسنتُهم، وانطلق لسان عَليّ، صبيا حُلت عقدة لسانه، وأشرقت عبارات بيانه، وبُعثت فيه لمتربته معالم إنسانه، آدم روحه لنفسه، وحقي حسه، لقائم أمره، من أمر حبيبه ومحبوبه، عاشقه ومعشوقه، فقال (أنا أبايعك يا ابن العم على ذلك)[٧]، فقال (أمدد يدك أبايعك على ذلك)[٨]، وأنتم يا من انعقدت منكم الألسنة، (هذا خليفتي فيكم)[٩].. ومرت الأيام، ومرت السنون.. حتى حقق الله ما وعد به على لسان رسوله.

ما جاء رسول الله ليعطي قومه مُلكًا، للعرب، أو ملكا على الروم، أو ملكا على الفرس، فما جاء ليهيئ من قومه للدنيا زينتها، ولكن جاء ليهيئ للطريق إلى الله بيئتها. فالله هو مالك الممالك. وما كان ملك العرب أو ملك الروم أو ملك الفرس، إلا مُلك الخديعة، ملك القطيعة، ملك الوجيعة، ملك الابتلاء والبلاء، فإن استقام الأمر فهو الخدمة من الأجير عليها ملكا أو أميرا أو وزيرا، ولكن الذي جاء به رسول الله، ليكون ملكا للناس، إنما هو امتلاكهم لأنفسهم. (إن لبدنك عليك حقا)[١٠]، فإنك لست بدنك، ولكنك مالكه، وهو ملكك، وأنت باسم الله لك خالقه، وأنت مطوره، وأنت بكلمة الله باعثه، أنت بادئه ومحققه، أنت واسعه وضيقه، أنت بدؤه وإعادته، أنت نشأته ونهايته، أنت قديمه وجدّته، أنت مبدعه وطلعته، (الملك من ملك نفسه)[١١]، (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)[١٢]، {يا أيها الإنسان، ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك}[١٣].

عالج نفسك، وتألفها، وقاومها، وخاصمها بالأكبر والأصغر من المجاهدة والجهاد، ولتكن حربا مشعلة بينك وبينها، {كتب عليكم القتال، وهو كره لكم}[١٤]، لأنكم تريدون أن تسكنوا إلى أنفسكم، طيبين بالخنوع لها، راضين بمذلة عقولكم لشهواتها، وتسخير حقائقكم لتحقيق مرادها، {زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث}[١٥]. فما كانت الحياة الدنيا إلا زينة، لكم خادعة[١٦]، وما كانت في واسع الحياة، لآخرتها، إلا متاع أهل الآخرة مزرعة لهم، فيها يعملون، وبتجاربهم عن الحياة، عليها يزاولون.

إنكم، في حياة الأرض، تبدأون الحياة، أو تفقدونها، فهي أول عوالم الروح، فإن تواجدتم على الأرض بشرا بلا سبق لكم في البشرية، فاستقام في الإنسان أمركم، بدأتم منها الحياة، وكسبتم عليها الحياة، وزاولتم عليها الحياة، في كرات، بين خاسرة ورابحة، حتى تدخلوا حياة الروح أحياء. فإذا كان لكم في حياة الروح في حياة البشر سبقا من وجود، ورُددتم إلى الأرض، لنمو في الحياة، أرادته لكم السماء بإرادتكم، فأنتم بفرصتكم على الأرض، في كرة رابحة، أو كرة خاسرة، فإن كانت الكرة خاسرة، فقد خسرتم كسب المزيد من الحياة، وإن كانت الكرة رابحة، فقد كسبتم المزيد من الحياة.

رحمانكم، إنسانكم، وربكم، وإلهكم، وخالقكم، ومبدعكم، لكم فيكم، أمات وأحيا، أمات من حياة، وأحيا من موت، {خلقتك من قبل ولم تك شيئا}[١٧]، {فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا}[١٨]، {فإن الله غني عن العالمين}[١٩]، {ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا}[٢٠].. (لا يدخل ملكوت السماوات إلا من ولد مرتين)[٢١].. (لا يدخل الجنة عجوز)[٢٢] لا يدخل حصن لا إله إلا الله، إلا من جدد نفسه باسم الله.

إن الرب المعلم، إن الرب الهادي، أبرز محمدا من قاع الإنسان، وهو للإنسان رأسه، إن الله بإحاطته هو بعد الإنسان، علوا وبعد الإنسان سفلا، إن الإنسان فيه، يوم يستيقظ ويُفيق، فيدري ويعلم، ويُدرك عن اللانهائي، وينطلق في المطلق، ويستقبل عطاءً وعطاءً غير مجذوذ، فيعرف ويعرف، يعرف أنه ما عَرَف في نفسه، إلا إنسان قيومه، يوم أصبح له إنسان قائمه.

عرف أن الإنسان، فوق الإنسان، وأن الإنسان الفوق له فوق من الإنسان، ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات الأعلى للعلي العظيم، وأن الإنسان بعد الإنسان وتحت الإنسان للإنسان، قبل الإنسان عنوان، ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الإنسان، حتى إلى الذات الجامع لذوات الإنسان. المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد.

إن الرسول، إن العبد، إن الحق، إن الاسم، إن اللفظ، إن كلمة الله، الذي شاهدناه محمدا، ما خَلَّفَ من بعده إلا محمدا، وما عرف مخلفا له من قبله إلا محمدا، وما عرف لمعاني ربه إلا رفيقا أعلى وإنسانا، وما خلف على قومه إلا الرفيق الأعلى وإنسانا، (خلفت الله عليكم)[٢٣]، مهد له برسالته كما مهد له عيسى برسالته مهد الابن لروح القدس ومهد روح القدس للأب للإنسان لآدم.

وما قام في الناس، قدوة لهم، إلا إنسانا، وما قام عليهم ربا وراعيا لهم، إلا إنسانا، وما قام عنهم رافعا لهم إحسانا بهم، إلا إنسانا.

بإنسانه لقائمه، وإنسانية أزله بالآباء لقيومه، وبإنسانية أبده لتواجده رسولا وعروة وثقى وعبدا وربا، حقا وخلقا، قُدِّر الله حق قدره، وعُرِفَ الله حق معرفته.

(هل توافقوني على كلمة، بها يكون لكم ملك العرب، والعجم والروم)[٢٤].كيف يكون لهم هذا الملك، ولم تكن الكلمة لهم!! كيف يكون لهم ذلك، ولا إله إلا الله ليست لهم، ومحمد رسول الله، بعيدا عن قيامهم!! إن هذا الملك ثمرة، حتمية، لقيام لا إله إلا الله عليهم، ولقيام رسول الله بهم، قائم كلمات الله لقائمهم لعيانهم. فلما تحقق قيام كلمة الله للرسول وآله، تحقق ما وعد الله به، لظاهر الحياة.

لا يصلح هذا الأمر، لدوامه، وفي ختامه، إلا بما صلح به أوله، أولا وقبل كل شيء، عَلَم لا إله إلا الله، على الرؤوس وفي النفوس، وعلم محمد رسول الله، للعقول وللقلوب، إن كان كذلك، صلح أمر أهل هذه الرسالة، وإن صلح أمرهم لهم، كان لهم ملك الشرق والغرب، وكان لهم ملك قيامهم وبلادهم، كان لهم الله، فكانت لهم الدنيا أمة طيّعة.

كانت في خدمتهم عوالم الله، كانت في تلبيتهم طبيعة الوجود، كانوا لكائنات الوجود، قبلة السجود، ونور الموجود، ووجه الشهود، كانوا مَثَلَ نوره، عند العابد وللعارف وجه المعبود.

كانوا أمة الإنسان، كان لهم العنوان، كان فيهم القدوة للعيان، يمشي على الأرض هونا للبيان، لا يدخل في دنيا الحسبان، ولا في خدمة السلطان، متحررا من ملك البهتان {عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما}[٢٥].

أخفى الله الولي في الخلق، وما أخفاه. أخفاه بأن أبعده عما يرتضي الناس، لمعنى الجاه، لمعنى السلطان، لمعنى الدنيا من مجال البهتان، فإنه لا يجلس على كراسي الحكم، وإن عَرَضَت له، عليها يجُلس من يُجلس ولا يَجلس. إنه من وراء حجاب الأشياء حياة الأشياء. إنه لا يعبد المال وإن امتلكه، وإن ملكه في الله بدده، ما جمعه ولا عدده. إنه لا يأمر ولا ينهى، إلا في أمر الله ونهي الله، بما يُرضي الله، وبما يتقي به المؤمن الله، حق تقواه.

هكذا تابعت ظلالُ رسول الله، حقَ رسول الله، لقائم شهودها في قيام موجوده بها، ولكن الناس، شهدوهم، وعرفوهم، ولكنهم قليلا ما تابعوهم، وقليلٌ منهم من أدركوهم، والأقل من فهموهم، وأقل من ذلك من كسبوهم...

لأن الناس ما في فقه متواصل متزايد عَرَّفوهم وهم أصول الفقه لو فقهوهم لتستعد العقول لاستقبالهم يوم يلاقُوهم، والنفوس لطاعتهم يوم يسمعوهم، هم مخلصوهم لو يتابعوهم.

ولكن الفقه، صار بعيدا عن مجال الدين، صار بعيدا عن مجال العقيدة، صار بعيدا عن مجال الاجتماع على قدوة فيه، صار بعيدا عن مجال الانتفاع بكوثر الرسول لطالبيه، صار بعيدا عن مجال التحليل للقيام، صار بعيدا عن معاني النشر للسلام، صار بعيدا، عن مجال التقييم للمتكلم وللكلام، فحُرف كلام الله عن معانيه، وزحزحت كلمات الله بينهم، عن مواضعها فيه.

عَبَدوا كراسي الحكم، أيا ما جلس عليها، جالس من إنسان، ما أدركوا ولا قدروا للجالس عليها معنى العنوان.. هل هو للرحمن؟ هل هو للشيطان؟ هل هو للإحسان؟ هل هو للبيان؟ هذا هو ما آل إليه حال الإنسان بينكم، في حال الشيطان لإنسانكم.

ما جاءت رسالة الفطرة تخصص العرب، وما حُرِم منها الأعاجم، ولكنها رسالة جاءت للكافة، وحيًا يوحى، ونورا يقذف في قلوب تُدْرك وتعرف فتنطق وتصف، في الشرق والغرب، في الشمال والجنوب، في العرب والأعاجم بلسان أقوامها.

قلوب تعمل بالحق هي إرادته، وتنطق بالحق هي كلمته. منهم الناقد اللائم، بعين الحق يدرك ويبصر، فبنقده يكشف عما يجب أن يتغير ليهجر ويقبر، فيصلح الناس لكلمات الله تعلو وتشهر. ومنهم المتحدث

العارف، للقائم يصف، وبالحق يتصف وله يحلل وللمعجم على العقول يكشف ويعلل، وبالعروج يشرف ويشرف وعن التكامل يتحدث ويُعرِّف.

لا يقطع عن قائم رحمة الله، ولا يُيئس من دائم عطاء الله، ولا يُطغى بشهوة، ولا يشرك بجزاء، ولا يجحد بعطاء. الخير فيه وفي أمته كلما تواجد، إلى يوم القيامة له بالحق يوجد ويوجد، فيحمد الله ويشكر، ويبعث الناس بالحق يشهد ويذكر.

كتاب أنزلناه عليك لتتلوه في الناس على مكث لتبين لهم، أعطيناك الكوثر، وانعقدت إرادتنا، بتطهير أهل بيتك، ما دخل الناس بيتك. زويت لك الأرض، مسجدا وطهورا لتتلو فيها كتابك على مكث، نحن له حافظون، فما كانوا في جمعهم إلا في دارك، ومسجد هديك، وصفاء نفسك، وطهارة ذاتك.

شَرَّف محمد البشرية مبعوثا من عالم حقه فشرفت به البشرية، مبعوثة بالحق به لعوالم خلقه. ولكن الناس لا يفكرون في رسول الله، ولا يفكرون في قائم الله، {فأينما تولوا فثم وجه الله}[٢٦].. {واعلموا أن فيكم رسول الله}[٢٧]، إنهم ينتظرون منتظَرا، ويتوقعون خبرا، ونسوا أن {من يهد الله، فهو المهتد}[٢٨]، وأن من قطع الله عنه هديه بولي له فقد أضله.

وما انقطع الله عن خلقه في الوجود وعوالم للشهود هاديا بأوليائه مضلا بتناسيه لمن نسيه. {ومن يضلل الله، فلن تجد له وليا مرشدا}[٢٩]، وما توقف الله عن اختباره وابتلائه، {أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون}[٣٠].

ولا يتعرض لهذا الاختبار ولهذا الابتلاء، إلا من يتوانى في أمر نفسه، فلا يختار لنفسه مؤمنا، ليكون مرآة وجوده، في منشوده من الحق له، لمعلومه من الله عنده في قائمه من أمر نفسه، يجري منه الشيطان مجرى الدم، والله أقرب إليه من حبل الوريد، أقرب إليه من الشيطان.

المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن مرآة أخيه، ويأكل الذئب من الغنم القاصية، الزم الإمام، الزم الجماعة، عض ولو على جذع شجرة، لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه، المرء على دين خليله، فلينظر أيكم من يخالل. {إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا}[٣١]. هذا هو هدي رسول الله، رسول الفطرة وقائمها.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

إن الناس بغفلتهم، لا يجاهدون في الله في قائم قيامه، بقائم أمرهم لأمره وهو معهم، ولكنهم ينتظرون منتظرا، ما ذكروه وقدروه، إلا بموصوف خلقه وعبده. أيا ما كان هذا المنتظر، آدما أو عيسا، أو محمدا، مهديا سموه، أو مهديا قاموه، أو مهديا وهموه، إن الهادي هو الله، وإن المهدي هو رسول الله، وإن القائم

هو الله ورسوله، وإن المقيم هو الله ورسوله، وإن القيوم هو الله ورسوله، وإن القديم هو الله ورسوله، وإن القادم هو الله ورسوله، لمن آمن بالله ورسوله لقائمه بالله ورسوله.

إن كنت فاقدا كشف القيام لله ورسوله فيك، في يومك، فإن هذا الكشف لك في غدك، لمعنى آخرتك، وهذا هو معنى الإيمان باليوم الآخر لك، ولكن لن يكون لك في اليوم الآخر لك إلا ما تعتقد وتعمل له في يومك.

إن لم تكن تعتقد أن الله معك اليوم، أقرب إليك من حبل الوريد، فلن يكون لك يوم آخر، تشهد فيه الله أقرب إليك من حبل الوريد. يُبعث المرء على ما مات عليه.

الذين كفروا بالله معيتهم، أعمالهم كسراب بقيعة، يحسبه الظمآن ماء فإذا جاءه لم يجده شيئا، ووجد الله عنده. إن الدين في عقيدتك بمعية الله لك، في يومك هذا، وفي قيامك هذا، بقائمك هذا وقيام المعاملة معه على هذا.

الشيطان منك يجري مجرى الدم، والرحمن لك معك أقرب لك منه، أُذكر ربك في نفسك، والله في جوارك، معكم أينما كنتم، إن النفس بمادتها، لقائم الشيطان تُعْرَف، وإن الرحمة لقائم الرحمن فيك تتواجد يوم تغيّر ما بنفسك، يوم تَشْهَدَك محمدا رسول الله، لقيامك، فتشهد ربك في نفسك، يوم تغير ما بنفسك من قائم الشيطان لأمرك، إلى قائم الرحمن ووجه الله إليك دخولا في ركب رسولك إليه، وشفيعك به.

إن فعلت شَهِدْت الله في معيتك، معك أينما كنت، وعرفت ربك في نفسك، حيثما تواجدت، وعرفت آدمك ونفسك، كلمة لله لقيامك وحسك، هذا هو المسلم، (قوم أناجيلهم صدورهم)[٣٢].. (إذا جئت في القيامة دعوتكم بـ: يا إخوتي)[٣٣]، فما كان عيسى عليه السلام إلا مسلما، وأحد المسلمين.

إن الله معنا، إن الله معنا جميعا، وهو معنا، في صور مدركة، وصور لا تدرك، هو معنا بكل صورة، لهذا اللفظ، بكل فرض يدركه العقل أو الحس هو معنا، والرسول معنا، معية الله معنا، ومعية الله لنا، ومعنا في كل صورة، وبكل ما تتقبل هذه الألفاظ، هو معنا، من كل صورة ومن كل فرض.

إن الله معنا كُلا، إن الله معنا فردا، إن كُلّنَا في فرده، إن فرده بيننا في كله، إن الرسول معنا، فردا وجمعا، إن الرسول معنا روحا وذاتا، إن الرسول معنا قياما وصفاتا، إن معية رسول الله لنا، لا تفارق معية الله لنا أو بيننا، كلنا في واحدية الله ولسنا جميعا في أحديته. نحن في واحديته ما بقينا مع أنفسنا فيه، ونحن في أحديته ما تخلينا عنها إليه.

إن القدوة به بيننا لنا، لا تنقطع من بيننا رسولا من أنفسكم، وإن أَدبه وعِلْمَه، وأمره، قيام أنفسنا، حقا، وقائم أمره منا رسولا، إلى مفرداته بنا عبدا، أمرٌ دائم القيام لا ينقطع أبدا.

إن رسول الله معنا لقيامنا عبادا لله. إن رسول الله معنا في معلمينا، حكيم الله. إن رسول الله معنا روح الحياة، والحق من الله، فهو معنا ومعنا ومعنا. فهل نحن معه، لنراه ونسمعه؟ إنه يُرى، إنه يُلاقى، إنه يُسمَع، إنه وربَه يُرى، إنه وربَه يُسمَع، إنه وربَه يقوم.

ولكنه لا يُرى بعيدا عن وجودك، ولا يُشهد بعيدا عن شهودك، ولا يذاق بعيدا عن ذوقك، ولا يُحَس بعيدا عن حسك، ولا يُسمع بعيدا عن سمعك.

هذا هو دين الفطرة، يوم أنّا به ندين، وهذا دين الطريق، يوم أنّا لها نسلك، ونقيضه، دين الظلام، دين الكفر بمعية الله لقائمنا يوم أنّا للحق لا نستجيب.

فهل جددنا كل يوم توبتنا، ونحن نولد كل يوم مع يقظتنا ونموت مع غفوتنا بنومتنا، فإلى الله تبنا، وإلى الله رجعنا، وله استغفرنا، وبه وبرسوله في معيتنا لرحمتنا آمنا، فلهما لقيامنا طلبنا، عبدا لأنفسنا وصفنا، وحقا لهما شهدنا وأقمنا، فذكّرنا وأعلمنا، وعرفنا فعلَّمنا، فأدركنا خاتم النبيين لنبوتنا، وطابع المرسلين لرسالتنا، ونور المؤمنين، لإيماننا ونورانيتنا، وحوض الواردين لأحواضنا، يوم أنّا تابعنا، التابعين، وتابع التابعين، بإحسان، إلى رسول الله، إلى رب العالمين، فجددنا أنفسنا بتابعين، ومتابعين، لسبقٍ مقتدين بإحسان إلى يوم للدين بين أيام للرحمة والتكوين؟

أم أننا ببغاوات، نقف على المنابر، كحمر مستنفرة فرت من قسورة، نصف أنفسنا بالدساكر، نسجد أمام الطاغي والفاجر، نبرز أنفسنا الأحلاف، ونحن عُمد الخلاف والاختلاف، ونظاهر وجوه الإحسان، لا يشدهنا بيان، ولا يلفتنا عنوان، ولا يخترقنا نور، ولا تبعث بنا روح، بل نتقلب في ثياب الفجور، لا ننعكس إلى قلوبنا، ولا نتهم أنفسنا.

وما خلا قلب من شرارة قدس الحياة مشعلة، وما خلا عقل من أطياف نور الله مرسلة، وما خلت نفس عن وصفها بالفجور، في لمحات من السفور، لو أننا استيقظنا، إلى ما فينا من الشيطان، وإلى ما فينا من الرحمن، دارا لله من دور.

استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك.. وفي أنفسكم أفلا تبصرون، نكشف عنكم الأغطية فتبصر منكم الأفئدة، فكيف يكذّب من لا يبصرون، أولئك الذين يبصرون!! كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون.

اللهم برحمتك ولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا.

اللهم برحمتك كن لنا حكاما ومحكومين، زد المهتدين هدى، واهدِ الضالين، واغفر للمذنبين، وخذ بنواصينا إلى الخير أجمعين، بمن جعلته رحمة للعالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة سبأ - ٤٦

٢ سورة الفتح - ١٠

٣ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٤ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٥ إشارة إلى عبارة جاءت في كتب السيرة النبوية المختلفة، بتعبيرات متعددة، في إشارة لليوم الذي دعا الرسول صلى الله عليه وسلم قومه للإسلام ومما قاله لهم:" يا بني عبد المطلب إن الله بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة فقال عزوجل: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ. أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله..."، تفسير الطبري، وشواهد التنزيل، وتفسير البغوي، وتفسير ابن كثير، والطبقات، وتاريخ دمشق، وتفسير الثعلبي.

٦ من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، عن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه فيما سمي "حديث يوم الدار" أو "حديث دعوة العشيرة" بعد نزول آية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ حين جمعهم الرسول وحدّثهم عن رسالته فرفضوا دعوته، ومما قاله: "فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيتي وخليفتي فيكم؟ تفسير الطبري، وشواهد التنزيل، وتفسير البغوي، وتفسير ابن كثير، والطبقات، وتاريخ دمشق، وتفسير الثعلبي.

٧ إشارة إلى ما سمي "حديث يوم الدار" أو "حديث دعوة العشيرة" حين قال سيدنا علي وهو أحدثهم سنا "أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي، ثم قال: "إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا." تفسير الطبري، وشواهد التنزيل، وتفسير البغوي، وتفسير ابن كثير، والطبقات، وتاريخ دمشق، وتفسير الثعلبي.

٨ من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، عن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه فيما سمي "حديث يوم الدار" أو "حديث دعوة العشيرة" حين قال لقومه الذين امتنعوا عن مؤازرته "إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا." تفسير الطبري، وشواهد التنزيل، وتفسير البغوي، وتفسير ابن كثير، والطبقات، وتاريخ دمشق، وتفسير الثعلبي.

٩ انظر الثلاث ملحوظات السابقة.

١٠ حديث شريف: " إن لربك عليك حقا، وإن لبدنك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه.". الصحيحين البخاري ومسلم.

١١ استلهاما من الحديث الشريف: "ليسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ. أخرجه البخاري ومسلم

١٢ حديث شريف. أخرجه البيهقي. كما أخرجه الطبراني بلفظ: "ليس عدوُّك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلته كان لك نوراً، أعدى عدوِّك نفسك التي بين جنبيك.".

١٣ سورة الإنفطار - ٦:٨

١٤ سورة البقرة - ٢١٦

١٥ سورة آل عمران - ١٤

١٦ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

١٧ سورة مريم - ٩

١٨ سورة المائدة – ١٧

١٩ سورة آل عمران – ٩٧

٢٠ سورة الإسراء - ٨٦

٢١ من كلمات السيد المسيح عليه السلام: "الحق أقول لك: لن يرى أحد ملكوت الله إلا إذا وُلِد ثانية." (يوحنا ٣: ٣)

٢٢ حديث شريف: "أتت عجوزٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال لها صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: لا يدخلُ الجنَّةَ عجوزٌ فبكت، فقال: إنَّك لستِ بعجوزٍ يومئذٍ قال اللهُ تعالَى إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا"[الواقعة ٣٥،٣٦]. الراوي: الحسن البصري، المحدث: العراقي. المصدر: تخريج الإحياء للعراقي. كما أخرجه الترمذي في ((الشمائل المحمدية)) باختلاف يسير.

٢٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢٤ إشارة إلى ما جاء في كتب السيرة النبوية المختلفة، بتعبيرات متعددة، في إشارة لليوم الذي دعا الرسول صلى الله عليه وسلم قومه للإسلام بعد نزول الآية: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} سورة الشعراء، آية ٢١٤. وجاء الحديث بلفظ: "فدعاهم الى وليمة، وأخبرهم بأن الله تعالى أمره أن ينذرهم ويتخذ من يؤازره منهم أخاً ووزيراً ووصياً وخليفة، فاستجاب له عليّ (عليه السلام)، فأعلنه أخاه ووزيره وخليفته وأمر بني هاشم بطاعته! قال صلى الله عليه وآله: " يا بني عبد المطلب إن الله بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة فقال عزوجل: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ. أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم وتنقاد لكم بهما الأمم.." تفسير الطبري، وشواهد التنزيل، وتفسير البغوي، وتفسير ابن كثير، والطبقات، وتاريخ دمشق، وتفسير الثعلبي.

٢٥ سورة الفرقان - ٦٣

٢٦ سورة البقرة - ١١٥

٢٧ سورة الحجرات - ٧

٢٨ سورة الكهف - ١٧

٢٩ سورة الكهف - ١٧

٣٠ سورة العنكبوت - ٢

٣١ سورة الفرقان - ٣٠

٣٢ من حديث شريف: "صِفَتِي أحمدُ المتوكّلُ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، يجزي بالحسنةِ الحسنةَ، ولا يكافئُ بالسيئةِ، مولدُه بمكةَ، ومُهاجرُه طَيبةُ، وأُمَّتُه الحَمَّادون، يأتزِرون على أَنصافِهم، ويوُضّؤون أطرافَهم، أناجيلُهم في صدورِهم، يَصفّون للصلاةِ كما يصفُّون للقتالِ، قربانُهم الذي يتقرَّبون به إليَّ دعاؤُهم، رُهبانٌ باللَّيلِ لُيوثٌ بالنَّهارِ". أخرجه الطبراني.

٣٣ نُقل عن عيسى عليه السلام بعد القيامة أنه قال للمجدلية هذه الآية وكانت المرة الأولى التي يدعو حواريه بكلمة "أخوتي". (يوحنا ٢٠:١٧).

(٩)

مثنى وفرادى
في وحدانية الوجود والموجِد
للمطلق في ذاته اللانهائي بصفاته

حديث الجمعة

١٥ جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ - ٣٠ سبتمبر ١٩٦٦ م

رجلان لرجل بهما.. مريدان في مراد لهما.. إرادتان لإرادة عليهما.. رائدان لجمع بهما.. مرادان لمراد منهما.. إنسانان لإنسان اجتماعهما.. عالمان شهادة غيبهما.. وجودان لأحدية موجودهما.. حقان لحقيقة أمرهما.. عبدان لإحاطة ربهما.. ربان لأحد قدسهما.

أأرباب مع الله! آلهة مع الله! لا إله إلا الله، والله أكبر.

أمران لله.. وجهان لله.. يدان لله.. قدسان لله.. عينان لله.. أُذنان لله.. خلقناكم أزواجا، وحققناكم أزواجا.. ندعو كل أناس بإمامهم.. (خلقتك لنفسي ولتصنع على عيني)[١].. خلقتك بيدي.

إنهما الإنسان للإنسان، في الإنسان. عبد الحق، حَقٌّ بذاته، ورب المخلوق، مخلوقٌ في ذاته.

العبد حق، لرب هو الحق.. والعبد خلق، لرب هو الخلق. مثَّلَهما الرسول وربه، في نفسه لقائمه وقيومه، فكان عبدا هو الحق، لرب هو الحق، إلى أزل وإلى أبد، وعبدا هو الخلق، لرب هو الخلق، بين الآباء إلى ما شاء الله، والأبناء إلى ما شاء الله.

الرسول.. بدءٌ، لقديم بدء، وانتهاء لقديم انتهاء، فيمن لا بدء له، وفيمن لا انتهاء له.

الرسول، تقييد، من تقييد، وتقييد عنه تقييد، ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات، لا قيد لها، ولا تقييد، من أعلى يحيطها، أو يسودها، وإلى الذات، لقادمها، عينَ قديمها، هو بينهما، بين يدي رحمة المطلق، لا قيد له ولا تقييد لوصفه.

الرسول، إطلاق، من إطلاق، انطلق من إطلاق، إلى أزل لانهائي، وهو بمطلقه ينطلق عنه إطلاق فإطلاق، إلى أبد لانهائي هو بينهما، بين يدي رحمته، بين يدي رحمة المطلق، بين يدي المنزه، بين يدي الله.

الرسول بقائمه، قائم قيام بالحق، لقيوم عليه بالحق، يقوم هو فيه. ومنه يقوم قائم قيام للحق، قائما لقيوم به. فهو في قيومه لقائمه إلى أزل، وهو قيوم لقائم منه إلى أبد، هو بينهما الأمر الوسط والحق الوسط، هو بينهما بين يدي مطلق رحمته بقيومه وقائمه لقادمه، في وجود سرمد. هو وجه العبد الحق إلى ربه، وهو وجه الرب الحق إلى عبده. هو العروة الوثقى لا انفصام لها عن الوجود وعن الموجِد.

الرسول، عبد لعبد، إلى لا عبد، ورب لرب، إلى لا رب، هو بينهما، بين يدي رحمة الله، وعين رحمته، ومصدر رحماته.

الرسول، هو كتاب عِلمنا، ووجوه مشاهداتنا، وحق قائمنا، وقيوم حقنا، في معراج، إلى أزل، وفي تواجد إلى أبد.

نحن فيه، لا حصر لنا، ولا جذ لعطائنا، ولا توقف لرقينا، ولا انقطاع لمددنا، ولا حصر لسعتنا، لا إله إلا الله له، ولا وجود إلا أنّا، يوم أنَّا له كنّا، على ما كان، لمن منه له كنّا.

نحن والرسول وربه قيام واحد، وحق واحد، وأحد واحد، فيمن لا وصف للرب له، ولا انفصال للعبد عنه.. هذه هي حقائق الإسلام بالتعديد، لحقيقة الإسلام بالتوحيد.

المؤمن، والرسول، وربه، مؤمن واحد، ورسول واحد، ورب واحد، فيمن تنزه عن الأسماء والتسمية، في الحق الواحد، في الإله الواحد، في الوجود المتحد، في الغيب المتواجد، في الوجود الظاهر، لعينه، المتكنز المحتجب.

هذا هو شعار دين الفطرة، بلا إله إلا الله، وبالله أكبر، ظهره محمد رسول الله.. عبدُ الله.. حق الله.. الرب من الله.. ظاهر وجه الإله.. مُشَاهد الغيب.. غيب الشهادة.. من كنّا فيه له، هو لنا بمعاني من كان له، ونحن بمعانيه لمن كان منا له.

بذلك كان المسلم، بذاته لمعناه، كتابَ القرآن وآياته. وكان المسلم بذاتِه خلق الربِ وصفاته، قوم أناجيلهم صدورهم، يدعون إلى الخير، بالخير قائمين، وعنه معبرين، وبه آمرين، معروفا عن يقين، ينهون عن المنكر، عنه مبتعدين، بعيدا عنهم بالحق متصفين، يؤمنون بالله، به قائمين، وأعلاما عليه مُشَاهَدين، وجوها له مشاهِدين، عنه مُعرِّفين، به خبراء، وللناس مخبرين.

أولئك هم المسلمون.. أولئك هم المؤمنون.. أولئك هم الموقنون.. أولئك هم العارفون.. أولئك هم الطائعون.. أولئك هم العاملون.. أولئك هم اليقظون.. أولئك هم القيمة بالدين القيم على الناس يقومون.

فهل أنتم كذلك أيها المسلمون؟ أنتم كذلك، ما آمنتم بذلك! أنتم كذلك، ما عملتم لذلك! على الدرب دائبين، وللطريق سالكين، ولأبوابها طارقين، وبمصابيحها مستضيئين، هادين مهتدين، لا ضالين ولا مضلين، أولئك هم المسلمون، فهل أنتم المسلمون؟ أولئك هم المسلمون، فهل أنتم تسلِمون، لتكونوا من المسلمين؟

بهذا جاءكم كل دين، وبهذا تجدد بينكم في دوام اليقين، بعباد الرحمن متوالين، بينكم غير منقطعين، على أرضكم في دوام يدبون، وبالحق يظهرون، وبالطريق يقومون، وفيها يعملون، ولكم يُرشدون، ويبلِّغون، ويبينون ويهدون، ويساعدون، ويسندون، أحواض الحياة أنتم لها واردون، ما طلبتم الحياة، بأمانتها تحملون، لتكون لكم، حقا تملكون، وقياما تشهدون، ودواما تقومون، وحياة تواصلون، وقليل منكم من عمل بذلك وقليل من يعملون.

لا دين، إلا ما دان به المسلمون، ولا إسلام، إلا ما صدق به الفطريون. ليس الإسلام كلاما، تلوكه الألسن، ولكن الإسلام قيام، تقومه النفوس والهياكل والعقول، تتكشف فيه الروح، ويُعرف به السبوح، يُعرَف به اسم الله للإنسان، قيامًا له كإنسان، يظهره بأديمه للعنوان، ويعرفه لمعناه بالإحسان.

ليس الدين، عند رسول الدين، عند حق الدين، عند إنسان الدين، كلاما يتوارث أو يتناقل، أو يحترف، ولكن الدين، حق يقوم، تبعث به النفوس، وتشرق به العقول، وتنطلق به الأرواح، وتتجدد به الأشباح، وتتطور به الهياكل، ويتجمع به الإنسان، إلى عنوانه بالإحسان.. اللهم للعيان، واللهم للبيان.

إن الدين، هو من هُدي ضَالا، وأووي يتيما، وأغني عائلا، عبدا من عباد، وحقا من حقائق، وأحدا من آحاد، من أعزه الله ضعيفا.. من نشره الله نورا.. من كَثَّره الله أمة.. من كان منفردا مهيض الجانب، لقي نصرته، وعرف عزته، وسكن إلى مَنَعته، أمسكته يد الله، مبعوثا بالحق، أمسكت نفسه وخلقه، خلقا للسماوات والأرض أن تزولا.

وما كان بمعناه، إلا يد الذي أمسكه، فما كان إلا يد الله، ممسكة بكل ما يمسك الله، من أمر نفسه.. كان السماوات والأرض لذاته، لمعناه ومبناه لنفسه، لموصوف خلقه، خلقا لخالق، وكان يد الذي أمسك السماوات والأرض لحقه، لحقية عبده، لعين ربه، لظاهر إلهه، لوجه مطلقه.

أرأيت الذي يكذب بالدين، إنه الذي يكذب بك.. إنه الذي يكذبك.. إنه الذي لا يتبعك.. إنه الذي لا يتابعك.. إنه الذي يدع اليتيم.. إنه الذي يدعك.. إنه الذي لا يُطعَم من موائدك، ولا يحض على مائدتك، كافة للناس أنزلت، وكافة للناس تورد.

ضلَّ، من يتوهم الصلاة، بعيدة عن الصِلة بك، فيعزل ماعونه، عن ماء الحياة عندك، بأحواض الحياة بعترتك، فلا يقرأون كتب الحياة بأهلك، ولا يدخلون جنة الوجود لبيتك.

من عَرفك عَرف الله، ومن ذكرك ذكر الله.. ومن وصلك وصَل الله.. ومن قامك قام الله.. ومن آمن بك فقد آمن بالله.. فما كانت لا إله إلا الله، إلا أنت، ومن له كنت.. من دخلك دخلها.. ومن دخل من دخلك وجدها.

أنت النبيون، بجمعهم وأفرادهم ومفرداتهم.. أنت الأنبياء، في عبوديتهم.. وأنت الأنبياء، في ربوبيتهم.. وأنت الأرباب في حقيتهم.. وأنت الحقائق في طلعتهم.. وأنت الحق لمشاهَدَتهم.. وأنت المُشاهِد، لعينهم، يوم شهدوهم.

بك فيهم، يتلاقى العبد والرب، بك فيهم، يتعارف الحق والخلق، يوم يتحقق الخلق، ويتخلق الحق، يتخلق الحق مدانيا، ويتحقق الخلق متعاليا، بصلاتك عليهم في صلاتهم عليك، وما صلاتك عليهم إلا صلاتنا عليهم، وما صلاتهم عليك، إلا صلاتنا عليك.

فيك تجتمع صلاتنا، بقديمنا من الخلق تحقق، وبقادمنا من الحق تخلق، إليك يجتمع قديم الإنسان، وقادم الإنسان، فيك يا قائم الإنسان.. ويا وجه الإحسان.. ويا كتاب العرفان.. ويا حياة المعاني والأبدان.. ويا نور الوجدان.. يا شمس الوجود للعيان.. يا طلعة الشهود للبيان.. يا جماع العابد والمعبود للإنسان.. يا قائم الحق الموجود، لقبلة الحق المقصود، لكل قائم حق، مؤمن بلا إله إلا الله، متابع لمحمد رسول الله.

هكذا عرَّفنا الله، عبد عبده.. وهكذا عَرَّفنا العبد عن ربه. طَلب إلينا الرب أن نشهَده في عبده، وطلب إلينا العبد، أن نتعارف معه في ربه، ربي وربكم.

يا أيها الذين آمنوا، بي ربا لهم، آمنوا برسولي، حقا لكم، في أنفسكم، يقوم ويتقلب، بالسجود لي، نور وجودي.. وأمر شهودي.. وكتاب علمي.. ورحمة هدبي.. وعزة كلماتي.. وإرادة آياتي.. وإنسان تواجداتي.. لا إله إلا أنا فاعبدني، وأقم الصلاة لذكري.. ما خلقتك إلا لنفسي، وما خلقت الكون إلا لك، فلا تتعب طلبا لما خلقت لك، ولا تلعب في أمرك وقد خلقتك لي.

بهذا، جاءتنا رسالة محمد، جديدا لقديم، لدين الفطرة، برسالاتها، قدمت لها مبشرة بها، برسالات ممهدة لها، وألحقتها برسالات متعاقبة من السماء والأرض مبينة لها على مكث بكتابها وفطرتها، (أول من تنشق عنه الأرض أنا)[٢].. (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)[٣]. وما كان المبعوث فيكم دائما إلا هو. {وأشرقت الأرض بنور ربها}[٤].. (زويت لي الأرض[٥]، وجعلت لي مسجدا وطهورا[٦]).

أهل بيتي مني، وأنا من أهل بيتي، عترتي مني، وأنا من عترتي، ولست في هذا بدعًا من الرسل.. أنا دعوة أبي إبراهيم، ولست في هذا بدعا من أمركم.. ما كنته تكونوه، وما عرفته تعرفوه، وما قمته وقدمته تقوموه وتقدموه، وما شهدتموني بكم، يُشهَد منكم، فتُشهِدوه.. أنتم طابعي، نبيا وعبدا، وأنا طابَعكم عبادا وحقا، إن النبوة فيَّ ظاهرة لكم، هي فيَّ، على ما هي كامنة فيكم، وعلى ما كانت في أنبياء بني إسرائيل، يستكملون حقائقهم عبادا للرحمن يبعثون بينكم. (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[٧].

وليس علماء أمتي، ببغاوات الكتب، ولا أجهزة المناسك، ولا أبواق المنابر. من كان مني، كنت منه، ليس مني إلا من دعا بدعوتي، وقام في بصيرتي، فقام في خُلُقي وأتى فعلي وجدد سنتي، وأحيا في الناس أمري وذكري وملتي.

لهم من الله ذلك يوم يذكروني في أنفسهم، فيشهدوني مبعوث قيامهم لقلوبهم، ونور عقولهم وأحلامهم، على ما أنا مع معلمي وربي.. أنا لهم معلما وربا.. من رآني فقد رآني حقا.. أنا روح القدس لكم فيكم، على ما كان روح القدس إليَّ فيَّ من ربي، فأنا روح القدس من ربكم وربي.. فأنا بينكم، وبين ربكم، حلقة اتصال، ووصلة قيام ومآل، على ما كان الروح لي معي، وعلى ما كان في ناموس الفطرة أزلا وأبدا لمعرفتي وحقي.

(أنا كائن قبل آدم)[٨].. (آدم أبو روحانيتي وابن جسمانيتي)[٩].. (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين)[١٠].. إن قَدَمَ آدم، هو لكم فوق رؤوسكم.. وإن رأس آدم، هو لي وفوق رأسي. وأنا برحمة الله بي هدية لكم، أرفعكم من تحت الأقدام، لأضعكم فوق الرؤوس.. أنا العروة الوثقى بين ما تحت آدم من الخلق، وما فوق آدم من الحق من أمر الله، هو أمر ربي لأمري.

لو أنكم سمعتموني، فلبيتموني، فتابعتموني، لكنتموني، وكنتكم فتعرفوني.. ما إلى نفسي أدعوكم، ولكني، إلى من دعاني لنفسه أدعوكم. فإن دخلتموني فيه، وجدتموني، فلا يحول بينكم وبينه بدوني.. ولكنه بي يبعثكم، فتعرفوني، وبه أبعثكم فتعرفوه.

كيف تشهدوه ولم تشهدوني؟ كيف تؤمنون به ولم تؤمنوا بي؟ ولم تستجيبوا لي إليه.. ولم تستجيبوا له إلي، وهو يدعوكم إلى الإيمان بي، وبكرمه عليكم ورحمته بكم وجوده على موجودكم، فأنا به ولست بكم، إذ يطلب إليكم الإيمان بي، إيمانا به، ردا لتحيتي، بخير منها.. وقد دعوتكم إلى الإيمان به، متجاهلا مطالبتكم بالإيمان بي، فرضي خُلقي، ورضي مسلكي، رضيه لكم جميعا، فجعلني به قدوة لكم جميعا، ودعاكم لاقتدائي قائم كوثري بينكم.. دعاكم لقربه في مقاربتي، وحذركم، من بعدكم عنه، في مباعدتي ومجانبتي.

لا إله إلا هو، ولا عبد إلا أنا، ولا رب إلا ربي. فإن أردتم العبودية له، فتهيأوا لتبعثوا بي عبادا له، فأنا جماع عباده.. وأنا بيت أنبيائه.. وأنا دائرة عطائه.. ومن حولي وبعيدا عني، دوائر جزائه وبلائه.. من دخل بيتي، فرج الله كربه، وغفر الله ذنبه، وكفاه الله همه.. {لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنى}[١١].

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم، بمن جعلت الأرض له مسجدا وطهورا، طهرنا.

اللهم، بمن جعلته رحمة للعالمين، ارحمنا.

اللهم، بمن أظهرته على الدين كله، عَلِمنا.

اللهم، بمن جعلته على خُلُق عظيم، أدبنا.

اللهم، بمن جعلته على صِلةٍ بك، صِلنا وأوصلنا.

اللهم، بمن جعلته الحق منك، حققنا.

اللهم، بمن جعلت عطاءَه منك غير مجذوذ، أعطنا.

اللهم، بمن جعلته الدين كله، قَوِّمنا، وفى دينك فأدخلنا.

اللهم، بمن جعلت صلاته علينا سَكينة للقلوب، صَلِّ منه علينا.

اللهم بمن جعلت الصلاة عليه، مفتاح أبوابك، وكشف حجابك، صَلِ منا عليه، صلاة توصلنا، بها عنك لا تقطعنا، وبها منه لنا لا تمنعنا.

اللهم أبقِه لنا، في دوام وصلتك بنا، ودوام وصلتنا بك.

اللهم فأنزل سكينتك على قلوبنا، والسِلم والسَلام على أرضنا، وألف به بين قلوبنا، وقوِّم به نفوسنا، وأنر به عقولنا، وحرر به أرواحنا، وأحيِ به أشباحنا، وابعث به قلوبنا.

لا إله إلا أنت سبحانك، به ولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ عبارة "خلقتك لنفسي" جزء من حديث جاء في بعض الآثار: يقول تعالى: "ابن آدم، خلقتك لنفسي فلا تلعب، وتكلفت برزقك فلا تتعب. ولا سند له في كتب الأحاديث الشريفة. والجزء الثاني {واصطنعتك لنفسي} من سورة طه - ٣٩

٢ من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." صحيح ابن ماجه.

٣ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.

٤ سورة الزمر - ٦٩

٥ من حديث شريف: "إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها وأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ: الأحمرَ والأبيضَ... أخرجه مسلم في صحيحه.

٦ من الحديث الشريف: "فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

٧ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

٨ حديث شريف ذات صلة: أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم "قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد." أخرجه الترمذي، وأحمد بلفظ مقارب، والحديث الشريف "إنِّي عندَ اللهِ مكتوبٌ خاتمُ النَّبيِّينَ، وإنَّ آدمَ لمنجَدلٌ في طينتِه.." أخرجه أحمد وابن حبان باختلاف يسير.

٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١٠ حديث شريف ذات صلة: "إنِّي عندَ اللهِ مكتوبٌ خاتمُ النَّبيِّينَ، وإنَّ آدمَ لمنجَدلٌ في طينتِه..." أخرجه أحمد وابن حبان باختلاف يسير، وأخرجه البغوي في ((شرح السنة)) واللفظ له. والحديث الشريف "أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد." أخرجه الترمذي، وأحمد بلفظ مقارب.

١١ سورة الشورى - ٢٣

(١٠)

غاية الإنسان بأمانة الحياة
كسب هبة الحياة
في متابعة الأحياء بالله

حديث الجمعة

٢٢ جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ - ٧ أكتوبر ١٩٦٦ م

أعوذ بالله، وباسم الله، من الشيطان الرجيم. وأستعين بالله، وباسم الله الرحمن الرحيم.

عباد الله.. وأسماء الله.. اجعلوا من تعبيد أنفسكم لله ورسوله، غايتكم من الحياة، واعلموا أن تحقيق ذلك لكم، من الله، إنما يكون باصطفائه لكم أرضا له، يخلق فيها مُلكًا له، ويرفع من خلقه بها، من يجعلهم أمور السماوات له. يوحي في كل سماء أمرَها، ويُعلي به ذكرَها، يوم يعلو ذِكرُه بها، وذِكرُه فيها.

فيجعل منكم إنسانا له، وحقا له، وأمرا له، ووجودا له. به تكسَبُون الحياة، لا تفارقكم، وبه تتحول أمانةُ الحياة، حقا لكم، ووجودا لكم، دائمَ ذكر له، وباقي وجه له، وقائم اسم له، في قائم حضرة به، بلا إله إلا الله، بقائمكم بها، قيامًا لها في شهودكم لكم، محمدًا رسول الله.

بهذا جاء دين الفطرة مع كل نبي لها، حتى استكمل جيئته لكم، بمجيئه مع رسوله إليكم.. فإذا كنتم له، كان رسولُ الله إليه، معكم ولكم. وإذا كان روح الله معه وإليه، لكم ومعكم، كان الله، معكم ومعه، ومع روح الله إليه وإليكم فقامت لا إله إلا الله، لقائم وجودِكم، حصنا لكم، تدخلونه لأمنكم وسلامِكم، مع من جعله ربُه رحمة للعالمين. فبكم فيكم أعمل رحمتَه، فيه رحمكم، فكنتم به رحمةً لكم، ورحمةً منكم لكل من دخل في عهدكم، وقام في ميثاقكم.

رحم الله من استرحم الله، ورحم الله من رَحِمَ الله. وكيف نرحم الله، والله هو الذي يرحمنا، فكيف نرحمه؟ نرحمه في رحمة خلقه، فهو مع خلقه، هو مع الجميع.. (مرضت فلم تعدني)[١] فكيف تمرض وأنت الشفاء؟ (مرض عبدي فلان، لو عدته لوجدتني عنده)[٢].. (عَرَوت فلم تُكسِني)، وكيف تُكسَى وأنت الكاسي، وكيف تُعطَى وأنت العاطي؟ (عَرى جارك فلان ولو كسوته لوجدتني

عنده).. (جعت فلم تطعمني)[٣]، كيف تجوع وأنت الطاعم، وأنت الخالق، وأنت العاطي؟ (جاع عبدي فلان ولو أطعمته لوجدتني عنده)[٤]

ألم أقل لكم، إني معكم أينما كنتم؟ إن معيتي للجميع، وإن قيومي، على قَائمكُم بي على الجميع، فأنا بالجميع القائم وعلى الجميع القيوم، لا موجود معي، فالكل وجودي، والكل من رحمتي وجودي، يقوم بموجودي، سعادته في شهودي، برؤيتي في قربي لوجودي، وشقاوته في كنوده، وبعده بنفسه عن موجودي لموجوده. فلا وجود له بل هو موجودي.

وأنا لا أضيق بوجودي، أقبلَ أو نَفَرَ، قارب أو باعد عن شهودي، فإني بالغ أمري، في مجال بعده، عين أمري في مجال قربه. وإن كان في بعده، أقرب لهدايته، منه في قربه إذ هو أقرب لفتنته.

{أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون}[٥]، هذا ناموسنا، ولقد فتنا الذين من قبلهم، فكيف هم عن الناموس يخرجون؟ لا.. لا هم، ولا أبناؤهم، ولا آباؤهم، يخرجون من ناموس قدرتي، بهدايتي أو فتنتي.

من صلح، من صلح لي، من صلح ليكون وجها لي، من صلح ليكون بيتا لي، من صلح ليكون يدا لي، من صلح ليكون قدمَ سعي لي، من صلح ليكون عينا لي، من صلح ليكون أذنا لي، من صلح ليكونني اسما لي، عبدا لمطلقي، وربا لعوالمي، جعلناه مبشرا، جعلناه هاديا جعلناه نذيرا، جعلناه أمرا خطيرا، أعطيناه ملكا كبيرا، عَرفنَاه ليعرف، وكرَمناه ليُكرِّم، وعلَمناه ليُعلِّم، ورحمناه ليرحم، ودانيناه ليداني، وقاربناه ليقارب، وغفرنا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ليغفر ويرحم.

من كان بنا لنا، لا يؤاخذ مسيئا، ولا يدين بريئا، ولا يقسو على ضعيف مخطئ، يهدي الضال، ويوقظ الغافل، ويُحذر المستهتر، ويُعلم الجاهل، ويشعل سرج نور الله، في مشكاة الصدور، بإحياء القلوب. ينزل عليها بماء الحياة رذاذا من سحب رحمة الله به، ويُشعل فيها جذوة الحياة، نار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة.

يتواجد، بشرارة الحياة، في نفوس الخلق، ويتواجد بمصباح الحياة، في بيوت الحق، من مشكاة الصدور، بمصابيح القلوب، توقد من شجرة الجنس، قائمة بالشرق والغرب، والشمال والجنوب جامعة للمشارق والمغارب، وللسماوات والمتارب، محاطة بالحق المطلق.

قائم خلافته، ومركز إحاطته، ونقطة إشعاعه لقائم حضرته، ياقوتة أحدية ذاته الصمدية، وعين مظهر صفاته الأزلية، بإنسان عبوديته، وأحواض ماء الحياة، من محيطات رحمته، شمس الحياة لطالبي الحياة،

للمفتقرين إلى الحياة. شمس الحياة بظهور طلعته، انطباعا على شمس الحياة لقائم حضرته، ظلال وجوده، إنسان الأعلى لشهوده، وعبد المطلق لوجوده.

إنسان الله وأول عابدين، ما عرفه غير ربه. يوم تواضع للإنسان الأعلى، فتواضع للإنسانية العليا، تواضع للوجود، تواضع للموجودات، تواضع للكائنات، فتواضع للمخلوقات، فعَرَفْتَهَا، يوم عرفتها به، ويوم عرفته بها، عَلَمًا على الأعلى عليها.

فعرف الكائن العابد، عرف الكائن الحي، عرف اسم الله له واسم الله عليه واسم الله منه، فعرف الإنسان حقه وحقيقته وعرف من التحق به ومن لحقه له. فعرف أن ما فيه، إنما هو عين ما حوله، فعرفه بين ما فيه، وبين ما حوله، فعرف ما فيه بمعاني الرب له، وعرف ما حوله بمعاني الإله معه، وعرف أن ما حوله عين ما فيه، وأن ما فيه إنما هو من عين ما حوله، وعرفه بينهما، وصلة الحياة، بين مطلقها ومقيدها في الحق وفي الخلق، عرفه عروة وثقى، وأمرا وسطا.

عرف أنه هو يد الخالق، مع الخالق، وأنه هو جماع خلق مع الخلق، عرف أنه هو لله خلقًا وحقًا، عَرَفَه موجود الخلق بين الخلق، وموجود الخالق في الخالق، لا شريك له، لا شريك للخالق بشريك خالق، ولا شريك للخلق في موجود الخالق.

بهذا جاء رسول الله، وبهذا جاء دين الفطرة، وبهذا جاء دين الإسلام، وهو بعينه ما يتجدد لنا بيننا فينا، ممن هو فينا وعلينا، فلنتأمل قول من يدانينا من الأفق الأعلى، ليكون لنا بيننا مع أرضه من اصطفائه من أنفسنا، قاب قوسين أو أدنى، فيهدينا بما سبق به هُدينا.. لِمَ تبقون مع الاثنينية؟ أما آن لكم أن تفارقوا اثنينيتكم إلى وحدانيتكم؟ لِمَ تتعددون معنا؟ لِمَ تتعددون مع رسولنا منكم، وقائمنا بينكم، لقيامنا بكم؟ لِمَ تتعددون مع رائدكم لا تعدد معه؟ لِمَ لا تفتحوا صدوركم للنور، حتى تشاهدونا فيكم، وحتى نظهر بآياتنا لكم في أنفسكم ومن حولكم، فتبعثون بحقنا لحقكم، وبقيامنا لقيامكم، فما نظهر لغيرنا، وما نبرز من الآيات إلا لمعانينا؟ لِمَ تتعددون معنا وتتعددون فينا؟ أما آن لكم أن تدخلوا في حصن وحدانيتنا، وتفارقوا اثنينيتكم، بشعارنا وشعاركم بلا إله إلا الله.

إن ما نظهر به لكم، هو ما نستطيع أن نجعله لكم، يوم تجعلوكم لنا، كونوا عُمدا لنا في أمرنا، نكن سندا لكم في أمركم، فلا أمر لنا ولا أمر لكم، يوم ندخل في حصن وحدانيته بلا إله إلا الله، وفي طريق كسبها، ومرتقى عطائه بها بالله أكبر، لله لنا.

لا تقفوا مع الله لكم، فما من كمال من الله، إلا وفي الله وعند الله، أكمل منه ينتظركم عطاءً لا يجذ ومرتقى لا يتوقف، لخلقٍ أبدي لا ينقضي بروزا لحق أزلي لا يدرك.

اعرفوا الأعلى لمعناكم، يعرفكم من كان منكم في أدناكم، لمعناه على ما عرفكم الأعلى لكم معناه لمعناكم. لا تجعلوا للكبر مدخلا إلى نفوسكم. إن الله لا يحب المتكبرين. إن الله رحمة ويحب الرحماء. إن الله عزة على الغيرية، وليس عزةً على العينية.

إن الله لا يظهر عليكم بعزته، ولا يظهر لكم بعظمته، فإن فعل أهلككم، وأفنى وجودكم، ولكن الله يظهر بعزته على الغيرية فيكم، يوم يظهر بعزته في العينية بكم، فيعز عينيتكم منه على غيريته بكم، بعضكم لبعض عدو، وإن كيد الشيطان فيكم ضعيف، وإن هدي الله لضمائركم قوي.

إن شرارة الحياة، وجذوة الحق، مُشعلة في قلوبكم، لا تنطفئ. (استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك)[٦]، {فلله الحجة البالغة}[٧]، فلا تقل إن كبراءنا أضلونا السبيل، ألم تكن أرض الله واسعة؟ أما كان في استطاعتك أن تباعد بينك وبينهم؟

ليس هناك طاعة لمخلوق في معصية الخالق، من آمر بغير ما أمر الله. {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها}[٨]. ما لكم وكل شيطان مريد يستهويكم فتهوون! ما لكم وكل طاغية عنيد يذلكم فتخنعون! تسجدون للكراسي ولمن عليها لا تنظرون.

ويحمل عرش ربك فوقهم، يومئذ ثمانية، وما عرش ربه، إلا إنسان القيام لدعوته، حامل شرعته، وعرش شريعته، وشريعة عرشه، يستوي عليه الرحمن إنسان ربوبيته، رفيقا أعلى لصحبته، {أدعو إلى الله على بصيرة، أنا ومن اتبعني}[٩].. {يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له، وخشعت الأصوات للرحمن، فلا تسمع إلا همسا}[١٠].. {الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجا}[١١].

الحمد لله الذي أعطاني الكتاب، وجعلني نبيا، وجعلني مباركا أينما كنت، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا، فكان آية الله لعبوديته، في أرض رحمته وابتلائه. ضرب ابن مريم مثلا، فإذا قومك عنه يصدون، وما ضرب مثلًا إلا لأصحابك ومتابعيك، تقوم وتتقلب في الساجدين بالنور الذي أنزلنا معك، بالنور الذي جعلنا لك، بالنور الذي لم نرفع من بعدك، معرفا عنك لحواريه.. (يحل فيكم روح القدس، فتأتون أفعالي وتهدون بهديي)[١٢].

باسم الله الرحمن الرحيم، جعلناها لك ولأمتك. وكان بها النبيون من قبلك، هم لك لتمام بك وأمةً لك تبشر بمقدمك فأنت بين النبيين من قبلك والنبيين من بعدك باسم الله الرحمن الرحيم، الاسم الجامع والاسم الأعظم، لمن لا تحد عظمته، ولا تنال طلعته، إلا بمُثلِه في السماوات والأرض، له المثل الأعلى في السماوات والأرض في دوام.

جعله برحمته مكسوبا لطالبه، يوم هو لنفسه يرتضيه، فيدخل في حصن لا إله إلا الله، له فيه، لا شريك له، فيعرف الله من ورائه بإحاطته، ومن أمامه بطلعته، ويعرفه بينهما، بين يدي رحمته.

كسب ذلك في الله قديما، عبدُه وحقه ورسوله. وقام بذلك مانحًا له إنسانُه وطلعته وشمس معارفه وأحواض رحمته، من عرفناه بيننا بأديمه لآدمه محمدا، ووصلنا ووصلناه لروحه رسولًا، ولحقه ربًا، ولمطلقه عبدًا.

من ارتفع بمقام العبد لاسم الله في مطلقه فوق الخلق والرب والشهادة والغيب، من سما بالحق إلى، مطلق الحق، من شَرَّف العباد، من شَرَّف الحقائق، من شَرَّف الرسل، من عرَفَ الله فاستجاب له عبدا فيه به له في كل ما رأى، وفي كل ما عرف، وفي كل ما لاقى.

فعرَّف عما عَرَفَ، تعريفا كاملا شاملا. وقد أظهره ربه على الدين كله، وأظهر هو أمته على الدين كله، على ما ظهره، وخاطب الناس على قدر عقولهم، وتخير لمعانيه، أخيار الناس له فيه وأخيار الناس فيه به.

فكان فيه المصطفون الأخيار، كان فيه العباد الأحرار، كان فيه كل من دخل في الله، لحضرته لموصوف دار. فكان الإنسان، كان الدار وقاطنيه، كان الدار وبانيه، كان الدار ولبناته فيه، كان الدار ومنشيه. وكان الدار وما يحتويه.

{لا أقسم بهذا البلد وأنت حِل بهذا البلد، ووالد وما ولد}[١٣].. (زويت لي الأرض[١٤]، وجعلت لي مسجدا وطهورا[١٥])، هذه الأرض إنما هي دار من دور، إنها أول أبواب جهنم، وإنها سابحة في ملكوت الله جنة، فهي لم تخرج من الجنة، ولم ينتفي عنها قيد النار.

والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع، وما كان الإنسان على الأرض ذات الصدع، أو في الأرض ذات الصدع، محروما أو يائسا، ولكنها قد تكون باب سعادته فينفذ الجمل من سم الخياط...

يوم يرجع إلى ربه في معيته، وإلى إلهه في نجدته، وإلى كلمة الله في حقيقته، فيدخل إلى قلبه بيت ربه لكعبته، فينعكس ببصره وبصيرته، ارتدادا إلى ما فيه، فيعان ممن هو معه فيه، عاطرة أنفاسه بذكره، في شهيقها، استمدادا لمن يحيط به بلطيفه وزفيرها، اتجاها إلى القيوم عليه لا يمتنع عن تشريفه، في مصاحبة قائمة له، وإمامة في شهوده، ومرآته لوجوده.

{قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}[١٦]، (المؤمن مرآة المؤمن)[١٧]، (المؤمن مرآة أخيه)[١٨]. فهل آخيتم في الله، فكذبكم الله، فكشفتم كذبه؟ هل تآلفتم في الله؟ هل تواددتم في الله؟ هل تقاربتم في الله؟ هل تسايستم في الله؟ هل تشابكتم في الله؟ هل تبادلتم بينكم ما بكم من الله؟

هل آثرتم على أنفسكم؟ هل حرصتم على الحق بكم؟ هل أنميتم رؤوس أموالكم؟ هل جعلتم مالكم من الله قطاعا عاما بينكم؟ هل رأيتم الله شيوعا لكم؟ هل آمنتم بالشيوعية لله بكم؟ فالله قائم على كل نفس منكم، إنه لنفسه يريدكم، فهل أنتم لأنفسكم أردتموه؟

هل وحدتم جمعكم، أم عددتم أحزابكم؟ إنكم تتكلمون ولا وعي لكم، وتجادلون ولا غاية عندكم، بل الجدل هويتكم، والخصام إرادتكم، والتنابذ حقيقتكم. ويل لكل همزة لمزة، الذي جمع مالا وعدده، ما تعامل به مع الله، والله عليه استخلفه، وفي الأرض خَلَّفه، فلم يصلح أرض قلبه، بالمجاهدة في أرض ربه، ولم يكسب محيطَه، لقائمه أَحاطَه، ليكون به في ملكه محيطا، و(الملك من ملك نفسه)[١٩].

فهل ملك الإنسان نفسه؟ إن الله خلقكم لنفسه، لتكونوا ملوك أنفسكم، يستوي بكم بنوره لعقولكم، على عوالم وجودكم، بعرش هيكلكم، يوم تستوي رؤوسكم على هياكلكم، وجها لله لا يفنى، وكل من عليها فان، ويبقى من كان منكم وجها لله، (ما كان لله، دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل)[٢٠].

فهل نستجيب لنداء السماء بيننا مرة أخرى؟ وما كانت السماء إلا آباءنا، وما كانت الأرض بإنسانها إلا أمنا، وما كنا لهما، إلا أوادم الله، وكلمات الله، وأبناء الإنسان، وإنسانية الإنسان للإنسانية الرشيدة بالرحمن.

إن الذي فتح لنا مغاليق ذلك كله، هو رسول الله، لم يفارقنا، ولم يغب عنا، ولم يحتجب بيننا، ولم يسفه أحلامنا، قبرناه في قبر، وقلنا قبرناه ووسدناه التراب، فلم يسفه أحلامنا وعالج بحكمته غفلتنا وقال نعم قبرتموني ولكني حي في قبري وتنشق الأرض عني، حيّوني حيث قبرتموني، زوروني حيث سجنتموني، فأنا ما زلت حيا في قبري.

فإن كنتم على وعي من أمري، وعلى وعي من أمر الله لكم، وعلى وعي من أمركم بي، في أمر الله لي ولكم، فأنا بجوار الرفيق الأعلى، وأنا لكم بجواره، أقرب إليكم مني بينكم، وأقدر على خدمتكم مني مشهودا لكم. (تُعرض على أعمالكم فإن وجدت خيرا حمدت الله وان وجدت شرا استغفرت لكم)[٢١].

ولكنا أنهينا عملَه، وأنهينا وجودَه، وأنهينا شهودَه، وأنهينا كل ما يمت إلى الحق فيه بسبب أو نسب ورأيناه الفاني، كالفانين، والخلق كالمخلوقين، والعدم كالمعدومين، ما عرفناه خلقا حُقِّق، ما قدرناه موقوتا أُبِّد، ما عرفناه أبدا أُزِّل.

ما عرفناه، برحمة الله. جعله عنوانَها، ويدَها، وسلطانَها، أنه دائما بها لا ينقطع بها عنا، ولا يبتعد بها منا، نعم رحمة للعالمين، نعم صدق الله، وصدق رسول الله، رحمتي غلبت عذابي.

إن من جعله الله رحمة للعالمين، رفعه فوق الطاعة والمعصية، وجعل الدينَ في حبه، واليقين في قربه، والنجاة في بيته، والسير في ركبه، والترقي في متابعته، والتحقق في وصلته، والجنة في نعمته، والحقيقة في نظراته، والنجدة في يده، وقرب الله في سعيه، باخعا نفسه على آثارِنا، مجادلا عنا، مقبولا عند الله جدله، مجابًا عند الله طلبه.

يكفي أننا لمحمد، ونحُب محمدا، وننسب أنفسنَا لمحمد، نعشق محمدا، ونحُب محمدا، فإن عشقناه، فقد عَشقنا الله الذي لا يحاط به ولا يُدرك، وإن أحببناه، فقد أحببنا الله، المترفع المنزَّه، الغني عن العالمين.

ولو أنا قدرنا الله حق قدره، فإن الله لا يُحِب ولا يُحَب إلا في مثله ومن مثله. إن الله لا يَكرَه ولا يُكره إلا في فعل عباده ولعباده. إن الله لا يَعْشَق ولا يُعشَق، كيف يحب ويعشق من لا شريك له!! من يحب؟ كيف يعشق من لا موجود معه!! من يعشق؟ كيف يغضب من لا تُخَالف له إرادة!! فمن ذا الذي يغضبه؟ كيف يرضى، وعما يرضى، وهو الراضي عن نفسه، والراضي عن فعله، وما قام في الوجود ما لا يرضيه.. فمن ذا الذي يرضيه!!

ولكن الله جعل الدين في أن تُرضي أنت ضميرَك، وجعل الحب، في أن تحب نفسك يوم تحييِها بحب إمامك ورسولك، رسولُك أنت من حقه بك، أما هو فإليك ما أرسل، وما كان له من رسول. كيف يكون له رسول إليك وهو أنت، وهو كل كلك، وهو أقرب إليك من حبل الوريد؟

فما كان الرسول إليك إلا منك، من موصوف آبائك، بقديم جنسك، فما كانت الرسل إلا أبناء أبيك، وأخوةً لك فيه، (ادعو لي يا أخي يا عمر)[٢٢]، فلتبق معي أأتنس بك يا أخي يا أبا بكر، إنها الأخوة في الله، إنها الأخوة في الأمومة والأبوة.

ففي الله في الحقيقة، يوم يتواجد الجمع للفرد بها لا أخوة ولا أبوة ولا بنوة، ولكنها الوحدانية، يوم أدخل وإياك في حصن لا إله إلا الله، فلا أخوة لنا، ولكنها عينية الله لنا، محانا عنا، فلا اثنينية معه بنا، هذه هي الوحدانية بلا إله إلا الله، وبالله أكبر، عَلَّمَناها من كانها وقامها.

أُمِر أن يقول لنا، قل جاء الحق وزهق الباطل، بُعِث بحق الله له وجها لله إلينا، لوجوه الله بنا، فنحن معه فيه وجوه في وجوه، ووجوه لوجوه، وجوه ناضرة، لربها ناظرة، ووجوه ما زال الله من ورائها بإحاطته، ولكن عليها غبرة، ترهقها قترة، أولئك هم الكفرة الفجرة.

هل يستوي الظل والحرور؟ أم هل تستوي الظلمات والنور؟ لا يستوي أصحاب النار، وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون. فالنار دار ممر وإن منكم إلا واردها، كان على ربك حتما مقضيا، فلا جنة

حق قبل نار خلق ولا نار حق قبل جنة خلق فإنهما أمران في الله، ينتقل الإنسان من أحدهما الى الآخر خلقا وحقا حتى يتحرر في الله من كليهما خلقا، ويتردد بينهما حقا فيخرج إلى مطلق الوجود، لموجود الله، حقا له، يحب أن يعرف، فيخلق الخلق، فبه يعرفوه، اسما لله، ووجها لله، إنسان عبوديته لمطلق حقيته، ووجه طلعته لداني ربوبيته.

هذه هي مكانة الإنسان في الله، يوم يحرص الإنسان على إنسانيته ومكانته. هذه هي بشرى الله للبشرية، يوم تكسب البشرية صفات البشر لها، قل إنما أنا بشر مثلكم، نعم فقد أكرم الله البشر، وشرفه على كثير ممن خلق، كرمنا بني آدم، واصطفينا آدم، وفضلنا آدم وأبناء آدم على كثير ممن خلقنا، وحققنا آدم وأبناء آدم، إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، إن آدم وأبناءه في الله، حقائق الله، وأسماء الله، ووجوه الله، وأمر الله لأمور الله، فهل حرص البشر على شرف البشرية؟ هل حرص الناس على شرف الناس؟ هل حرص الإنسان على شرف الإنسان؟ هل حرص الكائن الحي على شرف الحياة، وعلى شرف الكينونة؟

هذا ما جاءنا به دين الفطرة، مع رسول الله، وما يتجدد بيننا الآن، مع رسول الله، يدانينا، من الأفق الأعلى، لموجوده لنا بيننا من نبات الأرض، فيوحي ما يوحي لمن يوحي إليه، ويُعلِّم ما يعلم لمن يعلم، ويخاطب من يخاطب على ما يخاطب، ويفعل ما يشاء على ما يفعل لمن يشاء، ظاهرا وباطنا، مدركا لنا وغير مدرك منا، فيجدد بيننا لنا، شعاره لنا، لا إله إلا الله، محمدا رسول الله، ذكرا قديما لذكر محدث منا بيننا لنا على ما كان في ناموس فطرته، وعلى ما يبقى لبشرى شهادته.

اللهم يا من كنت لنا في الآباء، كن لنا في الأبناء، واجعلنا بهما بين يدي رحمتك، فكن لنا فينا، بهما، وكن لهما بنا منا بك، بلا إله إلا الله، محمدا رسول الله.

اللهم أصلح فيك أمورنا، وأحيِ فيك قلوبنا، وأطلق فيك أرواحنا، وأنر بك عقولنا، وأشعل جذوة الحياة فينا من نار قدسك، واجعلنا من أهل قربك، بقرب من اصطفيت لنا، وأقمت علينا.

ربنا إننا قبلنا وصدقنا أنه لا إله إلا أنت لعقولنا، ولقلوبنا، ولنفوسنا، اللهم حققنا بما قبلنا، اللهم حققنا بما علمنا، اللهم حققنا بما عرفنا، اللهم أدخلنا في حصن لا إله إلا الله، وقمنا بها للناس محمدا رسول الله، عبادا لك، وذكرا محدثا فيك، لذكر قديم به، في مطلق وجودك، معبودَنا، ومنشودنا، ومرادَنا، ومعروفَنا، وموصوفَنا.

فنحن لله العباد، ومهما فيه اتسعنا، ونحن لله العباد، مهما به خَلقنا وأَنشأنا وأوجدنا، ونحن لله العباد مهما به اتبعنا وظهرنا أو احتجبنا، نحن موصوف العبد لله، مهما به وسعنا وقمنا وأقمنا.

نعم.. نحن به الأرباب لمن نرب ممن هو منا، ولكنا عرفنا أن من كانوا به الأرباب حقيقة، هم له العباد حقا، في وصلتهم به، ووحدانيتهم معه، وأن العباد هم السعداء، يوم يتخلون عن ربوبيتهم، ويستخلفون في أمرهم، بخلق الأعلى لهم، تاركين الأمر له على أنفسهم بمن خلفوا من عباده في صحبتهم تفرغا لجواره لنعمتهم.

إن السعادة، إنما هي في العبودية، عبد يترك حِمله على ربه سعيدا بقربه، وإن المشقة، والمسئولية، والرهبة والخشية، والخطورة، وعدم الطمأنينة، إنما هو في الربوبية، كلكم راع، كلكم رب، فتنبهوا واستيقظوا، ولا تُخدَعوا بربوبيتكم، ولا تركنوا لرعيتكم لها مسخرين لخدمة أنفسكم فكلكم مسئول عن رعيته، مسئول أمام أعلى، مسئول أمام حق أعلى. {ذرني ومن خلقت وحيدا، وجعلت له مالا ممدودا، وبنين شهودا، ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد}[٢٣].

نعم إن الله قائم على كل نفس، آمنت بالله، أو التوت في أمرها معه، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وما يهدي نفسًا إلا بهداها، وما يضل نفسا إلا بضلالها. إنه يملك الهدى، كما يملك الضلالة تماما، وجعل للنفس البشرية، إرادته، وجعل إرادتها إرادته، {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}[٢٤].. (كن كيف شئت فإني كيفما تكون أكون)[٢٥].

إنه الواسع الحكيم، إنه الغني عن العالمين، الإنسان فيه يعمل به لحساب نفسه، أعطاه الله مكنته، قدّره فهداه بما أودع فيه من قدرته واستأمنه على اسمه، ورضيه لمعاني وجهه.. فهل يرضى هو؟ إن الله من جانبه رضي، ولكن الإنسان نأى بجانبه ولم يرضَ بعد، لأنه لم يعرف بعد، لأنه لم يدرك بعد، وقد قدره فخدعته القدرة فأضاف للقدرة الهدى كعامل مساعد فهدى، قدره وجعل فيه قدرته، وهداه من دائرة قدرته، فهداه منه.

هداه برسلٍ من نفسه، فما أرسل الرسلَ إلى الناس إلا صالح الناس، يوم كسب الناس الحياة، وأرادوا أن يكسبوها لأبنائهم فأرسلوا إليهم من أبنائهم أخوة لهم، من الأنبياء والحكماء والعلماء، فكانوا بينهم المعلمين والهادين، كانوا بينهم أبواب رحمة الله رب العالمين، بملأٍ من العالين.

بهذا تأتيكم رسالة الروح في عصركم هذا، فيتحدث إليكم من هو من الأفق الأعلى يداني، من يصطفي من وسطاء بينه وبينكم، لمعاني بيوت منها يتحدث، حجبا له، بصوت يسمع لكم، ويأتي قرينَ فعله ظاهراً، فعلا ظاهرا وباطنا، فيه الرحمة والخير لكم.

أمره يدق على فهومكم إلا من رحم، إلا من طلب، إلا من تعلم فعَلِم فعلَّم. ولكن أمره لا يختفي عنكم ولا يخفى عليكم، ما كنتم حقا في دين الفطرة. هذه هي رسالة الروح، تجدد رسالة الفطرة بينكم برسولها وآدمها لكم في ظل ناموس الفطرة لظاهر وباطن الحياة بالإنسان.

فهلا استجبتم، ولنداء الروح لبيتم، فبينكم تآلفتم، وببعضكم البعض تحابيتم وتواددتم وتعلقتم وائتلفتم، فنطق وعمل منكم الروح وظهر لكم، وظهر بكم، فاتحدت قلوبُكم فبالحق بعثتم ولباطلكم أزهقتم وبحقائقكم انتشرتم فاتحدت قلوبُكم إنسانًا لله وحقا له، {محمدٌ رسول الله والذين معه، أشداء على الكفار رحماء بينهم}[٢٦]. ضرب لهم مثلا في التوراة وضرب لهم مثلا في الإنجيل، وضرب لهم مثلا في الناس لا ينقطع أبدا، (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)[٢٧].. هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٢٨].

اللهم برحمتك به لنا، ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا.

اللهم برحمتك به لنا، كن لنا في الصغير والكبير من شأننا، وأنزل به السكينة على قلوبنا، والسِلم والسَلام على أرضنا، وألف بين قلوبنا، وأنر عقولنا، وأشعل جذوة الحياة في نفوسنا، وأحيِ موات قلوبنا، وقوِّم به جوارحنا، واجمع به شملنا، وارفع به آيتك بنا، أعلام لا إله إلا الله، وأعلِ به كلمة الحق علينا، وكلمة الحق فينا، وكلمة الحق بنا، وكلمة الحق لنا.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ من الحديث القدسي: " إِنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يقولُ يومَ القيامَةِ: يا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قالَ: يا رَبِّ، كيفَ أعُودُكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟! قالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قالَ: يا رَبِّ، وكيفَ أُطْعِمُكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟! قالَ: أَمَا عَلِمْتَ أنَّه اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلكَ عِندِي، يا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قالَ: يا رَبِّ، كيفَ أَسْقِيكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟! قالَ: اسْتَسْقاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إنَّكَ لو سَقَيْتَهُ وجَدْتَ ذلكَ عِندِي." صحيح مسلم

٢ أُنظر الملحوظة السابقة.

٣ أُنظر الملحوظة قبل السابقة.

٤ أُنظر الملحوظة قبل قبل السابقة.

٥ سورة العنكبوت - ٢

٦ من الحديث الشريف "استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك." أخرجه أحمد بن حنبل والدارمي.

٧ سورة الأنعام - ١٤٩

٨ سورة البقرة -٢٥٦

٩ سورة يوسف -١٠٨

١٠ سورة طه - ١٠٨

١١ سورة الكهف - ١

١٢ استلهاما من: " وَأَمَّا ٱلْمُعَزِّي، ٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ، ٱلَّذِي سَيُرْسِلُهُ ٱلْآبُ بِٱسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ." يُوحَنَّا ٢٦:١٤

١٣ سورة البلد - ١:٣

١٤ من حديث شريف: "إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها وأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ: الأحمرَ والأبيضَ... أخرجه مسلم في صحيحه.

١٥ من الحديث الشريف: "فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

١٦ سورة سبأ - ٤٦

١٧ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

١٨ حديث شريف: "المؤمِنُ مرآةُ أخيهِ، المؤمنُ أخو المؤمنِ يَكُفُّ عليهِ ضَيْعَتَه ويحوطُه مِن ورائِهِ." أخرجه أبو داود والبخاري.

١٩ استلهاما من الحديث الشريف: "ليسَ الشَّديدُ بالصَّرَعَةِ، إنَّما الشَّديدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ. أخرجه البخاري ومسلم

٢٠ حكمة يذكرها أولياء الله الصالحين، ينسبها البعض للإمام مالك ابن أنس، أو للإمام أحمد بن حنبل، ولكن لا سند لها موثقا.

٢١ حديث شريف: "تعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت خيرا حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم." أخرجه النسائي والطبراني.

٢٢ عبارة ربما تشير إلى ما يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر: (لا تنسنا يا أخي من صالح دعائك) أخرجه أبو داود، والترمذي. ويصنف بأنه ضعيف.

٢٣ سورة المدثر – ١١-١٥

٢٤ سورة الكهف - ٢٩

٢٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢٦ سورة الفتح - ٢٩

٢٧ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.

٢٨ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩

(١١)

كيف يكون عبدا للوجود
من هو غير موجود؟
كيف يكون عبدا لإنسان الدوام
من هو من لمحات الزمان؟

حديث الجمعة

٢٩ جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ - ١٤ أكتوبر ١٩٦٦ م

أعوذ بالله الرحمن الرحيم. باسمه نقوم، وبه نستعين، من النفس، ومن الشيطان الرجيم، منها يجري مجرى الدم. عدونا الكامن لحقنا الظاهر.

عباد الله..

أما آن لكم أن تقدروا الله حق قدره، فتؤمنوا برسوله.. وتأخذوا كفلين من رحمته؟

أما آن لكم أن تعرفوا أن الوجود رسول.. أن الوجود رسول موجده. وأن الكون رسول مُكَوِّنه. وأنكم من الكون تكونتم، ومن الوجود تواجدتم، فمن رسول الله وفي رسول الله وُجدتم؟

ورسول الله فيكم، أما علمتم؟ وأنتم في رسول الله، أما أفقتم؟ إنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم فهلا إليه ركنتم.. فهل ربا لكم معكم شهدتهم، فعرفتم الحق، جاءكم به فقدرتم، ورحمة مهداة إليكم، باستقبالها له يسرتم، لخلصتم ونجوتم؟

أم أنكم بموصوف الخلق وصفتموه، كلما وصفتم، وعرفتموه كلما عرفتم، فعليه استكبرتم وما حقا به آمنتم وحقكم من الأكبر منه ما استقبلتم ولا قبلتم؟

أنعبده من دون الله؟ إنه عبد لله، إن شرَفَه أن يكون عبدا لله، وإن حَقَه أنه عبدٌ لله، وإن شَرَفَكُم أن تكونوه عبادًا لله، وأن تبعثوه، بعثا للحق بالله، في إزهاق باطلكم لموصوف خلق الله، فما كان عبد الله إلا حق الله.

فكيف يكون عبدًا لله، من ليس هو حق! كيف يكون عبدا للدوام من هو وقت! كيف يكون عبدا للمحيط من هو قيد! كيف يكون عبدا للقادر من هو عجز! كيف يكون عبدا للوجود من هو غير موجود!

نعم إنه عبد الله، ما ظهر الله إلا بعبد لله، له المثل الأعلى في السماوات والأرض، عبادًا له. فما رؤي الله إلا بعبد لله، وما رأى الله إلا عبدٌ لله. لا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله.

إن الربوبية في الله بالله ما كانت إلا عبودية لله، عباد مكرمون، وإن العبودية في الله لله ربوبية بالله. الإنسان في الله، موجود العبد والرب لله، في الله، من الله، هو إلى الأعلى يرعاه عبده، وهو إلى من يرعى لمعناه ربه.

جاء عبد الله، قبسا من نور الله، وروحا من روح الله، وأمرا من أمر الله، وجها لله، لوجوه لله، وأمرا لله، لأمور لله، وقبسا من نور الله، لأقباس لنور الله، وجه الله، لوجوه الله، وجوه ناضرة، لربها ناظرة، وما ربها إلا وجه لله، وما نظرته إلا بعينه وجوها له، ووجوها لله.

إلى متى تذكرون رسول الله، على أنه فقاعةٌ لماء الحياة، ظهرت في بحار الحياة، على سطح الحياة، ثم افرنقعت، فلا وجود ولا حياة؟ أهذا وعي عمن يذكر بموصوف رسول الله!!! مئات السنين، وأضعافُها تتلاحق بالقرون، وأنتم عن رسول الله، وعن رب رسول الله، تتحدثون، كما تحدث الجاهلون، لرسالته لا يقبلون.

فلأمره لا يخضعون، ولحقه لا يخشعون، ولنوره لقلوبهم لا يتهيؤون، ولا يتعبّدون، ولا يُعّبدون. وآذانَهم دونه يغلقون، وأصابعَهم في آذانهم يضعون، وعن الحق كلما جاءهم يُدبرون، وبالصد عنه يتواصون.

فلا هم به يؤمنون، ولا المؤمنين به يتركون، وهم له، بالحق في أنفسهم، وتجاهَهَم، ومن خلفهم، وعليهم، ومن حولهم، يعمهون، وإذا تحدثوا تحدثوا جاحدين، أو منكرين، أو للكلم محرفين. وإذا أسلموا، سلَّموا، واهمين، للفسقة[1] وللطاغين. فعباد الرحمن يمشون بينهم، على الأرض هونا، لا يَقْبَلون، ومن يضعون نعالَهم على هاماتهم، لهم وللطغاة يسجدون.

وإذا ما رأوا في أنفسهم عزة، اعتزت عقولهم، بموهوم الدين، وبموهوم اليقين، فعزتهم بالكبر والطغيان على عباد الرحمن يُعمِلون، كفرانًا وطغياناً يجابهون باسم المجاهدين، للسنة مقيمين، فإذا صفعوا على وجوههم وأقفيتهم من المستكبرين لهم لمخادعة أممهم مسخرين كانوا عند أقدامهم خارين وتجاهَهم راكعين وساجدين باسم المسلمين المؤمنين المتابعين. وفقههم في خدمة الطغاة والطغيان يسخرون، أئمة وهداة لهم يتابعون، ونصرة لهم من الله يسألون.. فأي إله هذا الذي إليه بحناجرهم يجأرون ويسألون!!

هذا حال البشرية، على ما يشهدها اليقظون، وهذا حالُها يعجز عن معالجته الراحمون، ويعيا، في مقاومته المعلمون، فإلى متي وحتى متى تتقاعسون، وباليقظين الراشدين من بينكم لا تنتفعون وأنفسكم تجاهدون وتقومون، وكل مخادعٍ عابث بعقولكم، له لا تخضعون أو تتابعون، وبالقدسية لا تصفون، وبالولاية لا تقدِّرون؟ إلى متى تبقى بينكم الشعوذة دين، والطغيان يقين؟ تعالى الله عما تصفون، وتنزه رسول الله عما تقدرون.

جاءكم رسول الله بكل دين، بدين ودين ودين، أشهده الأعلى على الدين كله، فقدم لكم الدين كلَه. فللعوام والأميين دين، وللقراء والحفاظ دين، وللمجاهدين دين، وللحاكم دين، وللمحكومين دين، وللعارفين دين، وللقيمة على الناس بالله دين، فما هو الدين؟ وأي دين بالإسلام تصفون؟!

أدينُ القيمة، أم دينُ القوامين، أم دين القائمين؟ أدين الحفاظ والقراء، أم دين من لهم يستمعون؟ أدين المتنسكين أم دين المجاهدين السالكين؟ أدين الحكام مؤمنين، لله مستجيبين، وراء أئمتهم يتابعون، هم لهم متابعين، أم دين الحكام مع أنفسهم، بأنفسهم طاغين، وعلى شعوبهم مستكبرين؟

يجلسون على الكراسي، جلسة الرحامين وهم ظاهرُ الشيطان وأرباب الشياطين، يخاصمون معنى الإنسان للرحمن للرحامين، بعباده على الأرض يمشون، متواضعين غير مستكبرين، يقظين غير غافلين، مؤثرين غير متعالين، عالمين لا بجهل يُفتُون، ولا في أوحال التوحيد يتساقطون، وبأخطاء التعديد يتمشدقون.

المهدي من هدى الله، وهم بالهادي مهتدون، وبه للناس يَهْدُون، وباسم الحق بينهم يَظهَرون، للحق مشهودًا لهم، في الناس يتواضعون، لا متخاذلين، ولا متهاونين، ولكن مؤمنين عارفين، عالمين عاملين.

شهدوا الله في وحدانيته، شهادةَ الله لنفسه في وحدانيته، فعرفوهم، لله معنونين بعدمهم عنهم، عن خلقِهم لوجودهم فانين. قتلوا أنفسهم، بُعثوا بالرحمن الرحيم.. قتلوا أنفَسهم، قتلوا مادي وجودهم قتلوا موقوتهم، فبُعثوا بالحق.. بنوره جاءهم، وبالنور بعثَهم، وبالحق أَشْهَدهم وأقامهم.

فكانوا الأرباب، وكانوا العباد. كانوا الأرباب لخلقهم، لعملهم، وكانوا العباد لحقهم وحقائقهم، كانوا الإنسان، كانوا الإنسان أبا، وولدا، وأخا، كانوا الإنسان، رجلا، وكانوا الإنسان، امرأة، كانوا الإنسان

أزواجًا، كانوا الإنسان فردا، كانوا الإنسان قيامًا وعَدًّا، كانوا الإنسان أمة، كانوا الإنسان أسرةً، كانوا الإنسان واحدًا وأحدًا، كانوا الإنسان حقًا وخلقًا، كانوا الإنسان بداية وكانوا الإنسان نهاية.

نذكر في الدين شعاراتٍ، لا ندريها، ولا ننظر إلى ما فيها، فنقول العباد.. ولا ندري معنىً لهذا اللفظ، من العباد؟ من يكونُ العبد؟ ما هي أوصاف العبد؟ ما هي حقيقة العبد؟ نقول الرب.. من يكون الرب؟ كيف يكون الرب؟ أين هو الرب؟ نقول الإله.. من هو الإله؟ أين هو الإله؟ متى هو الإله؟ كيف نلقى الإله؟ كيف نعرف الإله؟ من يجمعنا على الإله؟ لا ندري!

أُذكر ربك في نفسك.. لا نقبل كيف تتسع له نفس! الإله معك أينما كنت، وحيثما كنت، وكيفما كنت، هو غيب العبد. لا نعرف ولا نعلم، هذا ليس من شأننا، نحن على ما كان آباؤنا، هذا ليس من قُدْرَتِنا إدراكه! إن الرب هو العبدُ للإله، لا.. حاشى لله! إن الرب هو الله! نعم هو الله ولكنه معنىً في الله.

إن الله هو كل الرب ومفنيه ولكن الرب ليس كل الله ولا يفنيه بل هو الفاني فيه. إن الرب، هو كل العبد، أُذكر ربك في نفسك.. ولكن العبد ليس كل الرب. هذا كلام الفلاسفة! نحن نقبل كلامَ الدين، ولا نقبل كلام الفلاسفة.

سبحان الله، وهل كان الدين إلا فلسفة؟ وهل كانت الفلسفة إلا دين؟ يوم تبتعد الفلسفة، في خدمتها للإنسان عما يقوم به الدين من ربط بين الخالق والخلق بالعلم والعمل، فليست فلسفة، ولكنها هرطقة وسفسطة، ويوم يبتعد الدين في خدمته للناس، عما تخدم فيه الفلسفة الحقة، في البحث عن الحقيقة، فليس بدين، ولكنه أوهام، وخزعبلات وترَّاهات[٢].

لا تختلف الحكمة، بمعرفتها لمعنى الفلسفة، عن الحكيم وطلبه لمعنى الدين. فالدين، يفتح الطريق، لملاقاة الحكيم، وإمكان تمييزه من الناس. والفلسفة، تفتح الطريق، لاستقبال حكمته لمعنى الدين، ولن يتقارب طالب الله، من الله، حكيما عليما، إلا يوم أن يتقرب إليه، بما قدم للناس من علمه وحكمته من فيض إمامه عليما حكيما. (من تقدم إليّ ذراعا، [بما علّمت]، تقدمت إليه باعا، [بما رحمت])[٣].

اتقوا الله، ويعلمكم الله، الذين جاهدوا فينا، لنهدينهم سبلنا، قل جاء الحق وزهق الباطل، عَلِّمهم، بصِّرهم، أوحِ إليهم يا وحينا، وأسرِ فيهم يا نورنا، وأحيهم بأنفاسك يا روحنا.

فما كان رسول الله، لنا، إلا الحياة، بألوانها في وجودنا، يحيي قلوبنا من ماديها لروحيها، ويجدد جلودنا بموتها عنها وبعثها به، يقوم ويتقلب في الساجدين بالنور أنزل معه، وجُعل له، لا يتعطل عمله[٤]، ولا

تخفى رسالته، ولا يغلب أمره، ولا يقبر سره، ولا يرفض جهره، ولا يسكت ذكره، ولا يطفأ نوره، ولن تهزم غلبته.

الحرب، كر وفر، وهو في صراعه مع الباطل، ابن بجدتها، وعَلَمُ حقيقتها، بالحق به جُعل له الخلد بشرًا، به دخلت البشرية في أبديتها. كلما بدأ ببدءٍ في جماعتها، برز، بربوبية الإنسان فردًا، وبيتا، وجماعة، وكشف عن عبودية الإنسان للانهائي فردًا، وبيتًا، وجماعة.

أظهر عبادةَ الفرد، لجماعة البيت رجل سَلم لرجل، ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات طريقا قويما، على ما كان في بني إسرائيل مواصلة وبيانا لما في بيت إبراهيم، وأبرز البيت قبلةً للجمع على ما جعله في أمته تجديدا لبيت آدم، وبعثا لبيت إنسان الله، حقا وعبدا، وأبرز الجمع، قدسًا للفرد والبيت من رحمته. فما كان معبود الفرد وأهل البيت إلا الجمع من حولهم يوم يستقيم الفرد مع ربه محوطا منه محيطا٥ به، فيستقيم الجمع لربه مشهودا به لمن حوله من وجوهه من عباده لخلقه.

إن الذين استقبلوا البيت للمذكور فيه ساجدين، حياهم أهل البيت من وراء جدره، لله فيهم ذاكرين ولله بهم ساجدين، وإن الذين استقبلوا البيت راكعين، حياهم أهل البيت راكعين، وإن الذين استقبلوا البيت واقفين، حياهم أهل البيت واقفين. مالكم في مناسككم لا تتأملون؟ أليس هذا منسك الحج الذي تأتون، وله تشهدون، وله تعرفون؟ ما هي الحكمة فيما تعملون؟ ما هي الحكمة فيما تشهدون، وفيما فيه تقومون؟

إن مناسك الحج التي تؤدون، ما هي إلا إعلام عن قائم الحق للجنس، على ما هو الجنس، وعلى ما هو قائم فيما لا تعلمون من أمر أنفسكم.

إبليسا في مناسككم ترجمون؟ أي إبليس هذا الذي ترجمون وتقتلون؟ إن لم تعرفوا أنه هو أنفسكم، لها تجاهدون، ومعها تتقاتلون، فأنتم معها، منتصرين أو منهزمين فلا خير في المنسك تأتون. {ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم...}٦ هل تفعلون؟

الذين آمنوا بالله ورسوله، لا يرتابون. فهم المؤمنون، والذين آمنوا بالله ورسوله، ثم ارتابوا، أولئك هم الفاسقون حقا، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان. جاءهم أمر الله، فمسخوا على مكانتهم فإذا هم مبلسون، تلك إذن كرة خاسرة يوم يستيقظون.

كلما هم على الأرض، جاءوا كارين، ومن العذاب فارين، وللإنظار طالبين، وبالمجاهدة لأنفسهم واعدين. فهل صدقوا أم واصلوا فاسقين، وتجددوا منكرين، وبعثوا على ما كانوا جاحدين!

إنكم في قائمكم هذا تغيرون، وللتغيير تملكون. وفي غير قيامكم هذا لأمركم لا تملكون، ولكنكم في قائمكم بالله، بأمانة الحياة لكم، كل أمر يهون، وعلى كل شيء تقدرون، ولكل ما تطلبون وتصبون، يمكنكم أنكم له تحققون، يوم أنكم له تطلبون، وإرادتكم لتحقيقه توجهون. أنتم في قيامكم هذا الذي أنتم به تستهترون وفي التافه من الأمر له تسخرون وعن الله معيتكم تغفلون، وعن ربوبيتكم لكم عن الرب في أنفسكم، تغمضون، ونور الله عيانا بيانا بينكم تشهدون، لكم لا ترضون، ولسريانه بكم لا تستقبلون.

الله وعظكم بواحدة، لو أنكم تتعظون، {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى، ثم تتفكرون}[٧].

فلا أنتم لله تقومون، ولا مثنى، تتوافقون، ولا فرادى تُبعثون يوم تصدقون فتتقون، ثم أنتم بعد ذلك في دين! أي دين! وأنتم على يقين. أي يقين! من يكون الجاهلون.. إذا لم تكونوا أنتم الجاهلون؟ ومن يكون الغافلون، إذا لم يكن حالكم هذا، أيها الغافلون؟

أما آن لكم أنكم إلى أعماق أنفسكم تتجهون، وإلى قلوبكم تصلون، وإلى معيتكم تركنون، ولربكم فيكم تشهدون، فبالحق تبعثون، حقائق تتآخون، وخلائق تلدون وتولدون، تتواجدون وتوجدون. إنكم للخلائق معنى تقومون، وإنكم للحقائق حقا تبعثون، يوم تسلمون ويوم تؤمنون.

لا يتخذ بعضكم بعضا أربابا، من دون الله. إن الربوبية هي لكم، وإن العبودية هي لكم، وإن القدسية هي لكم. في الله، أنتم فيه بأقداسكم، وأنتم فيه بأوصافِكم، وأنتم فيه بموجودِكم. موجودكم في موجوده وجودًا واسعا لا يحاط به، مطلقًا، لا ينتهي تواجده وسعتُه، ومعانيكم في معناه، به تقومون، ووجوها له تظهرون، ولكنكم بمعانيه، لا تحيطون، إلا بما شاء أن تحيطوا من علمه بكم، في علمكم عنكم، عِلما به كتبَ قدسه، ونور رحمته، وروح حقائقه.

الله. الله. الله. لا جحود به، ولا إنكار له. الوجود رسوله، والإنسان وجودُه، وحقُه وشهوده، يوم يكون إنسانًا، فيكون للحق عنوانًا، وللقبلة بنيانا. يوم يكون، عمودا من النور، أعلاه عند ساق العرش وما فوقه، وأسفله في الأرض السفلى وما دونَها عمودا، لا يتوقف امتداده. السماوات والأرض، فيه، تتصاعد، وفيه تتواجد، وفيه تتوالد، وفيه تمتد.

خُلِقت للإنسان! لأي إنسان؟ للإنسان الذي بُعث بالرحمة فكان رحيما رحمانا، فكان هذا النور للسماوات والأرض هي به تتجدد، وبه تتعدد فكانت الدنيا والآخرة، في عمدٍ ممددة. هي ألف أحديته، وعماد حقيقته وشعاع صادر عن شمس ذاته لقدسيته.

ماذا أدرك الناس عن الإنسان حقا أو عن الإنسان خلقا؟ وماذا أدرك الناس عن الإنسان رسولا، وعن الإنسان مرسِلا، وعن الإنسان مرسَلا إليه، وعن الإنسان مشروعا للحياة الأبدية في الحياة الأزلية؟

بالبيان بهذا كله جاء الإسلام، فهل أسلمنا؟ وهل نسلم؟ بهذا بَين الرسول معنى الإيمان، فهل آمنا؟ وهل نستقبل الإيمان؟ وهل نؤمن فنفيض الإيمان، ويستقبل منا الإيمان؟ أفمن جعلنا له نورا يمشي به في الناس، كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها؟ يا أيها الناس اتقوا الله وآمنوا برسوله، ربا راعيا لكم ولا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله، هل تستوي الظلمات والنور؟

اللهم يا من جعلت من محمد فردا، وبيتا، وجمعا.. اللهم يا من جعلت من محمد، بفرده وبيته وجمعه، عبدا وربا.. اللهم يا من جعلت من محمد فردا، وبيتا، وجمعا، خلقا وحقا، قديما وجدا.

اللهم يا من جعلت من محمد في فرده وجمعه، ليلا ونهارا.

اللهم يا من جعلت من محمد، بليله ونهاره، سرا وجهرا.

اللهم يا من جعلت من محمد، بفرده وجمعه، أحدا لذاته، وجمعا بظلاله لصفاته.

اللهم يا من جعلت من محمد لنا قدسا، وأدنيته منا خلقا، وجعلته من أنفسنا حقا، وجعلتنا من حقائقه خلقًا، فكاه وكاننا، وصرناه وصارنا، وعرفناه وعرفنا، ما أغفلناه وما أغفلنا.

اللهم امنحنا به منّة[٨] منك، وجودا فيه، ووجودا له، ظلال وجوده، ووجوه شهوده، وكتب تواجده، وكلمات حقه، لقائم حقك.

اللهم على ما علَّمته علِّمنا، وعلى ما قربته قربنا، اللهم اجعل قربنا إليك في قربنا له، وعِلمنا منك في علمنا عنه، اللهم لا تمنعنا إياه في مرتقانا، في مبنانا، وفي معنانا، وفي وصولنا، وفي جحودنا، وفي غفلتنا.

اللهم به فأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا.

اللهم به فادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم، اللهم به ولِ أمورنا خيارنا، برحمتك لنا به، ولا تولِ أمورنا شرارنا، بغفلتنا عنه، لغفلتنا عنك.

اللهم إنا قد عرفنا، ما سمعنا، إنك أقرب إلينا من حبل الوريد، اللهم فاكشف عنا أغطيتنا حتى نشهدنا لك، حتى نشهدنا بك، حتى نشهدنا نورك، حتى نشهدنا روحك، حتى نشهدنا قيامك، حتى نشهدنا وحدانيتك، حتى نشهدنا أحديتك.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، في مرضاته، مرضاة لك، واجعل اللهم خير أيامنا يوم لقائك لقاء له.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع. وكذلك أضيفت بعض علامات التشكيل.

٢ ترهات" تعني الأباطيل، الأقوال والأفعال التي لا فائدة منها، والكلام الفارغ. هي جمع ترهة، والترهة هي الشيء الباطل أو الكلام الذي لا أساس له من الصحة.

٣ من الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إليّ بشبر تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة". أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن ماجة.

٤ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع. وكذلك أضيفت بعض علامات التشكيل.

٥ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع. وكذلك أضيفت بعض علامات التشكيل.

٦ سورة النساء - ٦٦

٧ سورة سبأ - ٤٦

٨ هذه الكلمة تمت إضافتها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع. وكذلك أضيفت بعض علامات التشكيل.

(١٢)

بُعث بالحق في الخلق إنسان الحياة المقيم
يوم اجتمع غيب الإنسان على شهادته لاسم الرحيم
ملكا مالكا مُطورا لنفسه في الواسع العليم

حديث الجمعة

٧ رجب ١٣٨٦ هـ - ٢١ أكتوبر ١٩٦٦ م

الأرض حول محورها تدور، وستبقى حول محورها تدور، وستبقى الشمس بالعشي وبالبكور، دورة دائبة بالشروق والغروب، للنهار والليل، بالأيام تتعاقب، وبالشهور والسنين والدهور، سيبقى الربيع، وسيبقى الخريف، وسيبقى الشتاء، وسيبقى الصيف، في دورتهم دائبة، لا تنفض ولا تنفك.

سيبقى الوجود، ستبقى الحياة.. لأن القدرة التي وراءها، لانهائية، ولا يُعجِزها أن تحتفظ بها، باقية دائبة عاملة حية.. هو الذي {يمسك السماوات والأرض، أن تزولا}[١].

يوم تُدرِك قيامَه، تعرف القيامة، على ما هو قائم في قيامه، أمرا يقوم بك، وكان غريبا عليك. تدرك الأمر على ما هو الأمر، تدرك الأرض جميعا قبضته أبدا والسماوات مطويات بيمينه أزلا.

تعرف القادر، يوم تعرفك عاجزا، تعرف الموجود، يوم تعرفك بدونه عدما، وتشهدك بوجوده وجودا، يوم تدخل حصن وحدانيته، وتتخلص من هاوية الشرك به في موجودك، موجودا غير وجوده بوهمك، فإذا هو وجوده، بإيمانك بوحدانيته، بإدراكك لشامل قيامه، ورحيم قيومه لقائم أحده، بالحق لك عندك برسوله.

كَتَبَ على نفسه الرحمة بك، نفسًا له.. (أُمة مذنبة ورب غفور)[٢]، {ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم}[٣]، لا يؤاخذ الله الناس بظلمهم، {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم، ما ترك عليها من دابة}[٤]، {فأولئك يبدل سيئاتهم حسنات}[٥] {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا}[٦].

إن القدرة التي خلقت كل حياة.. إن القدرة التي ظهرت الحياة، عند الأحياء.. إن القدرة المقدرة عند القادر بها، العاجز بغيرها، مَن خلقها؟ مَن أبدعها؟ من أوجدها؟ متى تواجدت؟ هل تنتهي؟ هل تبقى؟ كيف تنتهي؟ وكيف تبقى؟ لو أنها لها خالق، خلقها، لجاز لخالقها أن يعدمها فلا يبقيها، وأن يفنيها فلا يحييها، ولكنها القدرة، التي خلقت الخالق، والتي خلقت من الخالق المخلوق.

سبح اسم ربك الذي خلق.. سبح اسم ربك الذي علَّم.. سبح اسم ربك الذي هدى.. سبح اسم ربك الذي تجلى، فكنت ما تجلى. اذكر ربك في نفسك.. اشكره واعرفه في قيامك وحسك، ادخل في حصنه، وتحت لوائه، قائم شعاره.. لا إله إلا الله، أُسلك إليه السبيل، وتابع إليه الدليل.. رسول الله.. رسول الله، في الحياة.. في الوجود.. في كل حياة.. في كل وجود.. في كل دنيا.. في كل آخرة.. في دنا الآخرة.. في دنا الأولى.. في الجنان، بساحة نعمته.. في النار، بمنهج حكمته.. في الإطلاق لأعلام حريته.. في التقييد لأقداس خليقته[٧]. {واعلموا أن فيكم رسول الله}[٨].

إن الذي بَعَث في الخلق قائما بالحق، يوم هو به تواجد، هو روح الحياة العظيم، بعثا لإنسان الحياة المقيم، فاجتمع الإنسان على حقه، واجتمع الحق على إنسانه. إن القدرة التي جمعت الأرواح على الأشباح، ما وهنت، ما ضعفت، ما انقطعت.

إن القدرة التي جمعت الخالق، على المخلوق، وسوت بين الخالق والمخلوق، وبين المخلوق والخالق، قدرة اللانهائي التي طلب الخالق من المخلوق أن يقدرها، وأن يسبح فيها، وأن يسبح بها، وأن يسبحها وينزهها.

فيأمره أن سبح اسم الله لك، سبح اسم الأعلى.. سبح اسم ربك الأعلى، وإن كنت لك حقك وربك، على ما شهدتني في أمرك ونفسك، ولكن لنا أعلى، لنا أعلى {خلق فسوى}[٩].. (لا فرق بيني وبينك)[١٠]، فإني وإن كنت لك الخالق، فإني لا أجحد أنني لأعلى المخلوق، وإنك وإن كنت مني المخلوق، فإني لا أجحد فيك، أنك بعث جديد قديمي، سوى بيني وبينك، وأنك ببعثك بالحق خالق، على ما أنا خالق، فتخلق بخلقي، واخلق، وسَوِي بين ما خلقت وخلقك، جمعا على الأعلى لمعنى ربك، واخفض جناح الذل من الرحمة.

لا تظهر، بعزةِ نفسك، واظهر، بمسكنة إنسانك، وبضآلة عنوانك، لما تنتظره من إحسانه، لقائم إحسانك، {وإنك على خلق عظيم}[١١].

تَابع الأعلى، في تواضعه، وقد تواضع معك، وقد تواضع لك، وقد تواضع أمامك، مع من دونك.. وتواضع معك لدونك، فكن على ما أنا، فما أنا إلا أنت، وما أنت إلا أنا، لا تفرق بيننا.

يا أيها الناس، لا تفرقوا في قائم الأعلى بين الرسول وربه.. لا تفرقوا بين الله وعبده.. لا تفرقوا بين القادر وهياكل قدرته.. لا تفرقوا بين الموجِد وما أوجد.. لا تفرقوا بين الخالق وما خلق.. لا تفرقوا بين الوجود وموجِده.. لا تفرقوا بين الخادم وسيده.

الكل في اللانهائي سواسية. رفع بعضكم فوق بعض درجات، في طريق التطور، ولكن الله به بالغ أمره، بمتخلفكم، على ما بلغ أمره بمتقدمكم. إن الله به من أمامكم، يقودكم، وإن الله به من خلفكم يسوقكم.

وهل يستوي المقودون مع المساقين في حاضرهم؟ {لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة}[١٢]، في قائمهم (وا عجبي من أناس يجرون إلى الجنة بالسلاسل)[١٣].. (آخر من يخرج من النار يعطى عَشرة أضعاف هذه الدنيا)[١٤].. إن الله بالغ أمره بالجميع.

فما تكون الحياة؟ وما تكون النجاة؟ وما يكون الدين؟ وما يكون الفقه في الدين؟ وما يكون التفقيه بالدين؟ وما يكون العمل بالدين؟ وما يكون القيام في الدين؟ وما يكون القيام بالدين؟ وما يكون اليتيم، جُعِلَ الدين من موائده، مسكينا، والكفر في دعه مستضعفا؟ وما هو بالضعيف ولكن لقيامه وظهوره بالرحيم اللطيف.

إذا ظهر عيسى فَقَدَ الإنجيل قدسيته.. وإذا جاء محمد فقد القرآن أهميته. فما كان الإنجيل من عيسى، لحواريي عيسى، ولمتابعي عيسى، إلا ظلالَه بهم، قيومَ أناجيلهم لقائم وجودهم، هياكل الله، يوم يزرعون كلمة الله في ناسوت وجودهم، فيُذكَر الله بهم، ويذكرون الله لأهلهم، من أهل بيتهم، لأبوة أصولهم.. (أبانا الذي في السماوات، فليتقدس اسمك، وليعلو وليبقى مجدك، وليكن على الأرض ملكوتك، كما فِي السماء)[١٥].

جاء من كان إنجيله القرآن، جاء من كان قرآنه الأناجيل، قرأ أناجيله في المحسنين، في العلماء العاملين، في أتباعه النبيئين، من رأى فيهم أنبياء بني إسرائيل، فبهداهم، اقتدى من عَرفه منشوده، ومن أدركه ظله وموجوده.. اقتدى الأعلى له ولهم.. اقتدى ربه وربهم. رآه، قبله، بمن أظهرهم قبله، ورآه بعده، بمن أظهرهم قبل من كانوا قبلَه، (خُضت بحرا وقفت الأنبياء بساحله)[١٦].. (ما في الجبة إلا الله) [١٧]، ما في جلابيب الخلق إلا الله، من عرف الله، وتعارف إلى الله، وعَرَّفَه الله، ارتفع به فوق الأكوان، وارتفع به قبل وبعد الأزمان، جعله الإنسان، قائم الرحمن، جعله الحق لا شريك له فما يكون عنده الخلق.. إلا اللهم (الله.. هم).

إن هؤلاء الذين ارتفعوا، فوق الأكوان وفوق الأزمان، لمعنى الحق بالإنسان، هم الآباء الذين يؤوبون إلى البشريةِ في هذا العصر بالإحسان، إن القدرة، التي بهذا كلفتهم، عن هذا ما قطعتهم، وعنه مع الخلق في البشرية ما عطلتهم، إنهم مؤسسو الأديان.. إنهم حقائق الرحمن.. إنهم حضرة الرحيم الديان.

ولكنهم اليوم ليومكم على ما كانوا بأمسكم، وعلى ما سوف يكونوا بغدكم، لا يدينون أبدًا.. إنهم لا يسيئون إليكم أبدًا.. إنهم لا يسفهون أحلامكم أبدًا.. إنهم يسهرون عليكم في تجربتكم القاسية، بعزلتكم عنهم، بفعلكم أنتم لا بفعلهم هم.. إنهم لا يعطلون نموكم.. إنهم لا يمنعونكم من التردي في عثرات أنفسكم، ولكنهم يمدون أيديهم لمساعدتكم، لتخرجوا من عثراتكم وتجاربكم، ينتشلونكم من هاويتكم، يوم تدفعكم الفاقة والعجز، باللجوء إلى الأعلى، فتشهدون بلجوئكم أيديهم ممتدة لكم لإنقاذكم عنها في كل تجربة غفلتم، وبها في كل كرة ما أمسكتم.

إن الدين في عصركم هذا، إن دين الفطرة، إن دين الإسلام، إن دين الله، إن دين الإنسان، في عصركم هذا يتجدد، ولا يتعدد. إن الرسول، يظهر بينكم وقد تعدد، وما تفتت. إنه القلوب يوم تلتئم، وإنه النفوس يوم تلتحم، وإنه العقول يوم تتحد. إنه الإنسان، بجماع صفاته، حول نصب ذاته، وقبلةِ تواجداته.

محمد رسول الله، والذين معه، أشداء على الكفار، رحماء بينهم.. محمد رسول الله والذين معه، في عالم الأشباح.. محمد رسول الله والذين معه، في عالم الأرواح.. محمد رسول الله والذين معه، في عوالم الحقائق.. ماذا عرفنا عن محمدٍ رسولِ الله والذين معه؟ أين هو؟ وأين هم من معه؟

أشرنا إليه، في كل إمّعة، والتففنا حولَه، نُصبًا، زعمناه له، في كل شيطان مريد، في كل جبار عنيد، في كل طاغوت جديد، في كل من ظهر من الأرض مادةً، فكان من المادة وليد، لا قديم له في الإنسان، ولا سابقة له في الإحسان. معبوده ومقصوده وموجوده الطين والأطيان، والمال والبنيان، فلا الدين ولا الديان ولا الرحمة ولا الرحمن بداخلين عنده في التقدير والحسبان.

هذا هو حال الناس، مع رب الناس، مع قائم الناس، وما كان رب الناس إلا من الناس، وما كان رب الروح إلا من الروح، وما كان رب الحقائق إلا من الحقائق، إن الله، وراء الرب والمربوب على السواء.. وراء العابد والمعبود على السواء.. وراء السيد والمسود على السواء.. (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[١٨].. (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)[١٩]. عنونه الإنسان باسم الرحمن وعنونه الإنسان باسم الشيطان.

إن مدرسة الرسول، إن ساحة الرسول، إن بيت الرسول، إن عالم الرسول، إن أمة الرسول، هي حيث تواجد الرسول، في الجنة تواجد، أو في النار تواجد، أو بين الخلق تواجد، أو بين الحقائق تواجد.. هو قاعدة الرحى، ونقطة المركز، وحجر الزاوية، لزوايا البناء، كلما تواجد به لله بناء، يذكر فيه اسم الله، ببيت يرفع أو ببيت يوضع.

لا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله، بعضكم أرباب بعض، وبعضكم عبيد بعض، في ناموس فطرتكم، وبعضكم أرباب بعض في داخل جلدتكم، اذكر ربك في نفسك، وإن الشيطان يجري منك مجرى الدم، ضيق مسالك الشيطان معك فيك، حتى يخضع لربك لك فيك، إن معنى العقل قائم ربك، ومعنى النفس قائم عبدك، وقائم وجودك، وقائم عالمك.

بعضكم لبعض عدو، في قائمكم، وأعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، وبين جنبيك مشكاة صدرك، فيها مصباح قلبك، مظلمٌ لم يوقد، فبنار الله أشعله، يضيء نور الله في مشكاة صدرك، {ألم نشرح لك صدرك}[٢٠].. {ما كذب الفؤاد ما رأى}[٢١].

هل عَرَفت ما في صدرك؟ وهل عرفت إلا يوم أن وضعنا عنك وزرك، وكشفنا عنك غطاءك؟ فعرفت أن الله أقرب إليك من حبل الوريد، ويوم أرجعت البصر كرتين متأملا في تواجداتك بقديمك، وفي تواجداتك لقادمك، من خلالك بُعثَ قديمك لظهور حالك لقادمك، إشهادا لك عن خلق نفسك، حتى يُبعث بدءُ وجودك، آدما، من خلالك لنهاية وجودك آدما. وقد تجاوزنا بك اليوم، ما قبل آدمِك بدءًا لك، وما بعد آدمك انتهاءً لك، فجعلنا منك الحق، مبعوثا بنا، في عوالم خلقنا.

قل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان في دوام زهوقا، وإن الحق كان في دوام مرموقا. انظر، كيف فتحنا لك مغاليق نفسك، فأشهدناك من أمرك، في خلقك وحقك. أُنظر كيف عرفت الحق، قائمًا قبل وجودك، تأمل كيف عرفت الحق، باقيًا بعد وجودك. احمد ربك وسبحه بما عرفت الحق لك، هو لك عين وجودك، يوم أزهقنا موجودَك بالخلق، يوم أزهقنا موجودك بالتوقيت، يوم أزهقنا موجودك، بالموت، يوم أزهقنا موجودك بالعدم. هكذا أنت على ما شهدت وعرفت. وهكذا هم على ما وعدت وبشرت. وهكذا كنت على ما هم. وهكذا يكونون على ما صرت وعلى ما أنت إليه رجوت، هم إليه يصيرون ويرجون فاصبر نفسك مع الذين يريدون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا تعدُ عيناك عنهم إلى من جعلناهم زينة الحياة الدنيا.

قام محمد، بين الناس آدمًا وأول عابدين، برسالته الآدمية، آدمًا بعد آدم، وقام محمد، برسالته الروحية، روحا عظيمًا بعد روح عظيم، روحًا بعد روح، وقام محمد، برسالته الحقية، يسمو بالحقائق، حقا بعد

حق، في معراج لا يتوقف، فكان الطريق، وكان حياة الطريق، وكان للرفاق الرفيق، وللصادقين الصديق، كان العبد مع العبيد، وكان الحق مع الحقائق، وكان الروح مع الأرواح، وكان النور مع الأنوار، وكان الشبح مع الأشباح. فكان نعم الرفيق وكان نعم الصديق.

به علمنا، يقين حديث الله، إذ يقول لنا واعلموا أن فيكم رسول الله، فينا، في أنفسنا.. فينا، في جمعنا.. فينا، في أرواحنا.. فينا، في أشباحنا.. فينا، في حقائقنا.. فينا، في أمرنا.. فينا، في خلقنا.. فينا، في حقنا.

رسول الله لنا، ونحن لرسول الله. كلانا في الأعلى، لقائم الله وقيومه، لا شريك له.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم يا من جعلت لنا بمحمد وجاء، من شر كل داء، اللهم يا من جعلت بمحمد شفاء، من كل الأدواء، اللهم يا من جعلت به إليك الوسيلة، وأظهرت به لنا معنى الفضيلة، اللهم فاجعلنا له ظلالا، وأدخلنا نفوسا مطمئنة في هذا المثال، واجعل لنا فيه جنتنا، واجعل لنا به نعمتنا، واجعل منه لك وجودنا، فاغفر به ذنوبنا، ويسر به أمورنا، وأصلح به أحوالنا، وقوم به جوارحنا، وأحيِ به قلوبنا، وحرر به أرواحنا، وأنر به عقولنا، وطور به أشباحنا.

لا إله إلا أنت لنا، ولا حق منك إليك إلا به عندنا، اللهم به فقومنا، وخلفه فسيرنا، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

اللهم به رحمة منك فولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ به أمورنا شرارنا ردا لأعمالنا، وأصلح به أحوالنا، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، غافلين ويقظين، واغفر به ذنوبنا يا أرحم الراحمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة فاطر - ٤١

٢ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةُ أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في (تاريخه) عن أنس ابن مالك. المحدث الألباني. المصدر: ضعيف الجامع.

٣ سورة النساء - ١٤٧

٤ سورة النحل -٦١

٥ سورة الفرقان - ٧٠

٦ سورة الزمر - ٥٣

٧ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع. وكذلك أضيفت بعض علامات التشكيل.

٨ سورة الحجرات - ٧

٩ سورة الأعلى - ٢

١٠ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١١ سورة القلم - ٤

١٢ سورة الحشر - ٢٠

١٣ حديث شريف: "عجِب اللَّه من قوم يدخلون الجنة في السلاسل." صحيح البخاري. كما جاء بلفظ "عجبتُ لأقوامٍ يُقادونَ إلى الجنةِ في السلاسلِ وهم كارهونَ." أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، وأبو نعيم في حلية الأولياء.

١٤ في إشارة للحديث الشريف "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا." أخرجه البخاري ومسلم.

١٥ استلهاما من الصلاة الربية: "أبانا الذي في السموات. ليتقدس أسمك، ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك. كما في السماء كذلك على الأرض". لو ١١: ٢"

١٦ قول أبي يزيد البسطامي: "خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله".

١٧ مقولة للحلاج.

١٨ حديث شريف. أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي: "ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته".

١٩ حديث شريف. أخرجه الترمذي في صحيحه، والدارمي

٢٠ سورة الشرح -١

٢١ سورة النجم - ١١

(١٣)

بقلوبنا على قلب لقلوب اجتمعنا
فالساعة عَبَرنا وقيامة خالدة بالحق بُعثنا
فبالحق تواجدنا ووجدنا فلأنفسنا بالحق شهدنا

حديث الجمعة

١٤ رجب ١٣٨٦ هـ - ٢٨ أكتوبر ١٩٦٦ م

أعوذ من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.

{الله لا إله إلا هو، الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السماوات وما في الأرض، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم، وما خلفهم، ولا يحيطون بشيء من علمه، إلا بما شاء، وسع كرسيه السماوات والأرض، ولا يؤوده حفظهما، وهو العلي العظيم}[١].

يقول الرسول، آية الكرسي، سيد آي القرآن، ويقول لأحد صحابته، وقد اجتمع على إبليس، فاستنصحه بما يستعاذ منه، فقال له بآية الكرسي، فيقول له (نصحك وإنه لكذوب)[٢].

وسع كرسِيُه السماواتِ والأرض، قام سلطانه على السماوات والأرض، ومن آياته خلق السماوات والأرض، وما بث فيهما، من دابة، وإنه على جمعهم إذا يشاء قدير.

ويقول الرسول (نزلت عليَّ آية الكرسي يحملها سبعون ألف ملك)[٣]، وتقول آية الكرسي {لا تأخذه سنة ولا نوم}[٤] ويقول الرسول في هديه، ما ظهر الله في شيء، مثل ظهوره بالإنسان، ويقول الحديث القدسي (ما وسعتني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) [٥]، ويقول الكتاب {ويحمل عرش ربك فوقهم، يومئذ ثمانية}[٦].. {وسع كرسيه السماوات والأرض، ولا يؤده حفظهما}[٧]، وهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا، {الأرض جميعا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه}[٨]، يوم يدرك المدرك، ما يصح أن يدرك، ويوم يصدق المصدق، ما يجب أن يُصَدَّق، ويوم يفرق الفارق، بين الحق والباطل، من القول، ومن الفعل، ومن القيام.

{لا تأخذه سِنة ولا نوم}[٩]، (نحن معاشر الأنبياء، تنام عيوننا، وقلوبنا لا تنام)[١٠]، {مثل نوره كمشكاة فيها مصباح.. يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية}[١١].. {ألم نشرح لك صدرك...}[١٢].. {ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة}[١٣]. إن البشرية على الأرض كوحدة، يجمعها معناها وإنسانها. كلكم روح واحد هي روح أبيكم آدم. كلكم لآدم، وآدم كما عرفتم من تراب. أنتم على أرضكم شجرة طيبة وكلمة طيبة، وسدرة منتهى لسلالة من طين، ثم لسلالة من ماء مهين.

إن الذي أمات وأحيا، جعل الحياة نور السماوات والأرض، وجعل النور منه لإنسانه، يجعل له نورا يمشي به في الناس، يقوم ويتقلب في الساجدين، إنسان وجوده، إنسان قدسه، لإنسان هديه، بإنسان رسوله، قائمَ إنسان مرسِله، لقيوم إنسان الحق لوجوده، إلى إنسان مشاهدته، في قائم شهوده لنفسه، بوجوده، المستوجب لوجوب وجود ربه.

بذلك كانت بشرية الأرض، على ما هي، وبعين قائمها فيه، لا تأخذها سِنة ولا نوم، هل تنام هذه البشرية بجماعِها، لحظةً من لحظات اليوم؟ هل يغمر الليل الأرض محيطا بها؟ هل يغمر النهار الأرض، محيطًا بها؟ إن هذه البشرية في وحدتها، لا تأخذها سِنة ولا نوم. فمن مثّل وحدتها، في حياة قلبه لشهود عقله لا تأخذه سنة ولا نوم.

الله نور السماوات والأرض، فهو نور الأرض، كما هو نور السماء. هو نورٌ غامرٌ لمن سكن السماء ولمن سكن الأرض. إنه عند من سكن السماء نور، وعند من سكن الأرض نور. إن نوره لأهل السماء، لا يختلف عن نوره لأهل الأرض، وإن نوره لأهل الأرض ليس بمعزلٍ عن نوره لأهل السماء.

إن أهل الأرض بماديهم، بظلامهم، يريدون أن يطفئوا نور الله، قائم قلوبِهم، وقيوم عقولهم، وحياة هياكلهم ونفوسهم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون. أفمن جعلنا له نورًا، يمشي به في الناس كمن لم يجعل له؟! أفمن يكون علما على النور، كمن يكون علما على الظلام!

من جُعِل له نور يمشي به في الناس.. ألا يكون نور الله، وعلم الله؟ وما يكون النور لله يقومه ويظهره الإنسان؟ أليس هذا الإنسان هو اسم الله؟ فإذا سرى النور في الناس، ومشى به صاحبُه في الناس، ألا تنير قلوب الناس؟ وإن نارت قلوب الناس فما يكون الناس.. قلوبهم منيرة؟ أليسوا هم أسماء الله الحسنى؟ أليسوا هم نور الله؟

فإذا تألفت القلوب على ذكره ونوره، فما تكون القلوبُ المؤتلفة؟ وما تكون العقول المتعارفة؟ وما تكون النفوس المتراصة كالبنيان، يشد بعضه بعضا؟ (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[١٤].. (المؤمنون

كأعضاء الجسد الواحد)[١٥].. {محمد رسول الله، والذين معه، أشداء على الكفار، رحماء بينهم}[١٦].. {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}[١٧].. (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه)[١٨].

والمؤمن من تخلق بأخلاق رسول الله، المتخلق بأخلاق ربه، المتخلق بأخلاق الله، إن {ربي الله}[١٩] إني يوم أعرف ربي، أعرف الله، {واذكر ربك في نفسك..}[٢٠] إني يوم أعرف نفسي، لربي، أعرف الله. الله، معنا، أينما كنا، وأقرب إلينا من حبل الوريد، على أي حال كنا، آمنا أو كفرنا، أطعنا أو عصينا.

الإسلام، الذي بهذا يُعرِّفنا، إنما هو دين الفطرة نقومُها، ودين الصبغة نصطبغُها، يوم أنّا نؤمن، أنّا لله، وأنّا في الله، وأنّا من الله، وأنّا إلى الله نرجع، فنعلم ما كنا نجهل، ونتجاهل ما كنا نعلم.

خلقا آخر، نُبدّل، بالحق في الحق نُبعث، وبالله لاسم الله نَشرف، وهو ما لنا في قائم، يوم أنّا، مع الرب في أنفسنا، لله لقيامنا، نَعْلَم ونشهد ونُسالم، فنتعامل مع الله، هو معنا، ونتقى الله، بربنا فينا يسمعنا، ويشهدنا، ويعلم منا السر وأخفى، فنعلم أنّا عليه لا نخفى وإن كان لنا بيننا عنا قد اختفى، (أخفى الله الولي في الخلق)[٢١]، اختفى علينا الرب وهو فينا وبيننا ولكن الله معنا ما اختفى عنا بإحاطته من ورائنا، وما اختفى عنا بشهوده منا في كل ما نرى من أمامنا.

نتقيه، ونسترضيه، حتى يرضى، فإن رضي هو عنا عنه نحن رضينا، فبرضائه في رضائنا، عَلِمْنا رضاءه عنا. فهل رضينا عنه في قضائه، حلوه ومره؟ هل رضينا عنه في بلائه، لتكفير سيئاتنا، ولرفع درجاتنا، ولمضاعفة عطائنا، ولتطوير صفاتنا ومعاينا، وإيجاد ما لم يكن موجودا فينا، يوم نغير ما بنا إلى ما نرتضي لمعاينا؟

هل بقلوبنا، على قلب لقلوب اجتمعنا فعلى عالم القلوب جمعنا، فبالقلوب حيينا، وبسلامة النفوس غَنينا، وبانطلاق الأرواح سعينا، وبإشراق العقول روينا، فمن اجتماع بمعنانا لنفسنا وعقلنا وأنانا شتتنا، ومن شتات جمعنا، بأمانة الله معنا؟

فالساعة عَبرنا، ومن الأزل جئنا، وفي الأبد خطونا وسرنا، ولأعمالنا من صنعنا فينا حشرنا، فلها رأينا، وبنا بالحق بَعَثْنا، فبنا آمنت على ما بالرفيق الأعلى آمنا، رفيقا أعلى لصنعنا شُهِدنا، فقيامة خالدة بالحق بُعِثْنا، وأقمنا وقمنا بمشهدنا لنا منا فينا، بالحق تواجدنا ووجدنا، فلأنفسنا بالحق شهدنا؟

فلحديث الرسول وعينا، ولكتاب الله لمسنا، وبنور حكمته قمنا، فقبل أن نموتَ متنا، والموتَ على أنفسنا كتبنا، به تنفلنا، فما كتب علينا، ولكن أحسن القول سمعنا، وأحسن القول اتبعنا؟

ففي جلباب الخلق، بالحق قلوبا بعثنا، فرغنا فانتصبنا، والغرفة جُزِينا فأخذنا، وقبلة لطالبي الله نصبا كنا، وبيوتا، فيها اسم الله بها ذُكرنا، ومنها لله في الخلق ذَكَرنا وذِكرنا، والله أكبر أشهرنا وأعلمنا، ولطالبيها علمنا وجهرنا، ولا إله إلا الله، حصنا لنا دخلنا، وحصنا بها لطالبها قمنا.

من دخلنا دخلها، ومن قامنا قامها، من قامها كان منا، ومنه بجديد قمنا، فكنا منه، على ما كان منا، فما تعددنا، ولكن في المطلق توحدنا، وأحدا تواجدنا، وواحدا بصفاته انتشرنا.

فأعلام لا إله إلا الله رفعنا، وبعَلَم الأكبر انتصرنا وقهرنا، وباسم رحمته انتشرنا، فما ظلمنا ولا طغونا، ولكن رسول رحمته قمنا، ورسول رحمته جددنا، ورسول رحمته بُعِثنا، ورسول رحمته في الناس انبعثنا.

نوره نورنا، وقيامه قيامنا، وكتابه كتابنا، وعلمه عَلَمُنا، وحقه حقنا، ووجهه وجهنا، ولسانه لساننا، ويده يدنا، وقدم سعيه قدمنا، بخلقه تخلقنا، وحقائقه لربه قمنا وأقمنا، وباسم أمته عُرفنا وتعارفنا، وباسمه شَرُفنا وشَرَّفنا، فانتشرنا وشُكرنا، وممن عَرف عنا طُلبنا، وبالخير ذكرنا، فلبينا وأجبنا، والمظلوم أنصفنا وأسعفنا، والظالم قهرنا وأتلفنا، ومن قهر أقمنا وأصلحنا، ومن جهل أخرجنا وأعلمنا، فبالعدل عرفنا وبالرحمة وصفنا.

هكذا يكون المسلم، وهكذا تكون أمة الإسلام، وهكذا يتلى الكتاب، وهكذا ينفخ في الصور، وهكذا يرفع الحجاب، وهكذا تظهر أم الكتاب.

هكذا الإنسان، هكذا العنوان، هكذا المؤمن مرآة المؤمن، هكذا المؤمن مرآة أخيه، هكذا الدين يدخل المرء فيه، المرء على دين خليله، به يعرف نفسه من الخطأ والصواب، وهذا هو الحساب، فلينظر أيكم من يخالل.

هكذا هي الطريق، أين هو الرفيق قبل الطريق؟ فمن أنت في الطريق مصادق؟ ومع من أنت من أهل الطريق متفق وصادق؟ وخلف من أنت في الطريق متابع ملاصق؟

من إمامك.. من نبيك.. من كتابك.. من حجابك.. من حقك.. من قلبك.. من قالبك.. من عقلك.. من هواك.. من خليلك.. من رفيقك.. من الأعلى عندك.. من الأدنى لك من ربك.. من إلهك، من حقك.. من خلقك؟

كل ذلك هو لك في دين الفطرة. أنت القيوم، على من تعول ربا. وأنت المضاف لمن إليه توكِل نفسك ومن تعول، عبدا، ليكون هو لك ربا، ولمن ربَّبك إلها، ليكون لك العليّ، وليكون له عليك الأعلى، ليكون لك العظيم، وليكون له عنده الأعظم، حتى تكون أنت عنده عظيما، وحتى تكون أنت عنده عليًّا. {لا نسألك رزقا، نحن نرزقك والعاقبة للتقوى}[٢٢].

إن الأعلى لك يرفعك إلى عاليه، ليؤاخيك فيه، فارفع أنت الأدنى إلى عاليك، لتؤاخيه فيك أنتما فيه. ويوم يقتديك، ويعمل بما عملت معه له فيه يرفع إليك، ويؤاخي من يؤاخي فيك.

إن الله، في عليائه، لا يبلغ مداه، وإن الله في تدانيه، وتواضعه مع من كان فيه، لا تنتهي دناه، ولا تنتهي له مداناة.

إنه المحيط، لمركزه في دائرته اللانهائية، وهو في مركز دائرته، لا يعرف اتجاها للعلو فيه، ولا يعرف اتجاها للانحطاط فيه، ولا يعرف شيئا خارجا عن دائرته، إن مركز الدائرة مع محيطها، لا يعرف له أعلى، ولا أدنى.

فالأعلى لمحيطه لقائمه مظهرا لكبره وكبريائه بوصف ذاته، والأدنى جوهرا لقيامه بوجهه لذاته لقائمه، في مركزه بقلبه، لدائرة إحاطته، منه ينطلق، بولاء دائرته سيرا إليه، فيخلي لها مكانه، فتفعل الدائرة لتكاثف، وبتخلي المركز لتلاطف بإحلالها محله ينطوي بذاته بقائمه في علمه لدائمه، ويمضي المركز لطيفا منطلقا بسعيده متخليا عن قديمه لجديده، فيرى المحاط أنه المحيط، ويقوم المحيط باسم المحاط فلا محيط ولا محاط ولا مركز ولا دائرة ولكنه الإنسان للإنسان أزواجا يتواجد، وآحادا يظهر، إنه القلب والقالب، إنه النفس والعقل، إنه الروح والجسد، إنه اللطيف والكثيف، إنه الإنسان والعالم.

ما ظهر الله محيطا، في شيء مثل ظهوره بالإنسان للإنسان محاطا، وما ظهر الله، بوحدانيته مع الإنسان به منه له محيطا ومحاطا إلا مع الإنسان بإنسان له منه محيطا محاطا.

ما كان روح الله، لرسول الله، وقد ألقى الروح من أمر الله على عبده، ما كان هذا الروح الحامل لقدس الله، ما كان إلا إنسانا مُحيطًا، لإنسان الرسول مُحاطا، ثم توحد معه، قاب قوسين أو أدنى.

ثم قبع فيه، ليحفظه بالحياة لمعانيه، وأطلقه له، فرآه مُحيطًا، بمن كان منه مُحاطًا، فتساءل معه، وصارحه بما علم مما شهد، فعلَّمه ما عَلِم مما به علَّم قياما بأعلى مما له علم. فظهر له عالما بما لم يعلم، ثم تبادل الوعي والتواجد معه، ففي نفسه جمعه، وعليه اجتمعه، فرآه له، على ما رؤي له، رآه فيه، وأنه ما قام إلا بمعانيه.

فتحدث بحديثه، وأبدى حكمته، يطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات وواصل السير ناشدا، بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى له فيه منه منشودا.

ومن كان الرفيق الأعلى؟ ما عَرَفه إلا إنسانا، إنسان سبقه، في أزله، إنسان القدم له.. ما عرف إنسان الأزل، الذي يطول بنا إسناد عنعنة حتى إليه، ولكنه عرف الرفيق الأعلى، عرف إنسان خلقه، عرف إنسان محبته.. عرف إنسان قديمه لقائمه في جديده، عرف جديده له فيه عين قديمه، في كوثره

بإنسانه ووليده، فقال (رأيت ربي في صورة شاب أمرد، في أذنيه قرطين، وفي رجليه نعلين من ذهب)[٢٣]، تمام دورته بإنسانه في حقيقته.

عرف، أن إنسان خلته أقرب إليه من حبل الوريد، ما كان غير حقيقته، وما خلقه إلا لنفسه، وعرفه في تخلقه بخلقه، أنه من خلاله يتجدد، وباسم وليدٍ يتعدد. إنه له قيوم قائمه في نفسه، وقائم قيومه لمحموده.

إنه له الأب، ومنه الولد[٢٤]، وهو بين الأب والولد، هو والدٌ وما ولد، هو إنسان هذا البلد، هو إنسان البيت، هو إنسان المدينة.

هو إنسان رحمة الله، للإنسانية الحزينة، إنسانية هذه الأرض به تمت مواساتها من مبدعها وقد عرّفها به أن ناشئة الليل أشد وطأ وأقوم قيلا، به أشرقت الأرض بنور ربها، وبه وضع الكتاب، وبه رُفع عن النبيين ومن يلوذ بهم الحجاب.

به صدق وعد الله للبشرية، بإبراز من يقودها إليه، به قامت الصلاة، به تمت المناجاة، به صدق الإنسان، به استمتع بالإحسان، به ملك الإنسان زمام الجنان، به وسع كرسيه السماوات والأرض، به لا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم، به استوى الحق على عرشه، بقوائمه، من حقائقه يقومه ويحمله الإنسان، في طبيعته لفطرته بوجوده لنفسه، ويستوي عليه الإنسان للرحمن بصبغته باصطفائه لحقيقته.

إن الذي على العرش استوى إنما هو الإنسان، وإن الذي لمعنى العرش كان البنيان والكيان هو الإنسان، وإن القوائم للعرش ما كانت إلا الإنسان، إنه الإنسان ظاهرُ الله لذاته وصفاته لباطن الله بذاته وصفاته، وهو باطن الله بعليّ ذاته وصفاته لظاهر الله يداني[٢٥] الحق به بذاته وصفاته، إنه باطن الوجود، حق الله وإنسانه، وإنه ظاهر الوجود ظاهر الله وإنسانه.

إنه كل الوجود، لكل من أراد أن يكون عنوانه، ومن ارتضى من الله أن يكون الرسولُ رحمانَه، إنسانا لإنسان، خُلةً في الله، وخلة في الرحمن.

فما عرف رسول الله في الله، لمعاني ربه، إلا إنسانا، وما خالل من بيننا، لمن سماه أخًا له، إلا إنسانا، وما فارقَنا، دون أن يصارحنا، فقدّم لنا على الله عنوانا عبدا لله ورحمانا، (خلفت الله عليكم)[٢٦].. (فاطمة ابنتي روحي، من أغضبها أغضبني[٢٧]، ومن أغضبني أغضب الله[٢٨]).. (من رآني فقد رآني حقا) [٢٩].. (ومن رآني مولاه [في حقيقتي]، فعليٌّ مولاه [بحقي])[٣٠].. (هو أخي وهو مني وأنا منه، وهو مني بمنزلة هارون من موسى)[٣١] ، وإنه فيكم حبلي، وإليكم يدي، للمؤمنين منكم قدم سعيي، إنه في قلوبكم وجهي، ولعقولكم نوري، ولذواتكم كوثري، ولمعانيكم مني روحي. أنتم به ظلالي، وأنتم معه، لكم

من الله حالي ومالي، لا تفرطوا في أمركم، من أمر الله بكم، واحرصوا على (عَلِيٍّ) معلمكم[٣٢].. أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها.

فماذا فعلنا؟ أغلقنا أبوابها وثبتنا رتاجها[٣٣] ومزلاجها، وأحكمنا على نوافذها سُتُرها، وتطاولنا لهدم بنيانها، وإطفاء أنوارها، وهي مدينة الله، في ملك الله، أصل مدائنه، لأكوان وجوده، ولعوالم معرفته وشهوده.

وكيف تُطفأ أنوار الله؟ وكيف تهُدم بيوت الله؟ وكيف تمزق أعلام الله؟ وكيف تغل سيوف الله؟ وكيف تخمد نار الله؟ وكيف تُجهل ذات الله؟ وكيف تهزم أسماء الله؟ وكيف ينقطع عباد الله؟ وكيف يتعطل وحي الله، وإلهام الله، وهدي الله؟

هذا ما جاءكم به دين الفطرة مع النبيين والحكماء.. ويتجدد لكم في هذا العصر من المرشدين، من عوالمهم لكم يقاربون وبالوسطاء إليكم يتحدثون، على جماع وفي اجتماع، دين الإسلام لرسول الله قائما كوثرا بوجوهه وظلاله، فلا إسلام إلا له، ولا رسول الله إلا معنا، ولا فقه إلا ما علّم، ولا فطرة الله إلا ما قام، ولا طريق إلا في مبايعته، ولا صبغة الله إلا ما ظهر، ولا رب إلا ما عليه جمع ومعه اجتمع.

كيف تقوم الطريق، ولا إمام لها؟ كيف تتمهد السبيل ولا مصابيح بها؟ كيف تقام البيوت، ولا لبنات تتماسك، ولا جدر تقام، وتتلاقى في انتظام؟ كيف يُشهد ويُعرف الله، ولا آيات في النفس ولا في الآفاق؟ كيف يُعبد الله ولا عباد، ولا أرباب؟ كيف تقوم أمة، ولا بيت ولا قِبلة، ولا صلاة ولا طواف؟ كيف تقوم دعوة، ولا نبي ولا كتاب؟ كيف يهدم باطل، ولا حق في الشهود، ولا حق في الوجود؟

(يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)[٣٤]، ووفى فبعَث مَن على نفسه انتصر، فأعان ونصر، وعلَّم فأشهر، ونشر وانتشر. فمن نذكر لهذه المعاني؟ إنا نذكر المقابر والمباني.. هل نذكر الشاذلي، أو ابن عربي؟ هل نذكر الجيلاني أو الشعراني؟ أنذكر البصري أو البدوي؟ إننا نذكر أسماء، هي الأشلاء، ونترك أعلاما، حية في الأرض وفي السماء، هي لنا الوجاء والرجاء. وإذا ذكرنا الأحياء، ذكرناهم أجداثا، لا نعرفهم كوثرًا بأعلام، وكتبا بكلام، ونُصبا بقيام.

نذكر البدوي ضريحا وقبرا، ونذكر الحسين مبنى وحرما، وننسى العربي حيا في الصادقين، وننسى الحسين مجددا في الوارثين، عترتي.. عترتي.. لا تغيب عنكم عترتي. إن الذي حفظ الكتاب لكم حفظ عترتي بينكم. وما حفظ الكتاب حافظُه إلا بعترتي منه محفوظة.

{إنا أعطيناك الكوثر}[٣٥].. {إن شانئك هو الأبتر}[٣٦].. {ذرية [طيبة] بعضها من بعض}[٣٧].. {لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى}[٣٨]، وما زلت المحسن، ورسول المحسن، وعبد المحسن، {ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا}[٣٩].

أين فقهنا من ذلك كله؟ ما زال فقهنا يدور حول الطهارة من الجنابة، والوضوء بعد الحَدث. إذا قلنا المعاملة مع الله، فما زال فقهنا يدور في المعاملة، لمعنى البيع والشراء، والربا، والزكاة، والصدقة. لا نفقه ولا نفرق حتى بين ما نعطي متصدقين وما نعطي مرابين، لا نفرق ولا ندرك ولا نعلم ومع ذلك فنحن المسلمون!

لا نعرف محل الربا، ما يكون وكيف يكون، ولا محل الصدقة، ما يكون وكيف يكون، ولا محل الزكاة، ما يكون وكيف يكون. وما كانت الزكاة صدقة وهي الحق المعلوم وما كانت الصدقة زكاة وهي النفل المرسوم، وما كانت الصدقة ربا، وما كان الربا في محل الصدقة يقوم، على ما يريد من أراد، وعلى ما يعلم من عَلَّم. لا يمسه إلا المطهرون، فما تطهرت قلوب، حتى تقدم معرفة، في أمور الدنيا، أو في أمور الدين.

إن الوحي، وحيان، وإن قائم الحق، حقان قائمان. بظاهر وباطن يعملان، وإن الأمر أمران، بغيب الإنسان، وشهادة الإنسان، إنهما لله كلمتان، كلمة روحية وكلمة ذاتيه بذات انطلقت روحا، وروح تمثلت ذاتا، قامت بينهما خلة، فلبست الروح حله، وطرحت الذات المقيد كله.

فما جاء وحي السماء بكلمة الله من عالم الروح إلا لتعريف الإنسان عن نفسه كلمة لله لسر الذات، فإذا عرف الإنسان معناه ونفسه، واستقام في أمره على أمره، وقام إنسانا لله، أوحى للمؤمنين بالله ورسوله بإذن من أوحى إليه ما يشاء.

فهناك وحي الرفيق الأعلى للرسول غيبا على الناس، وهناك وحي الرسول بين الناس روح قدس الله لهم بينهم بإذن الأعلى غيبا لهم وغيبا عليهم. {فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا}[٤٠]، {وما كان لبشر أن يكلمه الله، إلا وحيا أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء}[٤١].. {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}[٤٢].. أليس صاحب هذا النور وحيا؟ {إن هو إلا وحي يوحى}[٤٣]، أليس من سرى فيه هذا النور وحيا وحياة تشهد من الأعلى هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٤٤]؟ أمرك مشهود له ولا تشهد من غيره، أليس صاحب هذا النور موحيا؟

وهل كان الوحي إلا سريان النور؟ {ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان}[٤٥]، وقد دريت يوم أوحينا إليك روحا من أمرنا، فجعلناه نورا، سرى فيك أدركته وقمته، وبه منه تحدثته، نهدي به من نشاء يوم نلقيه على من نشاء.

فهو بهذا النور، ما زال يهدي، وما زال الله به يهدي، وما زال لكل عصر به هادي ومهدي، وما زال لكل إنسان به قيام، به يتحدث، وبه يُبشر، وبه يحذر. به يأمر بالمعروف وهو نور الله له، وينهى عن المنكر وهو زاهق باطله بترابه وظلام جلبابه، أمة تؤمن بالله، حياة قيامها، وقوام أمنها وسلامها، هو كتاب كلامها، وحق أعلامها، وقائم وقيوم علمها، أمة تدعو إلى الخير، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، لا غيبة له في سلف، ولا غيبة له في لحاق، ولا غيبة له عن قيام.

هذه هي أمة الإسلام، هذه هي أمة السلام، هذه هي أمة الأعلام، هذه هي أمة القيام، هذه هي أمة المعرفة والتعريف والكلام، هذه هي أمة الروح، هذه هي الأمة الوسط، والأمر الوسط، والعروة الوثقى بين أزل الإنسان وأبد الإنسان، لا ينطق من كان منها عن هوى، ولكن من كان منها كان وحيا يُوحَى، ممن كان وحيا يوحى، لمن أوحى لكل أمة من أوحى، فأوحى إليها ما أوحى، مزوية لها الأرض، لا شرف لعربي على أعجمي فيها إلا بالتقوى، يتحدث متحدثها لكل قوم بلغتهم، فيعلم ويبشر أنه لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، هدية الله لكل نفس استقامت، فبنور الله معه به قامت.

اللهم يا من جعلت من محمدا نورا يسري، ومن أحواض ماء الحياة معه، أنهارا بماء الحياة تجري.

اللهم يا من حررت روحه من أوزارها، وإلى روحك في خِلة أضفتها، بمعانيها وخلقها وأحوالها، وروحًا للوجود جعلتها وعَرَّفتها...

اللهم يا من طهرتَ ذاته، ولها بالحق بعثت وباركت، ولها في الكائنات أسريت، فقدست، عَلما على الأقدس لك، من الإنسان خلدت وبالخلود أبقيت وأعطيت، إلى قدس معرفته هديت، وعلى ربوبية قيامه جمعت واجتمعت فله وبه شرفت، ولشرف أبرزت، وكوثرا بمعناه بيننا أقمت وجددت...

اللهم يا من جعلت السلام معك، في الإسلام له، والدخول في السِلم معه...

اللهم يا من جعلت دعّه يتيما، تكذيبا للدين، وقد جعلته حجة على الناس لاختبار إيمانهم، وجعلته كوثرا مستضعفا، أحواضا لماء الحياة بحكمتك، وجعلت البعد عنها خروجا من الفطرة، وحرمانا من الحياة...

اللهم يا من جعلت منه مدينة بيوتك، وجعلت من بيته بيت لقائك، وجعلت من كينونة الظل له نعمة جزاءك...

اللهم يا من أبرزته خلقا، وبعثته بك حقا، وجددته بالحق كوثرًا، فجدد له في الخلق معبرًا ومظهرًا، فكان العرقُ منه وإن مال، واللحمة منه وإن نتنت كمال رحمتك له، وتمام الرحمة لمقتديه، (أولادي أولادي إن عملوا خيرا فلأنفسهم، وإن عملوا شرا فالضمان علي)[٤٦]، فأبرزتَه عظمة رحمتك، لمن ترحم، وسعة عطائك، لمن تُعطي، وما أبرزته كذلك، إلا ليكون للناس قدوة وبشرى بذلك.

{وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله}[٤٧].. {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم، ألست بربكم، قالوا بلى}[٤٨]، فما عرف الإنسان في الله لمعنى ربه إلا إنسانا لله قائم أبيه لمعناه لقائم بنيه لمبناه لقيامه بأناه لله. وما عامله الآباء بحقائقهم ولدا إلا ليعاملوه لخلائقهم منهم أبًا في قانون الحياة الدائب. وما عامل الأبناء، بالحق آباءً، إلا عرفوهم في المطلق لهم أبناء، وجددوهم منهم، لهم ظلالا، فما كان لله عند العارف بالله سبقٌ من خلق، ولا لحاق من خالق.

إن من يعرف الله، يعرف الله لنفسه على ما هو الله، لا يرسم له رسما، ولا يضع له كسمًا، ولا يكيف فيه أمرا، إنه الله، على ما هو الله وكفى.

إن من يتحدث ويعرف ويعمل في الله، إنما يقوم في أمر نفسه، في أمر حسه لوجوده، في أمر علمه لشهوده، في أمر سيره لكتاب وجوده بجوده. يرتقي في ماضيه إلى كمال قديمه، ويرتقي في دانيه بجديده إلى كمال قادمه، حتى يرتد إليه قديمه وجديده لأناه لعين قائمه، سرمدا لإنسان في ناموس فطرته، وعبد الرحمن لقائم صبغته، فيتردد بقائمه بين القديم والقادم لنمو ذاته، ولإبراز صفاته، في أحد وجوده، بيتا لله، واسما لله، ومدينة لله، وكونا لله، وعلما لله، ووجودا لله، وأشرف أسمائه عنده عبد الله. هذا ما يحققه لنفسه المتابع لرسول الله يتابعه عليه إيمانا به له، وعطاء من الله من يد الله في الرسول إليه. هذا ما جاء به الإسلام، وما جاء به دين الفطرة.

اللهم في الإسلام فأدخلنا، وبالإسلام فجددنا، ومن الإيمان فأوفر حظنا، ولا تقطع عنا فيض الإيمان بك منك إلينا.

اللهم أقرئنا كتبنا، وأصعدنا معارجنا، وأنزلنا منازلنا، عَمر بنا دنانا، وعمرنا لنا بأخرانا، وأقمنا بك لك لمعنانا.

اللهم في لا إله إلا الله، بقائمها أدخلنا، وبها في الناس فانشرنا، والله أكبر والله أكبر زودنا وعَلمنا، حتى أنَّا بك لا نتكبر، وبوحدانيتك نجهر، بك محفوظين، لا نزال ولا نقهر.

اللهم وقد عرَّفت أن الناس بظلامهم أعجز من أن يطفئوا نورك، اللهم فانشره، اللهم فأشْهِده، اللهم فأظهره، اللهم في القلوب فأوجده، اللهم به فارحم خلقك، وأظهر عبادك، وأقم أمرك، وأعلِ ذكرك، وأزل باطل الناس، بجمعهم بباطلهم، عُبَّاد طغاتهم، مَردة ذواتهم، ضعفاء الإيمان بك لهم، متخاذلي الركون إليك معهم.

اللهم أعلِ كلمة الحق ظاهرة بك على ما سبق أن أعليتها على ظاهرك بالناس، وعلى ما أنت معليها في قلوب، ومُشهِدها في كروب، ولكن قليل من عبادك الشَكور.

اللهم فانصر هذا القليل، وانصر بهم هذا الكثير على أنفسهم حتى تظهر مصابيح نورك للضالين، وحتى تُقطع ألسنة مخاصمتك بالمضلين، فيُقرأ كتابك، ويُرفع حجابك، وتحيا القلوب بك، وتنطلق الأرواح فيك، وتشرِق العقول بنورك، فتستقيم الجوارح، وتُفرَّج الكروب، وتغفر الذنوب، وتستر العيوب، ويقوم السلام، ويستل من الصدور الحقد والخصام.

يا أرحم الراحمين ارحمنا، ولا تتركنا لنفوسنا تطغى علينا، ولعقولنا تعبث بنا، وولِ أمورنا خيارنا برحمتك، ولا تولِ أمورنا شرارنا بعدلك ردا لأعمالنا إلينا. لا إله غيرك ولا معبود سواك.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة البقرة - ٢٥٥

٢ من حديث شريف طويل تمثل فيه الشيطان برجل قال لأبي هريرة، ونصحه ثلاث مرات بأشياء تبدو طيبة، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم فهم ذلك، وفي المرة الرابعة سأله صلى الله عليه وسلم: ما فَعلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحةَ؟ فقُلتُ: يَا رَسُول اللَّهِ زَعم أَنَّهُ يُعلِّمُني كَلِماتٍ ينْفَعُني اللَّه بهَا، فَخَلَّيْتُ سبِيلَه. قَالَ: أَمَا إِنَّه قَدْ صَدقكَ وَهُو كَذوبٌ. رواه البخاري.

٣ جاءت هذه العبارة في الأثر لأكثر من سورة، منها الأنعام والكهف، فيقال أن كل منهما نزلت ومعها سبعون ألف ملك، وكذلك ما يخص بعض الآيات الشريفة، ومنها آية الكرسي، أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِه، عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْبَقَرَةُ سَنَامُ الْقُرْآنِ وَذُرْوَتُهُ، نَزَلَ مَعَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا، ثَمَانُونَ مَلَكًا وَاسْتُخْرِجَتْ {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ فَوُصِلَتْ بِهَا."

٤ سورة البقرة - ٢٥٥

٥ حديث قدسي: "لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن." ذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين"، وفي أدبيات المتصوفة.

٦ سورة الحاقة - ١٧

٧ سورة البقرة ٢٥٥

٨ سورة الزمر - ٦٧

٩ سورة البقرة - ٢٥٥

١٠ حديث شريف: "إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا." أخرجه البخاري.

١١ سورة النور - ٣٥

١٢ سورة الشرح -١

١٣ سورة لقمان - ٢٨

١٤ حديث شريف: "المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ". صحيح البخاري.

١٥ حديث شريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى." أخرجه البخاري ومسلم.

١٦ سورة الفتح - ٢٩

١٧ سورة الحشر - ٩

١٨ حديث شريف: "ألا أَخْبِرُكُمْ بالمؤمنينَ؟ مَنْ أَمِنَهُ الناسُ على أَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ، والمسلمُ مَنْ سَلِمَ الناسُ من لسانِهِ ويَدِه، والمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نفسَهُ في طَاعَةِ اللهِ، والمُهاجِرُ مَنْ هجرَ الخَطَايا والذُّنُوبَ". صحيح ابن حبان

١٩ سورة غافر - ٤٠

٢٠ سورة الأعراف - ٢٠٥

٢١ مقولة للإمام عليّ (عليه السلام): إن الله أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته، فلا تستصغرن شيئا من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغرن شيئا من معصيته، فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته، فلا تستصغرن شيئا من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عباده، فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، فربما يكون وليه وأنت لا تعلم.. بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

٢٢ سورة طه - ١٣٢

٢٣ حديث شريف ورد بصياغات متعددة، منها: "رأيتُ ربِّي في صورةِ شابٍّ أمرَدَ له وَفرةٌ جعدٌ قططُ في روضةٍ خضراءَ." أخرجه ابن عدي في ((الكامل في الضعفاء))، والبيهقي في ((الأسماء والصفات)) وابن الجوزي في ((العلل المتناهية)) باختلاف يسير، وينكره معظم المحدثين. كما جاء بصيغة: "رأيت ربي في المنام في صورة شاب موقر في خَضِر، عليه نعلان من ذهب، وعلى وجهه فراش من ذهب." صححه بعض الأئمة، ومنهم: أحمد بن حنبل، وأبو يعلى الحنبلي، وأبو زرعة الرازي، وممن ضعفه: يحيى بن معين، والنسائي، وابن حبان، وابن حجر، والسيوطي. كما استنكره كثيرون.

٢٤ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٢٥ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٢٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢٧ حديث شريف: أخرجه البخاري ومسلم، بصيغ متعددة، " فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنّي، فَمَن أغْضَبَها أغْضَبَنِي."

٢٨ استلهاما من حديث شريف، جاء بصيغ متعددة: "فاطمة بضعة مني وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، من آذاني فقد آذى الله." المكتبة الشيعية. بحار الأنوار.

٢٩ حديث شريف: مَن رآنِي فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآنِي في المَنامِ فقَدْ رآنِي، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٣٠ حديث شريف، يوم غدير خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، بيدِ عليٍّ رضي الله عنه، فقال ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسِهم قالوا بلى قال ألستُ أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه قالوا بلى قال فهذا وليُّ من أنا مولاه اللَّهمَّ والِ من والاهُ اللهمَّ عادِ من عاداهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.

٣١ تعبير عن عدد من الأحاديث الشريفة: الحديث (إن عَلِيّا مني وأنا منه). رواه الترمذي والنسائي. والحديث الشريف: (أمَا تَرْضَى أنْ تَكُونَ مِنِّي بمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى). صحيح البخاري، وحديث آخر أخرجه الترمذي، يقول له: (أنت أخي في الدنيا والآخرة).

٣٢ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٣٣ الباب العظيم أو الباب المغلق.

٣٤ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.

٣٥ سورة الكوثر ١

٣٦ سورة الكوثر- ٣

٣٧ سورة آل عمران - ٣٤

٣٨ سورة الشورى - ٢٣

٣٩ سورة الشورى - ٢٣

٤٠ سورة مريم - ١١

٤١ سورة الشورى - ٥١

٤٢ سورة الأنعام - ١٢٢.

٤٣ سورة النجم - ٤

٤٤ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩

٤٥ سورة الشورى - ٥٢

٤٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٤٧ سورة النساء - ٩

٤٨ سورة الأعراف - ١٧٢

(١٤)

الحق الرسول، للحق المرسِل
هو الظاهر والباطن، هو القديم والقادم
في موجود الحق، وحقيقة الخلق

حديث الجمعة

٢٦ شعبان ١٣٨٦ هـ - ٩ ديسمبر ١٩٦٦ م

آمنت بالله.. وآمنت برسول الله.. وآمنت بالمؤمنين بالله ورسوله.. وآمنت بكلمات الله، وبكلمات رسول الله.

آمنت بوحدانية الله، لا شريك له من وجود، ولا شريك له مما تواجد في الوجود، أوجد بالوجود، في أعلام موجوده، على ما كان في أزلي وجوده، وأبدى تواجده.

آمنت بما أُرسل به رسوله من النور لمعنى الكتاب. وآمنت بما علَّم وهَدى الرسول لمعنى الرحمة في حجاب الآيات، وبما قَدَّم مما وعى فأوعى، إحاطة الخطاب، وبما فيه مُكِّن من أمره بالروح فسَرى وأوحى، فكان وحيا يوحى، وروحا مُوحي، ونورا بُعث، وحياة امتدت إلى الجماد فأحيته، وإلى العدم فأوجدته، وإلى الوجود فأبقته، وإلى البقاء فخلدته، وإلى الخلود فجددته، وإلى القديم فجديدا أظهرته.

فكان الإنسان مبعوثا به عنوانا على الوجود ونواة لوجود، لموجود مُوجِده، وعنوانا على موجوده بما أوجد في وجوده.

كان الإنسان به قائم الحق، كلما تجدد بالحق جديده رسولا، وكان قديم الحق كلما تكنز خلف جديده مرسِلا، وظاهر الحق كلما ظهر كلمة لله، وباطن الحق كلما تكنز بكلماته فبطن، ففي مطلقه عنا احتجب، ومن كنزيته بجديد تجلى وتجدد واقترب {اقتربت الساعة وانشق القمر}[١].

تجلى حقا خالقا، وظهر حقا مخلوقا، وتكنز في القلوب حقا مُنَزَّها. فكان الإنسان به حقيقة الوجود، وروح التواجد، وسر الحياة، به تواجد الموجود، وظهر الخالق بما خلق، ظهور البديع بما أبدع، ظهور

الكامل، بما في ظاهرٍ تكامل، فكمل.. كان الإنسان به هو الظاهر والباطن، هو القديم والقادم، في موجود الحق، وحقيقة الخلق.

قدم شعار الوحدانية لله، رفع هذا الشعار للناس متعاليا فيه، كاملًا به، ومكملا فيه، وموفيا لمستوفيه، محمدُ الله بلا إله إلا الله، رافع الرتب لمن والاه، خافضا إلى هاويته كل من عاداه.

محمد الله.. حق الله.. عبد الله.. رسول الله.. وجه الله.. إنسان الله.. إنسان الله في جماع صوره.. إنسان الله القديم.. إنسان الله القادم.. إنسان الله القائم.. إنسان الله الخالق.. إنسان الله المخلوق.. إنسان الله الظاهر.. لإنسان الله الباطن.. إنسان الله المداني، لإنسان الله المتعالي.. إنسان الله وكفى، والرسول الذي اصطفى، وعبد الله الذي وفى، وحق الله الذي استوفى.

شرف الإنسانية، وحقيقة الإنسانية، وأمل الإنسانية، وسلام الإنسانية، كوثرا بنفسه، من فعل نفسه، كوثرا بحقه، من فعل حقيقته.

كان في وجوده بموجوده، على ما كان، وعلى ما هو كائن، وعلى ما سوف يكون. كان الرجل الثاني دائما.. للأول له.. فيمن لا أول ولا آخر له، متواجدا به، الرجل الثاني دائما، لا يتخلى عن مقامه، مدركا أن الرجل الثاني لسبق مهما تعدد فهو عنده متوحد حاضر الأزل، هو له عنده الأول وربه دائما. وهو منه رسوله وعبده إلى من جدد أو من خلاله بالله ورسوله مؤمنا تجدد. هو لحقائق الأول، لمشروع الخلق الأبدي حامل البشرى لتجلي الآخر بمعارج القديم. هو لهما بينهما الثاني منهما يتجدد لهما بكوثره دائما، بَعدا وقَبلا، فهو لا يُعرِّف عنه كأول - وإن كان أولا لنا - بل هو الثاني للباقي مبشرا به، كما هو الثاني للقديم معرفا عنه.

يعرف عنه الرجل الثاني للرجل الأول، هو الأمر الوسط.. هو الحق الوسط.. هو الإنسان الوسط.. هو الآدم الوسط.. هو الأمة الوسط.. هو الكوثر الوسط.. هو ما بين الأول والآخر.. دائما وأبدا الأمر الوسط، والرجل الثاني. يرى في الآخر عين الأول، فهو المبشر بالآخر، لعين الأول، فهو الرجل الثاني مع الآخر، كما هو الرجل الثاني مع الأول.

يعرف الله، على ما يليق بالله.. ويعرف نفسه، على ما يليق بنفسه، فيُعرِّف عمن عَرَفَ.. يُعرِّف عن الله، لا أول ولا آخر له، في قديم وقادم، ولا موجود معه ولا شريك له، في باطن وقائم.

إنه بما عَرَف، وبما يُعرِّف، هو رسول الله. وهو بما شَرُف، هو عبد الله. وهو بما أنعم به الله عليه، وهو بما ينعم به على من ينعم عليه، نعمة الله، عطاء الله، ورحمة الله، هو لها قاسم، والله به هو لها المعطي. فهو اسم الله المعطي، واسم الله القاسم. وهو بكوثره ابن القاسم، وهو أبو القاسم، وهو القاسم، ومن

حضر القسمة فليقتسم، ومن اقتسم فليبتسم، ومن غاب عن القسمة والقاسم فليندم.. لأنه بعيدا عن القاسم، وما يقسم، لا يَسلَم، ولا يَعلم، ولا يُرى ولا يُكلم.

طلب أن يحيا مسكينا مع الأول، وأن يبقى مسكينا في الأول، وأن يحشر مع المساكين للأول. لا يتخلى عن وصف العبد لنفسه، ولا ينفك عن الأعلى لوصف الرب عليه، إيمانا ومعرفة باللانهائي، وجودا وتواجدا.. حقا وخلقا.. تجليا وتكنزا، كيف لا وقد أظهره الأعلى على الدين كله، واختاره لنفسه، وأظهره لأمره.

أظهره ربه على الدين كله، وقال له لا فرق بيني وبينك، اذكرني في نفسك، فعيني قائم عينك، وسبيلي عين سبيلك، ووجودي عين وجودك، أنا بموجودي لمن أوجدني، عين وجودِك، لمن أوجدك، وقد أوجدني لك وأوجدك لي، أوجدك لي لأظهر، وأوجدني لك لتُعلَم.

فإني وإياك، تواجدنا أزواجا، وتحققنا أزواجا، وجددنا أنفسنا أزواجا، فيمن لا شريك له.. فيمن لا مثال له.. فيمن لا تعدد له، تعددنا نحن فيه، لواحديته لمعانيه، في أحده لوجوده، لا شريك له. لا شريك له مني، ولا شريك له منك، في موجوده لنفسه، ولا غيبة له عني، ولا غيبة له عنك، فأنا وإياك، خليل لخليل، وحبيب لحبيب، تخاللنا حتى لا تعدد لنا، وتحابينا حتى لا واحدا كنا، وأحدا صرنا.

فأنا المتواجد فيمن نتواجد أنت فيه، وأنت الموجود فيمن أتواجد أنا به، لا شِرك بيننا، ولكن قائم الحق نقوم، قياما للحق يقوم، وقائم الحق نظهر، ظهورا للحق بنا يظهر.. عبد ورب وما تعددنا. فإن قلت إنّا كنا عبدا وعبدا لأعلى، فقد صدقت. وإن قلت إنّا رب ورب لإله لنا فما أبهمت. إنّا في حق يجمعنا، وإله يقومنا، بما فيه كنا عرفنا عنا، كيف فيه أنّا.

نؤمن بالغيب مشهودا في شهودنا لأنفسنا ما عُرفنا، وبالوجود مشهودا وبنا موجودا فيمن نتواجد فيه بوجودنا لله له كشفنا.

أظهره الناموس على الدين كله، وأظهر به الدين كله، فلم يأبه للكم من موصوف الخلق، وحرص على إيجاد الكيف، فيمن يتساءل، كيف أنا؟ كيف خُلِقت؟ كيف وجدت؟ كيف أكون؟ كيف أعمل؟ كيف أعلم؟ كيف أخشى؟ كيف أحب؟ كيف أوحد؟ كيف أتحد؟ كيف أتوحد؟ كيف وكيف وكيف؟؟؟ ذلك دين القيمة.

فقال لك، معلما هاديا، لأن يهدي الله بك رجلا واحدا، خير لك من الدنيا وما فيها. يهدي بك! إنك لا تهدي من أحببت! ولكن الله يهدي بك، وما لأحد عنده من نعمة تجزى، يهدي بك من يشاء.

إن الحب بالنسبة لمطلق الله ليس من وصفه، وإن اتصف به لذواته بالإنسان، إنما هو من وصف الرجل للرجل فيه.. إن الحب هو الذي يجمع الرجال بالأمر الوسط بوصف الأول له والآخر به، إلى لا أول، وإلى لا آخر.

ولذلك عَرَف عنه الأمر الوسط وقال وأشهر وعلَّم.. إنه الرجل الثاني دائما.. إنه الرجل الابن.. للرجل الأول، للرجل الأب، ثم نزه الأعلى إلى معنى الرفيق، عندما تواجد منه الابن، ووجد له الخليل والصديق فقال في جلباب بنوته، وقد وعد بجديد لكماله إلى أبوته.

إن الله محبة، وأنا بينكم عنوان المحبة.. أنا فيمن أحببت، ومن أحببت بحبه لي كان فيّ فأنا فيه وهو فيّ، على ما أنا في الأعلى وعلى ما هو فيّ، وأنتم بالمحبة، تكونون فيّ، وبالمحبة، أكون فيكم فتكونون مني وأكون منكم.

لا دينونة على من دخل في قلبي، فأنا الدينونة، ويومها دائما.. سعيد من دخلني.. شقي من لم يدخلني.. {يا أيتها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي وادخلي جنتي}[٢].

مسخ على مكانته، من كان بعيدا عني، ولم يشأ أن يرى فيَّ مثلا أعلى يتمثل به ويقتديه وينشده لنفسه من الأعلى، فكان بمشيئته شيطانا.. أنا منه البريء، أما من دخلني، فقد دخل فيمن أنا داخل فيه، فكان له ممن أنا فيه، ما أنا فيه على ما يراني، لعين معناه، لقادمه بقائمه يرضاني (من كنت مولاه فعليٌّ مولاه)[٣].. (ومن كان عليّ مولاه، فالله قد والاه وتولاه).. (خلفت الله عليكم)[٤].. (أصحابك قد خولطوا.. نعم فقد خالطهم أمر جلل)[٥].

فإن كنت الرجل الأول لله على ما أظهر في يوم الدينونة، لإدانة من يدينه أبي بخطيئة البعد عني {قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى}[٦]، {ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا}[٧]، فإني يوم أجدد نفسي بمؤمن أتواجده في أبي يومئذ يكون أخي فلا دينونة عليه يومئذ أقول وإياه مصلين أبانا أو الرفيق الأعلى سواء في الأرض عرفناه أو في السماء شهدناه فنحن عترته.. نحن جلدته.. نحن ظلاله.. نحن وجوهه.

هو ربي، وهو اليوم في يومي.. هو في السماء إله، كما هو في الأرض إله، لا يعرفه إلا من تبناه وإلى نفسه آواه، وسيأتي يوم، يتواجد بينكم على صورتكم ومن أنفسكم، ولا تعرفونه، كما أنكم لم تعرفوني، ولا تؤمنونه كما أنكم لم تؤمنوا بي، ولا تدركونه كما أنكم لم تدركوني، ولا تشهدونه كما أنكم لم تشهدوني.. لأنه سيظهر بينكم بما هو لي من الله.. سيظهر بينكم بما هو لي من الأعلى.. سيظهر بينكم بما هو لي من أبي، وهو لي أبي.. هو لي روحي.. هو روح قدس الوجود.. هو روح قدس الحياة، فإن كسبتم معرفته في

صحبتي، وحل فيكم نوره نورا على نور، وسرت فيكم روحه روحا لروح كنتم أخوتي، كنتم معي في أبي، في روحي، في وجودي، في حياتي في روح قدسي، في إنسان الله لنشأتي ودائم حقيقتي.

هو روح قدس الوجود من الأعلى.. في ذي المعارج، يحل فيكم فتأتون أفعالي، قومه أناجيلهم صدورهم.. قومه إخوتي، فإذا عدت إليكم بيومي للدينونة مرة أخرى، ليدان من يدان، بسعادة أو بشقاء، وأنا في دوام يومها، دعوت الصادقين منكم بإخوتي، أو المارقين منكم، ممسوخين على مكانتهم، شياطين المادة، وأبالسة الروح فإني منهم بريء. يومئذ أعرفكم عنه جهلتموه، وأشهره بينكم أنكرتموه. فلن تشهدوا على أرضكم، إلا الأمر الوسط والرجل الثاني، وهو قدمه بي، وحقيقتكم من حقيقته بحقي لوجودكم ولشهودكم.

إن آدم، كان الرجل الأول، لوصف خلقه، وكان الرجل الثاني لموصوف حقه. ما قَدَّمت الأديان، في جميع ألوانها، وعلى ألسنة مؤسسيها آدم، إلا عبدا لأعلى، وما كان آدم عبدا، إلا وجه الأعلى، وظاهر المتكنز، وداني الغيب، وأمرا وسطا في الله بين عاليه لربه، وبين بنيه لأنبيائه عنه لدانيه، قياما وتعريفا عن مواليه ومعافيه. الله له وقبله، الله له وبعده، الله له ولأبنائه، الله لأبنائه وله.. الله بعده وبعدهم، والله قبلهم وقبله.

إن الذي أثار هذا الحديث، وإن كنت دائما أثيره، ولكني إنما أثيره اليوم، بمناسبة زيارة رجل آدم من الهند، يمر في جولة في العالم، نشرت عنه صحفنا، وتلاقى معه بعضنا، السيد المعلم (مهاريشي ماهيشي)، أحد رجال التوحيد الهندي، (اليوجا).. الرجل الآدم.. الإنسان الآدم، الذي يشير بموجوده، والذي يتواجد بوجوده، كلمة لله، الأمر الذي يظهر به دائما على الأرض، جديد الآدم لقديم الآدم، بما يكشف لنا عن الناموس القائم لدائم الخلق ببدايات، عما يقابله من دائم الحق بنهايات أمران لله على الأرض يجتمعان، وفي الناس يتلاقيان، وجها لوجه للآزال بحقائقها، وللآباء بخلائقها، الله من وراء وجوهه بإحاطته، والله على الكل بقيوميته، والله للكل بقائمه، ما حرصوا على أمرهم منه، ولم يفرطوا في أمر الله لهم به.

نحن في بيئة الإسلام، قد غم علينا الأمر، وحرفنا الكلِم عن مواضعه، وأنكرنا على الرسول في مضاجعه من القلوب، وفي قائمه من القوالب، وفي أحديته لواحديته بأمته، وفي حقه من النور، وفي منتشره من الظهور، بأوادم الناس لا بدء ولا انقضاء لها.

فإن كان محمد بذاته آدما، إلا أنه كان بروحه، روح قدس لله، جماعا لأوادم، هو الروح المنفوخ منه به في أوادم الناس، والروح الذي يُلقى من أمر الله على أديم الناس. هو روح الحياة.. هو نور المعرفة.. هو سفن الرحلة.

كان الناس منه هم أقدام الراحل، وكان هو لها بعملها هو أيدي الفاعل، وهو فيها عين البصير.. هو حياة القلوب.. هو قلوب الحياة للقوالب.. هو جنة النفوس.. هو رحلة العقول.. هو حقيقة الأرواح.. هو حياة الأشباح.. هو كل شيء، لمن أراد أن يكون في الله شيئا.. هو كل أمر للمؤمن، يوم يكون المؤمن أمرا لله، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[٨].

إنه الحق الذي هو أولى بك من نفسك، يوم تكن من السعداء بإيمانك بنفسك قائمة بالله ورسوله.. إنه الحق الذي يتكشف لك الحرمان منه لأمرك، يوم تكون من الأشقياء. فمن كان يتيما أمام نفسه، وجده من آواه لشهوده وحسه فهو لليتيم لا يقهر، ومن كان مؤمنا باليتامى وجده من يرعاه فهو للمؤمنين ليس عليهم بمسيطر، ولكنه كان لأمته كلما بدا لها أو ظهر بين ظهرانيها، ربا راعيا رحيما، يخفض جناح الذل من رحمته، ويبسط يد النجدة من عزته عبدا لأعلى في قدوته. يرفع من يرفع، ويخفض من يخفض بحكمته.

هو سلطان الله المـُخلِّص، وهو لا يخلِّص، إلا من تعرض لرحمة الله وفتح صَدره لنور الله، إلا من طلب الإيمان.. إلا من شعر بالافتقار، إنه لا يُكرِه الناس حتى يكونوا مؤمنين.. إنه لا يدخل القلوب إلا طارقا مستأذنا.. إنه لا يحب الكبرياء ولا المتكبرين ولا بالكبر يظهر، فما علا عليّ بعلم بعلمه تكبر، وعلى أدنى له أظهره لنفسه بين يديه بهديه أصغره. خفض جناح الذل من الرحمة، كلما ذكر، وكلما دبَّر. وتكبر على أهل الكبر، كلما تصدق وأحكم فقهر وبعد القهر أطلق وغفر.

دعا إلى الأعلى وما كان غَيره.. عَلِم عن الأعلى وكان عينه، مُعلما حَكيمًا، غنيا بالله، مغنيا به، مفتقرا إلى الله مع وافر حظه من غنائه به، شاعرا بضعفه معه، مع صحبة عزته له مفتقرا، حتى إلى افتقاره إليه، {واصبر وما صبرك إلا بالله}[٩]، اصبر واعلم أن الذي علمك الصبر ومنحك إياه، ما كان إلا الله.

لا تنسب إلى نفسك أمرا، ولا تظهرها بما تأتي منك بمظهر، فعلا أو قولا. انسب أمرك إلى الله.. انسب أمرك إلى الأعلى، فهذا أدنى لك إلى قلوبهم أن تُقبل، وإلى عقولهم أن تَقبل، وإلى نفوسهم أن تتفتح فتحيا وتفعل.

أحيهم بما فيك من الحياة، وخلصهم مما هم فيه من الموت، أَمِت فيهم الموت.. وابعث فيهم الحياة، ألست روح قدس الله.. ألست وجه ذات الله ذاتا لذات، حتى إلى الذات.. ألست جماع كلمات الله،

تترى كوثرا، ونَتلى خبرا، وتقوم نُصبا، وتنتشر أوادما، بين قائم وراكع وساجد! أنت في الكل العابد، وأنت بالكل القائم كلما تآلفت القلوب معك على المذكور بك.

فأنت بنا لك، لعينك بهم في كل ذلك، النُصب والقبلة.. أنت البيت والذكرى.. أنت الذكر المحدث للذكر القديم، حتى لعين المذكور.. أنت الذكر والذاكر.. أنت المذكور والذاكر.. أنت الخلق والحق.. أنت العبد والرب.. أنت الظاهر والإله.. أنت الشهادة والغيب.. أنت الإنسان، على ما هو الإنسان، في قديم لا بدء له، وفي قادم لا انتهاء له، بقائم لا انقطاع له فيمن لا أول له ولا آخر له، ولا ظهور له ولا غيبة له، ولا شريك له.

{ورضيت لكم الإسلام دينا}[١٠]، ما رضي من رضي لنا الإسلام دينا، إلا على أساس من هذا العرض، وعلى حقائق هذا الفرض، وعلى حضرة الحق على هذه الأرض، ملأ لملأ، أدنى لأعلى، وأعلى لأدنى، طبق فوق طبق ترفعون، وطبقا بعد طبق ترجعون، وطبقًا في أثر طبق من المادي تتخلصون، وفي فضاء الوجود تنتشرون، فتخلقون الحياة على ما تشاءون، وعلى ما تريدون، وعلى ما تعلمون، وطبقا بعد طبق تتخلفون، وتهوون وتهلكون. وتعالى الله عما تصفون.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله

اللهم بمن جعلته قدوة كافة للناس، اجعلنا به من الناس.

اللهم بمن جعلته حقا في لباسه بشرا، وبالحق بعثته، وبالحق منه نشرته، اللهم بشرا فحققنا، وحقه فينا فأقمنا، وحقه منا فانشرنا، وحقا لك تواجدنا.

اللهم حقا بك فأوجدنا، وأوجدنا، وأوجدنا.. وكوثرا لك فتواجدنا، وروحا بك فجسدنا، وأجسادا منك فزَّوحنا، لطيفًا لك فكثفنا، وكثيفا بك فلطفنا، وظلامَنا فامحُ عنا، ونورك فينا فتواجدنا.

اللهم بنا لك جددنا، وكثرنا وحققنا وألهمنا وعلمنا، ووجودا منك فتواجدنا، وللوجود كتابا أقرئنا، وإنسان بيان بَيِّن لنا وأبَّنا، وإحسانا منك فاقبلنا، وعن حظيرتك لا تقطعنا، وعن التواجد فيك عبادا لك لا تمنعنا.

اللهم أربابا لا تخدعنا، وآلهة لا تفتنا، واجعل الربوبية فينا لتُعلمنا، والألوهية لنا لتُشهدنا، وفي دوام بالعبودية فجددنا، وعبادا لعبادٍ فتجددنا، وعن وضعنا منك في المقام الأسمى للرجل الثاني والأمر الوسط لا تقطعنا.

ولبيوتنا الأبوة الأولى لا تحرمنا ولا تمنعنا، وأبوة من أبوتنا فتواجدنا، حتى نعود بك للمقام الثاني على ما رَشُدنا.

اللهم عن دين الفطرة لا تبعدنا، وعن محمد لا تقطعنا، وفي متابعته إليك لا تمنعنا، ورفيقا أعلى لنا فعلمنا ووفقنا، لرفيق أعلى له تواجدنا، به آمنا، وله طلبنا.

لا إله إلا الله بك شهدنا، والله أكبر لك عرفنا، ومحمدا رسول الله به حقا منك قمنا، فلأنفسنا به شهدنا، أنه لا إله إلا الله، وأنه محمدا رسول الله.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة القمر - ١

٢ سورة الفجر – ٢٧،٣٠.

٣ حديث شريف، يوم غدير خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، بيدِ عليٍّ رضي الله عنه، فقال ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسِهم قالوا بلى قال ألستُ أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه قالوا بلى قال فهذا وليُّ من أنا مولاه اللَّهمَّ والِ من والاهُ اللهمَّ عادِ من عاداهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.

٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٥ من كتاب نهج البلاغة، في وصف الإمام علي للمتقين: " نظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض. ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم. لا يرضون من أعمالهم القليل. ولا يستكثرون الكثير. فهم لأنفسهم متهمون. ومن أعمالهم مشفقون."

٦ سورة الشورى - ٢٣

٧ سورة الشورى - ٢٣

٨ سورة الأحزاب - ٦

٩ سورة النحل - ١٢٧

١٠ سورة المائدة - ٣

(١٥)

بسيادة الجهلاء يفرض العماء
وبنجابة الأولياء يرفع البلاء
يوم يكشف للنفس أمرها وحريتها في ساعة القضاء وقيامة الجزاء

حديث الجمعة

٤ رمضان ١٣٨٦ هـ - ١٦ ديسمبر ١٩٦٦ م

نَصَر عبده.. وأَعز جنده.. وهزم الأحزاب وحده.

الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.

بالغ أمره.

هكذا كان الأمر، مع من عرفناه عبدَ الله، في جَمْعِه من جنود الله، يوم أحاطت قريش، بمدينته، بيتًا لله، وحصنا لكلمة الله، إحاطة السوار بالمعصم.

وما كان هذا جديدا في أمره، ولا في أمر بيته وأهله، فقد أحاط أبرهة من قبل بجحافله، باسم المسيحية الشوهاء، حول مكة، مدينة مهده، وبيت مولده، فوقف أبوه، من قبله، على باب بيته، وأمسك بحلقات بابه، متوجها به إلى ربه، اللهم رب هذا البيت، آمناه بيتك، وطفنا حوله نُصبك، وعكفنا فيه ساحتَك، واستقبلناه للصلاة صِلتك، قَدَّرت خلقك، أن يحموا دورهم، فاحمِ دارك، ولا تعرض للهوان شعارك، وللفتنة من جعلت في جوارك. إنه بيت إنسانك لعين عنوانك، تنجده عبدك، وتقومه رحمتك وإحسانك.

صدق الله العظيم.. {فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه، ومن في الأرض جميعا}[١] {فإن الله غني عن العالمين}[٢]، فقامت المعركة بين السماء والأرض.. بين المنظور وغير المنظور..

بين المعقول ومن هو فوق العقول، ومن هو فوق كل معقول، ومن هو عين العقول {فلله المكر جميعا}[٣].

قامت المعركة بين المادة منفصلة عن تدبير الروح، والروح في جلبابها من المادة. وهي معركة مشبوبة دائما، لم يضع طرفاها أوزار الحرب، ولم يرفعوا راية السلام، فالبشرية بموجودها المادي لم تدخل في السِلم مع الله.. إنها معركة الحياة والعدم.. إنها معركة الجهل والعلم.. إنها معركة الفوق والتحت.. إنها معركة النور والظلام.. إنها معركة الإيمان والكفر.. إنها معركة المادة والمعنى.. إنها معركة الغيب والشهادة.. إنها معركة التوقيت والديمومة.. إنها معركة الإنسان وربه.. إنها معركة الإنسان في نفسه.

{إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى}[٤]!؟ ولِمَ هذا الكنود والطغيان!؟ {إن إلى ربك الرجعى}[٥].. {وإذا أنعمنا على الإنسان، أعرض ونأى بجانبه}[٦]. أنعمنا عليه، وقد قام مفتقرا، فلجأ مُدكِّرا. مسته البأساء والضراء، فلجأ، وإلى الروح التجأ، ففتحت الروح ساحتها، بإبراز أبوابها لساحات رحماتها.

فآوت ونصرت، وأعزت ويسرت، وللصغير أكبرت وكبرت، وبالعز أظهرت، وبآياتها ظهرت، وللإساءة غفرت، وللحسن قَبِلت، وللنصرة يسرت.

ولكن الإنسان بأسفله هو الإنسان، في جحوده.. في كنوده.. في غفلته.. في فتنته.. في ريائه.. في نفاقه.. في دجله.. في عجلته، عودا إلى حجابه في قطيعته بجهالته، ونفورا من رحمته في وصلته، وإنكارا على حقيقته، لموهوم عزته، في غفلته.. الإنسان هو الإنسان، لربه كنود، وللمنعم عليه جحود، يسوده لا يسود، وينعم عليه فيجحَد لعليه السجود، وينكر لعقله الوجود، وكم تواجد مع ربه شاهدا ومشهودا.

تألف قلبه فلم يأتلف، وأظهر أمرَه فلم يعترف.. أنعم عليه فلم يشكر، وللمنعم جافى ولم يذكر.. إنه الإنسان، في خُلقه بنفسه، يكز على نفسه بظلامها، ويعطي ظهره لخالقه، وهو مظاهره لنصرته، وليشهده لجمال طلعته في شهادته، فإذا هو الجاحد لحضرته، والناعق بنعرته، لمعنى وموهوم عبوديته، وهو النائي بجلدته، عن الأحواض لرسالته.. يمنع الماعون، ويقاوم القانون.. والله غالب على أمره.

إن يوم الفصل كان ميقاتا، في حياة الناس لفردهم وجمعهم، للطاغين مآبا، لابثين فيه أحقابا، تُرجعهم السماء، وتنبتهم الأرض. فهم ما بين السماء والأرض، حيارى، سكارى. عن ربهم في أنفسهم يعمهون، ولله في غنائه عنهم يجحدون.

وهو مالك زمامهم.. ومالك أيامهم.. ومالك أرضهم وسمائهم.. ومالك داخلهم وخارجهم، هو محيطهم وقائمهم، له الملك وله الأمر، فكيف يحكمون!؟ وكيف هم بنعمة الله يجحدون، وإطفاء نور الله يحاولون، وفرض الجهالة على الناس يلزمون ويكتبون ويخططون ويرسمون؟!

منابر العلم يهدمون، وبيوت الحق يغلقون، وصوت الحقيقة يسكتون، وبآيات الله يجحدون. فهل ينتصرون؟ والله غالب على أمره لو يعملون!

تعالى الله عما يصفون، وتعالى الله عما يذكرون.. وتعالى الله عما يعرفون.. وتعالى الله عما يعاملون، لا إله إلا الله لو يعلمون، ولا وجود لغيره لو يستيقظون، يمكر بهم إذ هم به يمكرون، يقوم بأعلامه بين الغافلين، مذكرا موقظا للطالبين، عبادا للرحمن على الأرض هونا يمشون، يسألون الناس، وهم من يجب أن يسألوا فيعطون.

أغنياءً بالله، لو طلب الناس غناه، ولكن الناس، عنه بدنياهم في غِناء، ودنياهم، كما يعلمون إلى فناء، وما دنياهم، إلا قيامهم في الابتلاء، يحيون فيها بالرجاء، ويسعدون به فيها بالعطاء، ويشقون معه بالجزاء، له الولاء، وله البقاء، وكل ما سواه إلى فناء.

إن رسالة الإسلام.. إن رسالة الفطرة.. إن رسالة رسول الله، لرسل الله، من رسل الله، في قائم الله لا شريك له، له المثل الأعلى في السماوات والأرض.. في أمس الحاجة، لمن يجددها، ونحن في أمس الحاجة، أن نجتمع على من يتواجدها.

نحن في ظلام دامس.. نحن في يأس قاتل.. نحن في ضيق خانق.. نحن في فاقة لا تطاق.

اختلط الحابل بالنابل.. واختلط الحق بالباطل.. واختلط الصادق بالداجل.. واختلط الهادم بالعامل.. واختلط العليّ بالسافل.. واختلط الأمر علينا.. واختفت أعلام السبيل عنا، وتوارى عنا عباد الرحمن منا.

فهل إلى مخرج من سبيل؟ هل إلى الحق من دليل؟ هل للدين من كفيل؟ هل للأمر من وكيل؟ هل للجهل من حكيم رشيد[٧] بالسبيل؟ سبحان الله.. سبحان الله.. سبحان الله.

العنيد والرشيد يتلاقيان، وعلى أرضكم يجتمعان، عَلَمُ الشيطان وعلم الرحمن، لظهور الإحسان، وهزيمة البُطلان، ولقيام الله في الوجدان، يجحده الإنسان، ويقومه الإنسان.

فسبحان الله.. هل يستوي الإحسان بالبطلان؟ هل يستوي الإيمان بالكفران؟ هل يستوي العرفان بالنكران؟ هل يستوي الظِل والحرور؟ أم هل تستوي الظلمات والنور؟

ولكنها الحياة، يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويجعل من الإيمان سكينة الليل، ومن المعرفة معاش النهار. زرع وحصاد.. جهاد ووداد.. عِناد ورشاد، على أرضكم وفي مجتمعاتكم.. لا.. وفي أنفسكم، يجتمعان، ويتلاقيان، ويتصارعان.

كل منهما يطلب الوجدان، ويرى في نفسه الإحسان، ويريد أن يمحو صاحبه، إلى وجوده، وأن يقيمه في شهوده، حق يُشهر يراد به باطل، وباطل يحكم ويراد من ورائه حق {قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون}[٨]، فإني أعرف ما لا تعرفون، وأتواجد ما لا تتواجدون، وأطلب ما لا تطلبون، وأفتقر إلى من إليه أنتم لا تفتقرون، فإني على أمري ضنين، وبحقي في يقين، فما أنا إليكم يوما، بعابد ما تعبدون، وأنتم ما كنتم على ما أنتم، ولما في أنفسكم لا تغيرون، فلا إلى ما أنا به تصيرون على ما تشهدون، فإنكم في قادمكم لن تعبدوا ما أعبد، وستبقون على ما أنتم عاكفين، وله عابدين، وكلما تكشف لكم يقين، حننتم إلى باطلكم، فإليه عدتم إلى يوم الدين.. أنتم ما بيقين آمنتم، وحجة الله على أنفسكم أقمتم، يوم هداكم السبيل فكفرتم، فكشف لكم كفركم، لتغيروا ما بأمركم، وتجافوا حالكم وأنفسكم على ما أنتم، فما لأمركم غيرتم، وإن الله بالغُ أمره، عرفتم أم أنكرتم، وإن الله ناصرٌ عبدَه، قبلتم أو خاصمتم، أدركتم أم جحدتم.

نعم.. حَمَى بيتَه.. نعم نَصر عبده.. وأعز جنده.. وهزم الأحزاب وحده.. وسيفعل كلما أظهر عبده.. حَمى بيته.. ونصر عبده.. وأعز جنده.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله، والله أكبر.

الله أكبر.. على من طغى وتكبر.. والله أَقدر، على من كفر وأجبَر.

اللهم يا من نصرتنا على أنفسنا.. اللهم يا من أحييت قلوبنا بيوتا لك.. اللهم يا من أعنتنا على تغيير ما في أنفسنا إلى ما في نفسك برسولك بيننا.. اللهم يا من جعلت منا نُصبا لذكِرك، ووجوها لأمرك، وظلالا لرسولك، ومنابر لرسالتك، وحقائق لعبدك، وابن عبدك، من اصطَفيته لاسمك، ونشرته لأمرك، وجددته لذكرك، ووفيته لحقك، وأشهرته لرحمتك، ونصرته لعزتك.. اللهم فأعل أمره، وانشر ذكره، وبلغ خبره، وأبقِ واحفظ فينا أثره، وجدد فينا وجهه وخبره، وابعث منا علمه، وحقق له فينا أمله.

اللهم به فارحمنا.. اللهم به فانصرنا.. اللهم به عندك فاذكرنا.. اللهم به في الناس لك فانشرنا، حتى تعم في الناس رحمتك.. حتى يشهد الناس طلعتك، وحتى يستمتع الناس نعمتك، وحتى تنقشع عن الناس ضلالتك بضلالة أنفسهم، إلى قائم أنفسهم بك.

عرفوك لفظا.. وآمنوك وهما.. وأنكروك عِلما.. وخاصموك روحا.. وأضلوك أشباحا.. وسجنوك أرواحا.. وأنكروهم ألواحا.. وقصفوهم أقلاما.. وما تجمعوهم كتابا.. وما تواصوا حسابا.. وما قاموا لك عَلما.. وما استقبلوك معلوما وكلما.

ما لاموا أنفسهم، ولكن قدروك لهم ومنهم مَلوما، ما عرفوهم الإنسان، أسفل سافلين، حتى ينشدوهم الإنسان أعلى عليين، ويعرفون في أمرهم الطريق، ويعرفون لرحمتهم من يكون الصديق،

فيعرفون السبيل، وينشدون بينهم الدليل، ويرفعون فوق رؤوسهم من كان لك المسكين الذليل، تاج هاماتهم، وسلطان ذواتهم لعروش أنفسهم وممالك هياكلهم، لأرض الجنان لقياماتهم.

بك حق قيامهم يخاصمون في ظلام أنفسهم الطاغوت، ويسبحون بين جوانحهم في الملكوت، ويستوفون حظهم من الرحموت، فيحيون منهم الناسوت، ليتواجدوا بك اللاهوت، فيدخلون في حصن لا إله إلا الله، فتحه عبده وعترته على مصراعيه، وقام وقاموا بيننا عَلما عليه.

جدد بعترته نفسه بيننا، كوثر رحمتك، ودوام نعمتك، وقائم سبيلك، ومتجدد دليلك، أنبياء كتابك، ومفازة حجابك، وشمس معرفتك، قليل منا من عرفه، وقليل الشكور، وقليل منا من شكره، وقليل الذكور.

اللهم به فتولنا في الصغير والكبير من شأننا.. اللهم به فادفع عنا ما نعلم وما لا نعلم، من البلاء هو منا، ردا لأعمالنا، وجزاء أفعالنا.

اللهم به فعاملنا برحمتك.. اللهم به فعاملنا بمغفرتك.. اللهم به فعاملنا بواسع مغفرتك، وواسع رحمتك.. اللهم به لا تكلنا إلى أنفسنا، ولا لغيرك طرفة عين ولا أدنى من ذلك.

اللهم به كن لنا، ولحكامنا، ولمجتمعنا، على ما يليق بك، لا على[9] ما يليق بنا.. اللهم افضحنا لنا ولا تسترنا علينا حتى يتميز الخبيث من الطيب فينا لنظرنا.. اللهم اكشف حجاب الغفلة عنا، لنشهدنا لك، أو لنشهدنا في مخاصمتك.

اللهم فافضح الغافلين والمغفلين منا لهم عندهم.. اللهم فرق جمعهم، وفرط أمرَهم ليشهدوا ضعفهم، واكشف لهم أنفسهم على ضلالتها ليشهدوا أمرهم، حتى تكون لهم كرة إلى هدايتها، وقد أفلتت منهم هذه المرة بتعاستها، فيدخلون برحمتك في إنظارك، يوم تنظرهم الى ما علموا من اليوم المعلوم لهم، فيدخلون في إنظارك يوم تحفظهم من أنفسهم، علمت نفوسهم ما قدمت وأخرت، فتحفظهم كافرين، بواسع رحمتك، وتنظرهم موعودين، بشامل وجودك، وواسع جودك.

اللهم انزع من قلوبنا كل غل، ولا تجعل فينا غلا لأحد من الناس، لا مؤمنين ولا كافرين، واجعل محبتك عندنا لك، للناس أجمعين.

نستكبر على المتكبرين، رحمة منك، ونهش للمساكين، معرفة بك، ونأوي اليتامى، تخلقا بخلقك، ونؤثر على أنفسنا على ما فعلت لنا، في أحسن تقويم مخلفا، وعلى ما وعدتنا به، من قادم لأحسن تقويم مستخلفا، خلفاء الأرض، وكتب الدين، وأعلام الحق، وبيوت اليقين.

هذا كله كان لنا، في هذا الدين، مع هذا النبي، بهذا الكتاب الأمين.

اللهم وقد وعدت بحفظه فاحفظه لمعانينا في مبانينا.

اللهم وقد وعدت ببيانه فبينه لنا فينا.

اللهم وقد وعدت بنشره، فانشره في ألفة قلوبنا، وسامي معانينا، لعليّ مراقينا.

اللهم وقد وعدت بتجديده، فجدده بنا لنا في بنينا، بعث آبائنا في معانينا.

اللهم اجعل منا ألواحا جديدة، وأقلاما عديدة، وساعات وليدة، وأياما مديدة.

اللهم أعلِ كلمة الحق في يومنا.. في عصرنا.. في جَمعنا.. في أُمتنا.. في أرضنا.. في دنيانا.. في حاضرنا.. في قائمنا، ولا تجعلها فتنة منك بإظهارها هزيلة، مهيضة، عليلة، وهي المتحكمة، فاتنة أو معلمة، أمام باطل تعليه، وتعزه بمخدوعيه باسم متابعيه.

اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا، واجعل اللهم خير أيامنا يوم لقائك بكشف الغطاء عنا، وخير أعمالنا خواتيمها في مرضاة رسولك وحقك علينا.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة المائدة – ١٧

٢ سورة آل عمران - ٩٧

٣ سورة الرعد - ٤٢

٤ سورة العلق- ٦، ٧

٥ سورة العلق - ٨

٦ سورة فصلت - ٥١

٧ هذه الكلمة تمت إضافتها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٨ سورة الكافرون - ١-٢

٩ هذه الكلمة تم تصويبها من "لأعلى" إلا "لا على" وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع. هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

(١٦)

نجتمع فنتوحد، ونفترق فنتعدد، ونصطرع فنتجدد
نتواجد فنوجَد فنوجِد
بالحق الأبدي الخالق للحق الأزلي المتجلي في الحق الموجود السرمد
نقوم اسم الله الرحمن الرحيم

حديث الجمعة

١١ رمضان ١٣٨٦ هـ - ٢٣ ديسمبر ١٩٦٦ م

بسم إنسان الله.. باسم إنسان هدي الله.. باسم إنسان الإيمان بالله.. باسم إنسانية الرشاد في الله.

بسم الله.. بسم الرحمن.. بسم الرحيم.. باسم الله الرحمن الرحيم.

باسم إنسان وجوده.. باسم إنسان شهوده.. باسم إنسان رحمته وجوده.. باسم الأب.. باسم الآب.. باسم الروح القدس.. باسم الله الرحمن الرحيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.. بها نستعين.. وبها نهتدي، وبها نعوذ، وبها نعمل، وبها نقوم، وبها نقيم، وبها نَشهَد، وبها نُشهَد.

بها ندخل حصن لا إله إلا الله.. بها ندخل حصن الله.. بها ندخل بيوت الله.. بها ندخل في قلوبنا.. بها نقبع في نفوسنا.. بها نتواجَد، وبها نوجَد، وبها نوجِد، خلقا من بعد خلق. بها نجتمع فنتوحد، وعليها نفترق فنتعدد، وفيها نصطرع فنتجدد. بالأزلي الخالق، للأبدي المتجلي، للموجود السرمد، به نقوم، وله في أنفسنا نشهد، بلا إله إلا الله، شعار حياتنا، وشعار وجودنا، وشعار عملنا، وشعار أمرنا، وشعار رجائنا.

هي كل شعارنا وشعائرنا، وكل وجودنا وتواجداتنا، وكل أملنا لنا من مأمولنا بنا، وكل أمل فينا لآمل بنا، من القائم بنا، قائما علينا.

كان الرسول وأمته بها هو قائم وقيوم الوجود، ظاهرا بكل شاهد، مشهودا في كل مشهود، قائما بالشاهد والمشهود، للموجِد والوجود، في إنسان قيامه، لإنسان إعلامه، بإنسان دوامه، لمن لا إله غيره، ولا معبود سواه.

نقول إننا أمة التوحيد، وإننا لا نعرف لله التعديد، ولكنا نجهل التوحيد، ونزعمه في قائمنا بالتعديد، فما يكون التوحيد لعلمنا؟ وما يكون التوحيد لعملنا؟ وما يكون التوحيد لرجائنا؟ وما يكون التوحيد لقيامنا ويقيننا؟

إذا قلنا إننا أمة التوحيد، فإننا أمة كل شيء. وهل خرج من التوحيد شيء! إن شهادة لا إله إلا الله، ونحن نردد أنها الركن الأول لدين الفطرة، الركن الأول لدين الإسلام.. يجب أن يدور حولها فقه المسلم، وفقه الإسلام.

يجب أن نعرفها، لا لفظا يردده اللسان، خاليا عند العقول من البيان، وخاليا عند النفوس من الحس والعيان، وبعيدا عند القلوب من الوجود، ومستقلا عن العقول في الشهود.

لا... لا يليق بنا، إذا حرصنا على شرف الانتساب لدين الفطرة ولدين الإسلام، ولشعاره لا إله إلا الله، لا يليق بنا أن يكون هذا حالنا، وهذا ما أصبح فعلا مآلنا في حالنا.

فإذا أردنا أن نفيق من حالنا، ونرجع بنا إلى بدئنا، وأن نوقظ الضمير فينا، وأن نرجع إلى أصولنا، في لا إله إلا الله، وأن نتعظ بأصولِنا، خرجت من لا إله إلا الله، فنحِنّ إلى أصولنا، دخلت في لا إله إلا الله ولم تخرج منا فهذا لنا إذا أدركنا، أن لا إله إلا الله إنما هي الإنسان.. إذا أصبح إنسانا، إنما هي الإنسان.. إذا أصبح للإنسان عنوانا...

إذا عرفنا أن لا إله إلا الله قلب وقالب وما بينهما، أن لا إله إلا الله، قلوبنا، وأن لا إله إلا الله، نفوسنا، وقوالبنا، وأن لا إله إلا الله، هي العروة الوثقى بين قلوبنا، وهياكلنا لنفوسنا قائمة بنور الله لعقولنا، أن العروة الوثقى لنا فينا، إنما هي عقولنا، وعلينا أن نفتح آذاننا، لنفوسنا، وآذاننا لقلوبنا، لنداء عقولنا (العقل أصل ديني)[1].

يجب أن نتفتح منا العيون، ليقع النظر، على وجه الله، أينما نولي.. فينا ومن حولنا، وإذا كان وجه الله ظاهرا في كل شيء، وأينما نولي، فظاهره بالإنسان الإنسان في الإنسان أقوى تعبيرا، وأجلى مظهرا.

هو القائم على كل نفس، بما كسبت، ومن وراء كل نفس، محيطا. إنه جوهر كل شيء، وما قام شيء، إلا عَلما وإعلاما عمن هو كل شيء، عمن هو قلب الأشياء روحا، وقالب الأشياء ذاتا، وفوق الذوات والأرواح قدسا وإطلاقا.

فذات الوجود، ذات من ذواته، ووجود كل موجود، إنما يقوم بوجود ذاته، بالوجود.

كان الإنسان، فيه له، ذاتا، العابد والمعبود. وكان الإنسان، فيه له روحا، الموجِد والموجود.

فكان الإنسان، عليه عَلما، العابد والمعبود، الشاهد والمشهود، العالم والمعلوم، بشعاره لفطرته بلا إله إلا الله.

فما حالنا مع لا إله إلا الله تمتم بها الشفاه، ولا تعنو لها الجباه، سجودا لله، مشهودا، في قبلته، في أهل القلوب للقلوب، لأحياء القلوب تسجد القلوب له في محرابه بها بيوتا ونُصبا له. تعنو له الجباه بالسجود بلقاء في قلب الساجد، في بيت العابد أمام بيت المعبود، في قلب الإنسان، لقائم الإنسان، تغييرا لما في نفسه من قائم الظلام إلى قيام بالنور والسِلم والسلام.

{فلنولينك قبلة ترضاها}[٢]، وهل يرضى قبلة يمكن أن تحتجب عنه؟ هل يرضى قبلة قد يستحيل عليه دخولها؟ هل يرضى قبلة قد ينعدم عنده وجودها؟ {قبلة ترضاها}، لتَشهَد بها من تحب، وتجتمع فيها على من تهوى، لا تنفصل عنك، ولا تستحيل عليك، لتجتمع على من هو معك، على من يتحدث منك إليك، وهو عين من يُسمعك ليسمعك، لتجتمع على من يرى بعينيك ليشهدك. وهو عين الرائي فيك لقائم المرئي منك، على ما تَراك فيمن ترى، وفيما ترى.

إنك لا ترى، في مرآة، تستقبلها، إلا ما تراك، في مرآة خلقه، جعلهم المرايا للرائي يوم تتفتح عين بصيرته فيرى، ليرى ما في نفسه، وليشهد ما يشهد عليه، من ألد الخصام، أو ما يفتقد من معدوم الوداد والوئام.

الله، لمفرداتهم، هو.. هم بجمعهم، والله، لهم بجمعهم، هو فردهم وإنسانهم لآدمهم.. كلكم لآدم وآدم عبد لرب هو الإنسان له.

إن القلب الذي تألف القلوب فجمعها لربه والتأم عليها فواءمها لمعبوده، كان محمد، وحد الله، لوجوده، فتوحد الله، في مشهوده، فرأى الله في الناس، مرآة نفسه، لا يعرفها ولا يحيط بها ما عرفها غير ربه. رأى وجه المحيط به والمحيط منه لقائم وجهه له، في وجهه في الناس، هو من ورائهم جميعا بإحاطته مزوية له الأرض، وهو في ظهورهم جميعا لشهادته قامت معرفته بنفسه، بألوان قدرته، في جنان صنعه، ببديع زرعه، بجمال تجليه، في دانيه، قائما بعاليه.

رآه في جنة وجوده بنفسه، البشر على أرضهم لأول معارجهم في مزرعته، أشجار باسقة، وأشجار صغيرة متلاصقة ومتلاحقة، يحف بها زرع، مختلف ألوانه، ومختلفة ثماره، وإنها جنته من جنان، هي مزرعته من مزارع، هي بستانه من بساتين، هي فدكه[٣]، هي حائطه، هي ساحة مسورة له، تقوم بلا إله إلا الله وقد جعلت له مسجدا وطهورا من مساجد ودور.

يشهدها فرده، ويقومها بالفرد جمعه، حق وظلاله، إنسان والذين معه، آدم وبنوه، حق ومؤمنوه، وجود وما تواجد فيه، رب ومجاله، أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأحنى على ظلاله، من حنو الأب على بنيه، من حنو حواء على جنينها فيها، ترعاه، في رعاية نفسها، تخشى من المرض، لا عليها، ولكن على ما في بطنها، لا تأكل من الطعام إلا ما يصلحه، وتبتعد عما تشتهي، مما لا يصلح له.

حواء الناس من المؤمنين، وحواء الناس من المستضعفين، وحواء الناس من طالبي الوجود، للوجود عاشقين، وللتواجد عاملين، وعلى أنفسهم بالوجود ساهرين، ولوجيب[٤] قلوبهم بالذكر منصتين، ولهمس عقولهم بالوعي مستقبلين، في أمرهم متأملين، الله لهم، الله معهم، الله بهم، الله به هو هم، الله.. هم، فبسمه اللهم، تضرعوا لـ اللـ هم، فجأروا اللهم كنا لنا بك فيك. اللهم ارعنا، اللهم كن لنا في جمعنا، وفي فردنا. اللهم كن فردنا في جمعك بنا.

اللهم بنا كن لآبائنا، اللهم بنا كن لأبنائنا، اللهم بآبائنا وأبنائنا كن لنا، نشهدك لا إله إلا الله، ونتواجدك لا إله إلا الله، ونتابعك إليك محمدا رسول الله، لقيامنا ولأبوتنا ولأمومتنا، ولمظاهرتنا، ولريادتنا، لشهودنا وقيامنا.

فما عرفنا ولن نعرف من مطلق الله، إلا إنسان الله، وما ذكرنا من إنسان الله، إلا آدمه لنا وما عرفنا له في آدميته بنا، إلا آدم شهودنا لوجودنا، محمدا رسول الله، أول العابدين عندنا، وعلما على العابدين عند معبودنا، وأول العابدين في قيامنا، نتابعه لنكون عبادا له، فنكون عبادا لمن كان له عبدا، فنكون عبادا لله، الذي هو له عبد، أبدية العبد وأبدية الإنسان، لأزلية العبد وأزلية الإنسان، فيمن ننزهه ونترفع بتقديره عن الآزال وعن الآباد وعن الإحاطة به بآحاده بحقائقه بالإنسان.

فما كانت الآزال إلا لإنسانية الرشاد رشدت فيه، وما كانت الآباد إلا لإنسانية الحقائق تواجدت واستقامت فيه، تواجدت وأوجدت به، تجلت به وتجلى بها لآبادها، وهو يوم يجددها مخلّفة، يضيفها إلى من استخلفها أزلا فيه.

هذا هو الأحسن والأقوم من القول، والأحسن والأقوم من الوعي، والأحسن والأقوم من المعرفة، الذي كان به دين الإسلام دينا، وكان به دين الإسلام للفطرة قياما ويقينا، وبه كانت الفطرة إسلاما

وسلاما ودينا، قياما وعَلما، كتابا وكلاما، وكاتبا وبيانا، وصحفا وأقلاما، جمعا وفرقا، في أم الكتاب، في الله عديدها، وعندنا مديدها، وبنا وجودها، فرضي المطلق بذلك أن يكون الإسلام كافة للناس، عقيدة وفعلا، قياما وأملا.

فكان الكتاب هو الإنسان، وأم الكتاب هو الإنسان، والكتب هي الإنسان، وألواح الكتاب هي الإنسان، وأقلام الألواح هي الإنسان، كان الإنسان هو البيان والعنوان، للإنسان هو الحق والعيان.

كل هذا من لا إله إلا الله، كل هذا في لا إله إلا الله، كل هذا بلا إله إلا الله، يوم نشهد أنه لا إله إلا الله، ويوم نقوم بها فنشهدنا محمدا رسول الله، فنشهد للوجود أنه محمدا رسول الله.

منكرين على أنفسنا إلى نفسه، وعلى وجودنا إلى وجوده، وعلى إشهادنا إلى شهوده، نعمل به على إشهاده، ونعمل به في القلوب على إيجاده، محرومة منه، بحرمانها من الحياة، بحرمانها من النور، بحرمانها من الروح، بحرمانها من الله.

إن رسالة الروح في دورتها، وقد قامت في عصركم، على ما أنبأ كتابها، (يقوم الروح لرب العالمين)[٥]، يقوم الروح، إنسانا، يظاهره[٦] روح أعظم وإنسانا، ويستقبله الروح العظيم وإنسانا، وينتشر في البشرية، روحا وإنسانا، رحمة وإحسانا، تبليغا وبيانا، كتابا وعنوانا، حقا وإنسانا، خلقا يتحقق، وإنسانا يتواجد، ونورا ينتشر، وإلها يظهر، وربا يرعى ويذكر، ويتسمى فينشر وينتشر.

فماذا استقبلنا؟ وماذا قبلنا؟ وهل سمعنا؟ وهل لما سمعنا كسبنا؟ وهل بما كسبنا أَبّنا؟ وهل بما بان تواصينا فتحدثنا؟ وعلى الحق لأنفسنا حرصنا؟ ولله ذكرنا، فلا إله إلا الله قلنا وشهدنا؟ شهدنا وعملنا؟ عملنا وقمنا؟ ولها بقيامها نشرنا، يوم أننا لمعلومها بنا ذكرنا وذكَّرنا؟ فعرفنا وذكرنا، فكنا أمة لا إله إلا الله، لعَلَمها رسول الله، لحقها، اللهم؟

باللهم لنا، باللهم بنا، باللهم لوجودنا، باللهم لعملنا، باللهم لغايتنا، باللهم لإيماننا، باللهم لتوكلنا ووكيلنا نقوم ونعمل، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[٧]، لا يتخذ جمعكم لسانا لجمعه، إلا مؤمنا بالله لنفسه يلقاه في الناس لجمعه، ولا يمثل، فردكم، جمعا، لا يرى فيه معاني الإيمان بالله لنفسه.

ليس هناك شيء من هذا لا قياما ولا كلاما لحالكم، على ما أنتم فيه من فرقة وغفلة، ولكن هذا شعاركم، يوم يكون لكم عمل وصلاح، ومحاولة لإصلاح. اذكروا الله في أنفسكم دائما، لفردكم وجمعكم، اذكروا الله، لعبدكم وربكم، اذكروا الله، لمحكومكم وحاكمكم، اذكروا الله، لآمركم ومأموركم وأميركم، اذكروا الله، لأصولكم وفروعكم ولأنفسكم، اذكروا الله لكم يذكركم له ويثبت أقدامكم.

فما كنتم برسول الله لكم غير العروة الوثقى، بين قديم وسابق أصولكم، وبين قادم ولاحق فروعكم، وما كان محمد عروة وثقى، إلا جمعكم واجتماعكم، رحمة الله بكم ولكم مزوية له الأرض تمهيدا لانزوائها لكم شرَّفها به خالقها، يوم أشرقت بنوره ربا وسيدا لها، وعبدا للأعلى عليه وعليها.

بعث ربا وحقا لما يتفرع منها ويصدر عنها، شجرة طيبة، أصلها ثابت، وفرعها في السماء متصاعد، جذورها في الأرض تغوص وتمتد وفي أعماق الأرض تنتشر، لتحققها بنور الله من أعماقها، فيصدر نباتها بحقها من حقه لها، وتغرس ثمار أشجارها من وحدتها لجنتها عوْدا إليها. {وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء}[٨].

تتشكل سمواتها من نباتها، وثمارها سدرة منتهى بذاتها لذاتها، ويتجمع فروعها، رجوعا إليها، فيحيا مظلم جمعها، باستقبال مشرق فرعها، {فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه}[٩].. {ثم اجتباه ربه إليه وهدى}[١٠].

خرج عنها أبناؤها، تصاعدا في سمواتها، وهروبا من ظلام الأرذال عليها، طلبا للحرية في الحق، ينشدونه ويتواصونه، وفي أنفسهم يلاقونه ويعرفونه، فإذا بهم ولهم السماء تنشق بدورها، وتظهر لها فيها حقائقها، على ما كان أهلها في أرضهم لربهم قائم أرضها، فعرفت السماء ربها لها، منها بينها، {إذا السماء انشقت، وأذنت لربها وحقت}[١١]، فرجعت السماء لكلها وكليلها، بعبدها وربها، بنظراتها، إلى أرض مطلقها لمعلوم بدئها ونشأتها لموصوف خلق أمرها. فمدت الأرض من نظرات أبنائها، لموصوف آبائها، {وإذا الأرض مدت}[١٢]، فتخلصت من أرذالها، وتطهر مسجدها، من أهل كنودها، {ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر}[١٣].

فقام إمامها وانشق قمرها، عن هلال وليد لبدر جديد، فأذن مؤذنها، أَذن في الناس بالحج، ليأتوه رجالا وعلى كل ضامر من نفوس ضمرت، من تقوى ربها، وخشية إلهها، وآلام شوقها، وإرهاق حنينها، ضامرة تركض أو راجلة تسعى، على ظهور ضامرة أو راجلة من نفوسها بعقول فاقرة بعلمها وقلوب مدكرة بحقها، وضمائر حية مذكرة بتجاربها، تقصد بيت الله، تقصد قبلة الله، تقصد منبر الله، تقصد كتاب الله، تقصد نصب الله، تقصد اسم الله، تقصد وجه الله، تقصد فرد الناس لجماع الناس، تقصد آدمها، تقصد إنسانها وعنوانها، تشهد معه فيها إنسانه إنسانا لها عيانا وبيانا، جوهرا وإحسانا.

كل ذلك، في شهادة محمد رسول الله، قائم شهادته له، لا إله إلا الله، ومنبر رسالته به يا أيها الناس، الله أكبر، الله أكبر، إنما أنتم في لا إله إلا الله، وإنما أنتم في اسم الله، وإنما أنتم أسماء لله،

لاسم أعظم لله هو اسم ذاته بحضرته بأسماء صفاته، بما كسبت أنفسكم، بما كسبتم في قديمكم يكشف لكم، أو بما تعلمون لتكسبوا بعملكم في قادمكم، على ما شهدتم لإنسان الله في حاضركم حقا رسولا بينكم.

{هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك}[١٤]، هل ينظرون إلا أن يأتيهم بعض آيات ربك؟ سيأتيهم ربك، وما غاب عنهم ربك أبدا ولكن سيأتيهم ربك عيانا بيانا، يوم يقوم الروح لرب العالمين فما كان إلا محمودك في قديمك ومحمودك في قادمك.

ولكنهم ينكرونه، ولكنهم يجحدونه، ولكنهم لا يعرفونه، فما تواصوا من قبل بحق فيه، ولا بصبر له على ما عاملوك وعلى ما جهلوك أو تجاهلوك، فيبرز لهم بعض آياته، تبرز لهم آياته، يبرز لهم شيئا من آياته مما يجهلون أو يتجاهلون.

{ومن آياته خلق السماوات والأرض، وما بث فيهما من دابة، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير}[١٥]، وها هو يجمعهم، وها هو جامعهم، وها هو ترهص آياته، لإشهاد جمعهم وبيان أمرهم، وسفور مكنتهم، وغلبة قدرتهم، وبأس فعلهم، انتظروا إنا معكم منتظرون.

سيأتي يوم، فيه تعرفون، ما تنكرون، وفيه تجابهون، ما تجحدون، تعرفون يومئذ، لمن عقبى الدار، {يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له}[١٦].. {كأنهم إلى نصب يوفضون}[١٧]، يتبعون، ولا يعقلون، يتبعون ولا يكسبون، يومئذ لا بيع ولا خلال. إنه {يوم لا بيع فيه ولا خلال}[١٨]، فقد أبرز من قبل المثال، وتبودل بين القابلين الحال يومئذ {لا ينفع نفس إيمانها، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا}[١٩].

إن آيات الله، في عصرنا هذا، تشير إلى أننا نخرج من ليل القبور وأننا دخلنا في فجر الظهور. إنه الفجر لليالي القدر، إنه البعث لأصحاب النور بالأمس. إنه القيام لأهل القبور بالسلام.. إنه الحشر لأهل الذكر بالقول والفعل. إنه الحياة لأهل الحرص على الأمر والنجاة، إنه اليوم لمن كسبوا بعملهم من قبل، لنفوسهم من بعد، في قيام للوعد.

إن على أرضكم من الناس، من تختلف أعمارهم في الحياة، اختلافا، لا تدركه عقولكم، بحالها من تقييدها في أبدانكم. إن على أرضكم من بدأ الحياة، من آلاف السنين، وإن على أرضكم من بدأ الحياة، من وقت قصير، وإن على أرضكم من بدأ الحياة، في قائم هذه الكرة في يومه على أرضكم اليوم وبهذه المرة. وإن من بينكم من لم يبدأ الحياة بعد، لتأخذ طريقها إليه، فيعرف طريقه إليها، بأمانة الحياة عنده، فهو يفرط فيها، ولا يمسك بها، ولا يحرص عليها، مشغولا بجسده وعبادته.

إن القيامة يوم تقوم، حتى على مفهومكم المتثاقل أو الموروث لعموم هؤلاء الخلق، فما زال قانون الله الفاعل، {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها}[٢٠] قانونا قائما فاعلا. فإذا قام أمر الله في سفور فمنكم من ينظر ومنكم من ينتظر ومنكم من يعذر ومنكم من يعتذر ومنكم من يؤجر، ومنكم من يصبر، ومنكم من يغفل، ومنكم من يصطفى ليعمل.

إن قيامة الحق في الخلق بالخلق بتغيير ما في النفس لمن يقومها قياما بها، ويقيمها قائما فيها، فهي إنما تقوم على المؤمن بها لا على الجاحد لدوام قيام لها، بدوام قيام بها، ممن سبق أن قام في أمانة الحياة، ثم انقلب على عقبيه في كرة خاسرة فردّته السماء، بعد أن أقامت عليه حجة البقاء، خاسرا للبقاء وإن كنتم من قبله لمبلسون.

فهذا هو الذي يصبغ قديمه بالفناء وقائمه بالمسخ، لأنه كان غير متصف بخلق الحياة لطلب البقاء، فهو لم يستج من الله وهو معه، لم يستج من الله، نَطق منه، ونظر به، وسمع في سمعه، فبعثه أعمى، وحشره أصم، وأقامه هزيلا، ضعيفا، ومع إقامته كذلك بذلك، ما زال يجادل عن نفسه، {رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا}[٢١]، لو شاء الله لهدانا فلله الحجة البالغة، وللإنسان الجدل العقيم، {أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى}[٢٢].

ليس العمى، عمى المحاجر، ولكن العمى يلحق القلوب، فالعُمي إنما هم عُمي القلوب، والصم إنما هم صم القلوب، والغلف إنما هم غلف القلوب، والحمقى إنما هم حمقى القلوب، ظاهرهم قام بباطنهم، فمسخهم الله على مكانتهم، وما مسحهم على حقيقتهم، فما طلبوها وما عرفوها، وما أدركوها، وما قبلوها، وما قاموها وما ارتضوها.

{أتاها أمرنا}[٢٣]، وقد {أخذت الأرض زخرفها وازينت}[٢٤].. {وظن أهلها، أنهم قادرون عليها}[٢٥]، يومئذ نمسخهم على مكانتهم، {فإذا هم مبلسون}[٢٦]، فلا آدما صاروا، ولا أبناء لآدم يكونون، ولكنهم للشيطان نسبوا، فله قد انتسبوا، وللشيطان بُعثوا أبالسة، وصورا من أصلهم منه مبلسا، لقائم وجودهم منهم متخلصا من مبلس نفسه إليهم بهم، فلا يلبث أن يتبرأ منهم توبة عما فعل واستغفارا عما أتى على ما وعد.

إني بريء مما تشركون، إني بريء منكم، ما كان لي عليكم من سلطان، إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، إني أخاف الله رب العالمين.. وعدتكم فأخلفتكم، والله وعدكم وعد الحق فأخلفتموه، فأنتم الملومون، وعن عملكم المسئولون.

هذا أمر يقوم في الحياة، وهو أمر قائم في دائم الحياة، بدوام قيام له، ولكنه يقوم في نطاق الفرد، فلا يعرفه إلا الفرد، ويقوم في نطاق الأسرة، فلا تعرفه إلا الأسرة، ويقوم في نطاق الجماعة، فلا يعرفه إلا الجماعة.

وهو يوم يقوم على نطاق البشرية، والأرض في يد الله مزوية، والسماوات بيمينه مطوية، إنما هو يوم يبرز فيه هذا الأمر، لعلم الناس، بجمع، لبيت وبيت لفرد، بمسيح آدم، رسولا لله، برسول الله، في رسول الله من رسول الله، كافة للناس.

فيقدم، عِلما، وفهما، وبيانا، وبلاغا، وكتابا، وأمرا، تدركه عقول الناس، وتقومه نفوس الناس، إنسانا، وابن إنسان، إنسانا، وأب إنسان، إنسانا، أحدا، لواحده، من إنسانية قامت بإنسان.

هو قائم المتناجين في الله، يعرفه الإنسان، ويقومه الإنسان، ويقيمه الإنسان في الإنسان، أمرا أزلا وأبدا وقياما، لأقانيم الوجدان، لحقائق القيام للعيان، إنسانا وابن إنسان لإنسان وابن إنسان.

إنه علم للساعة، يعلمكم عن الساعة، يقيم لكم الساعة في أنفسكم، لشهودكم، {يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها، والذين آمنوا مشفقون منها، ويعلمون أنها الحق}[٢٧]، قائما على كل نفس بما كسبت.

تعرفه النفس لها يوم هي لأمرها عرفت، ولها به انكشفت، فعرفت نفس ما قدمت وأخرت، فللمذكور ذكرت، بالذاكر عرفت، ذكرا محدثا قامت، لذكر قديم شهدت، في القيام نظرت، وعليه اجتمعت، وله تابعت وبه التحقت وإليه انتسبت. إنسان والذين معه. إنه لعلم للساعة. رسول الله والذين معه بهم أشرقت أرض القلوب بنور ربها أمة رسول رحمته، فما عرفه أهل الأرض ولكن الأرض عرفته.

هذا الذي تعرف الأرض وطأته.. والبيت يعرفه والحل والحـرم

ليس قولك من هذا بضـائره.. العرب تعرف من أنكرت والعجم.[٢٨]

إن الأرض تعرف وطأة عباد الرحمن عليها بالحنان، فتقابلها بالشكر والعرفان.

هؤلاء الذين إذا فارقوها، بكت عليهم الأرض، ورحبت بهم السماء، هؤلاء الذين إذا فارقوا سماوتهم إلى الأرض، بكت عليهم السماوات، ورحبت وفرحت بهم الأرض، تعرف الأرض وطأتهم، وتشكر رحمتهم {ولا تمشِ في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا}[٢٩].

وقد ضجت الأرض إلى ربها، ممن تحمل، من الجاحدين للحق بها، بجحودهم للحق في أنفسهم، وهم منها، وهم أبناؤها وهي وقد عرفت الله لها، كانت تطمع أن يعرفه لهم أبناؤها، ولكنهم مشوا عليها،

متكبرين، غافلين، غير يقظين، {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة}[٣٠]، ولكنه يؤخرهم إلى حين لطيف في قضائه، لطيف في جزائه، غافر لأهل ولائه، محقق لأهل رجائه.

ففي يوم قضائه وقد ضاقت بهم ذرعا، وقد أنكرتهم لها فرعا، وسألته فيهم، قضاء بها في أمرهم فأوحى لها، أن تزلزل زلزالها، وأن تخرج أثقالها، وأن تبرز أمرها، وأن تصلح حالها، وأن تتخلص مما كرهت، وأن تسعد بمن أبقت. يومئذ، ينتهي أمر الاختبار، وينتشر في بقيتها الادكار {ولا يخاف عقباها}[٣١]، فتصبح قبلة لسمواتها ومزارا، تصبح جنة، ولله دارا وسدرة منتهى لعوالمها من الأبرار، وبداية حق بوجود لمراقي الأحرار، بقائمها لمعلومها، وبمعلومها لعين قائمها، تصبح عالما روحيا، على أنقاض عالمها المادي.

هكذا، قال الكتاب.. وهكذا بيّن لنا من رُفع عنه الحجاب، وهكذا حذرنا من أنذرنا بالحساب، ومن وعدنا بالجزاء، وأوعدنا بالعقاب، فلا إله إلا الله نشهد، ومحمدا رسول الله نقوم.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين

اللهم يا من كنت لنا، في آبائنا، أزلا في الأصول، اللهم يا من أنت لنا في أبنائنا، أبدا للوصول، اللهم يا من هو لنا، قيوم قائمنا، سرمدا للمثول، اللهم اكشف حجاب الغفلة عنا، وفي أنفسنا فآمنا، وأنزل سلامك على أرضنا، وسكينتك على قلوبنا، ونورك لعقولنا، وجذوة الحياة لنفوسنا، وأطوار الوجود لمتربتنا.

اللهم فاجعل منا، عبادا لك، بأوادمهم، وأبناء أوادمهم، حتى نقرأ في كتابنا، شرعتك، في ألواحنا علمك، وهديك، وحتى نشهد في أنفسنا رحمتك، وحتى نؤمن بوجودنا لوجودك فنلاقي فينا طلعتك، ونشهدك بإحاطتك فيما حولنا، وبمن حولنا، فنشهد أنه لا إله إلا أنت، بلا إله إلا أنّا، في لا إله إلا هو، فنؤمن بأحديتك، ونقوم في وحدانيتك، ونطمئن إلى وحدانيتنا لك، ونرجو وحدانيتك لنا.

لا إله غيرك ولا معبود سواك.

اللهم كن لنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، يقظين وغافلين، عاملين وساهين، برحمتك، بمن جعلته رحمة منك للعالمين يا أرحم الراحمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ عن علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن سنته فقال: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة. ذكره الغزالي في الإحياء، والقاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ومعظم المتصوفة.

٢ سورة البقرة - ١٤٤

٣ الفدك هو الأرض الخصبة والمثمرة.

٤ الوجيب: صوت خفقان القلب باضطراب ورجفة

٥ استلهاما من {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} سورة المطففين - ٦

٦ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٧ سورة آل عمران - ٦٤

٨ سورة الزمر - ٧٤

٩ سورة البقرة - ٣٧

١٠ سورة طه - ١٢٢

١١ سورة الانشقاق - ١-٢

١٢ سورة الإنشقاق - ٣

١٣ سورة القمر - ١١

١٤ سورة الأنعام - ١٥٨

١٥ سورة الشورى - ٢٩

١٦ سورة طه - ١٠٨

١٧ سورة المعارج - ٤٣

١٨ سورة إبراهيم - ٣١

١٩ سورة الأنعام - ١٥٨

٢٠ سورة البقرة - ٢٨٦

٢١ سورة طه - ١٢٥

٢٢ سورة طه -١٢٦

٢٣ سورة يونس - ٢٤

٢٤ سورة يونس - ٢٤

٢٥ سورة يونس - ٢٤

٢٦ سورة الأنعام - ٤٤

٢٧ سورة الشورى - ١٨

٢٨ من قصيدة طويلة للشاعر الأموي هَمَّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق. شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة:هَذا الَّذي تَعرِفُ البَطحاءُ وَطأَتَهُ - وَالبَيتُ يَعرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ. هَذا اِبنُ خَيرِ عِبادِ اللَهِ كُلِّهِمُ - هَذا التَقِيُّ النَقِيُّ الطاهِرُ العَلَمُ. هَذا اِبنُ فاطِمَةَ إِن كُنتَ جاهِلَهُ - بِجَدِّهِ أَنبِياءُ اللَهِ قَد خُتِموا. وَلَيسَ قَولُكَ مَن هَذا بِضائِرِهِ - العُربُ تَعرِفُ مَن أَنكَرتَ وَالعَجَمُ. كِلتا يَدَيهِ غِياثٌ عَمَّ نَفعُهُما - يُستَوكَفانِ وَلا يَعروهُما عَدَمُ. سَهلُ الخَلیقَةِ لا تُخشى بَوادِرُهُ -يَزينُهُ اِثنانِ حُسنُ الخَلقِ وَالشيَمُ. حَمّالُ أَثقالِ أَقوامٍ إِذا اِفتُدِحوا - حُلوُ الشَمائِلِ تَحلو عِندَهُ نَعَمُ. ما قالَ لا قَطُّ إِلّا في تَشَهُّدِهِ - لَولا التَشَهُّدُ كانَت لاءَهُ نَعَمُ. عَمَّ البَرِيَّةَ بِالإِحسانِ فَانقَشَعَت - عَنها الغَياهِبُ وَالإِملاقُ وَالعَدَمُ. إِذا رَأَتهُ قُرَيشٌ قالَ قائِلُها - إِلى مَكارِمِ هَذا يَنتَهي الكَرَمُ. يُغضي حَياءً وَيُغضى مِن مَهابَتِهِ -فَما يُكَلَّمُ إِلّا حينَ يَبتَسِمُ. بِكَفِّهِ خَيزُرانٌ ريحُهُ عَبِقٌ - مِن كَفِّ أَروَعَ في عِرنينِهِ شَمَمُ. يَكادُ يُمسِكُهُ عِرفانُ راحَتِهِ - رُكنُ الحَطيمِ إِذا ما جاءَ يَستَلِمُ. اللَهُ شَرَّفَهُ قِدماً وَعَظَّمَهُ -جَرى بِذاكَ لَهُ في لَوحِهِ القَلَمُ.

٢٩ سورة الإسراء - ٣٧

٣٠ سورة النحل -٦١

٣١ سورة الشمس - ١٥

(١٧)

الحق الواحد الأحد
بالعبد وربه
في الله ذي المعارج

حديث الجمعة

٢٥ رمضان ١٣٨٦ هـ - ٦ يناير ١٩٦٧ م

بسم الله نقوم، وبرب الناس نعوذ، فالحق لله بنا نشهد، وعلى الرسول فينا نجتمع، ومعه نتحد، وإليه ندعو، وأعلاما له نقوم، وأعلاما عنه نبين، وبالحكمة نتحدث، فمع معروفنا به نتواجد، ومع طالبيه حقا نتوحد، وله في مطلقه لمطلقه نوحد، لا نجد له غيرا فنجحد.

به على أنفسنا ننتصر، وبرحمته ندَّكر، وإلى أحضان حنانه نأوي ونُآوي ونتآوى[١]. نشهده لمطلقه لا شريك له، ونعلمه بمطلقنا لا غير فيه، أينما نولي فوجهه، وكيفما نقوم فأمره.

إن إلينا في أنفسنا اتجهنا ففي القلوب نلاقيه. وإن نظرنا في الكون من حولنا، فجمال وجهه نرتئيه.. هو لنا، نحن فيه، ونحن له، لا شريك له منا، ولا سلطان لغيره علينا. هو كل كلنا وجوها له، ولسنا كل كله قياما به، ولكن حقائقه وعبادا له، وبنا له لا غير له.

بالأرض تقلنا بيده، وبالسماء تظلنا يمينه، وفي القلوب يتواجدنا أمينه، لا نعرف في الوجود غيره، ولا نرى في وجودنا ما يغايره، لا إله غيره بوجوده، هو العابد والمعبود، هو الرب والمربوب، هو الظاهر والباطن، هو الناظر والمنظور هو الموجد والموجود، هو الخالق والمخلوق.

عَلَّمنا مُعلمنا، على ما عَلِم، فعلمناه من نَعلَم، ولاقيناه من نطلب، وتوحدنا معه من نوحد. كان لنا ما كان لعاليه له، يوم كنا له فيه، فكاننا، وكناه، وكنا به إخوانًا، وكاننا بحقه إخوانُنا، فلا تآخي بيننا، ولكنها الوحدانية لنا، في الوحدانية له، بالوحدانية مع من توحد به، من كان له الحق منه للحق عليه.

به شهدنا لا إله إلا الله فأعلناها، فقامها من رضي بنا، أن يكون معنا، لا إله إلا الله، فعرفَ رسولَ الله، وإمام الوجود قائمَها.

وإننا ما كنا لا إله إلا الله، إلا به قائم لا إله إلا الله. وما عرفنا الله، إلا يوم أشهد وأعلن، يا لا إله إلا الله، يا أمة لا إله إلا الله، يا قائمَ لا إله إلا الله، يا فطرة لا إله إلا الله، يا صبغة لا إله إلا الله، لن تكونوا عبادا لله، ما لم تشهدوا الله أكبر، ارفعوا شعار الله أكبر، يستقم شعاركم لا إله إلا الله.

فبلا إله إلا الله، تكونون عبادا لله أكبر. فبلا إله إلا الله والله أكبر، تقومون في الله ذي المعارج، تعرج إليه الملائكة لأنوار عقولكم، والروح لسر وجودكم، في أطوار الحياة لحي معانيكم، بعيدة عن أوزاركم بمبانيكم، متحررين من أحمالكم بواسعكم، إلى واسع وجوده، لتستقبلوا عطاءكم من جوده، لا يجذ ولا يتعطل.

أنتم عقولكم، ولستم أنفسكم بأبدانكم.. أنتم روحكم، ولستم هياكلكم بترابكم.. أنتم لابسو الجلباب ولستم الجلباب، جلابيبكم بكوثرها لكم أمتُه وعبده، وحقُكم لمعانيكم بكم وجهُه وحقه. أنتم بجماعكم وجودُه وأمره.. أنتم سره وجهره.. أنتم الممتطِي وظهره.

أنتم الحيوان وراعيه، أنتم البستان ومالكيه، أنتم الجنة وساكنُوها، أنتم النار ومُشعلوها. أنتم الشمس وما تُشرق عليه، أنتم الكواكب ومن يقومُ عليها، أنتم السماوات وما يعرج بها، أنتم الآيات، وما يكمن من الحكمة فيها، أنتم كتّابُ الوجود وصحفه.. أنتم أقلام الحكيم وألواحه.. أنتم عين الحكيم وما أحكم.. أنتم عين الموجود وما أوجد.

كل هذا تأتيكم به لا إله إلا الله، والله أكبر، يوم تعرفونها لرسول الله، فيجعلها لكم برحمة الله به، حقا ورسولا بالحق إليكم.

جعله إلهُ الوجود، إله الشهود، إله السر، إله الجهر، إله قلوبكم، إله عقولكم، إله قوالبكم.. جعله رحمة لكم، جعله رحمة للعالمين، جعله رحمة للصغير والكبير، جعله رحمة لكل تقييد وإماما لكل انطلاق.

يحرره من قيده، ويُطلقه في معارج سعده، يوم يتواجده لنفسه في معراجه، شعارَ الإرادة والحرية، في شعار القدرة والوحدانية، شعارَ الإطلاق، جواز السفر والانطلاق، بطاقة التموين والعطاء وحسن الجزاء، سبيل الوصول، طريقَ كل رسول.

هو الرسول لكل مرسَل، وهو الدليل لكل دال، وهو المحرر لكل سجين، وهو الضامن والضمين، لكل مسيء، ولكل عليل، هو لكل مُذنِب، ولكل مخطئ بالعفو والمغفرة كفيل. رحمةً للعالمين حقا.

هو الشهيد على الشهداء، هو للمؤمنين عليهم ولهم وبهم شهيد.. هو الحكيم للآباء والأب للحكماء، وهو جديدهم بالوليد، هو الإنسان لكل إنسان، والآدم لكل آدم، عبدا للأزل وربا للأبد، لا يحيا من لا يحياه، ولا يحكم من لا يقوم في حكمته، ولا يشهد ربه من لم يشهده لنفسه. به يُشاهد فنفسَه لله يَشْهَد، يوم يكون يتيما يأويه، فيعرفه يتيما، ويعرف من يأويه. إلى الله عبدا ينتسب، وهو في الله حقا وربا، عنه الله لا يحتجب، وهو للمؤمنين عنهم اللهَ لا يحُجب، ولكن الناس بتربيب أنفسهم على معانيهم بجانبته، عن ربهم نفوسهم تُحجب، وعن ربها لها معها تنحجب.

هو اللطيف، لمن طلب اللطيف، وهو الذات الكثيف، من الروح اللطيف، لمن طلب ذاتَه بعد انطلاق، ولمن تحرر من كثافته في ثوب الخدعة والنفاق، ثم رجع لوجوده برسالته، آبا وروحًا تجسد، وبشرا تمثَّل.

أنتم بالذات والروح، أنتم أشباح لأرواح، أنتم في ليل ينتظر إصباح، أنتم في منام ينتظركم[٢] صحو وقيام، فلا تضيعوا أنفسكم يوم الزحام، يوم ينكشف الأمر في عالمكم لسائر الأنام، يوم يُسفر صاحب الدار، فيعرف الجاحدون لمن عقبى الدار.

إنه الجواز للسير والمثول، إنه نور القلوب والعقول، إنه النور المجرد باسم الرسول، إنه اسم الله المفرد باسمه لقائم الحق المنفرد، بالحق سماه فسَمَا وتسامَى، سماء لا تُنال، ومآلا ليس له في الوجود مثال، إلا بما أوجد لنفسه، وجدّد في أمره، بيتًا وآل، كتبا لقائم الآباء، وأناجيل للأنجال من الأبناء، هي له الطابع والخاتم والمثيل، بعترة من أبناء، بَعْثَ الآباء، ودوامَ الرحمة، ويدَ العطاء، وجنة الجزاء.

يدان مبسوطتان، بالعطاء والجزاء، بالرضاء والابتلاء، بالحرمان والوفاء، يدا الله، كلتا يديه يمين، يدا إنسان الله، لا شريك له، ولا شريك لله به، ظاهرا لباطن، وباطنا لظاهر.

هل آمن الناس برسول الله قياما في الله، لله في أنفسهم؟ هل عرف الناسُ رسولَ الله لهم، في كل وقت وحين؟ هل رضي الناس رحمة الله؟ هل مدَّ الناس أيديهم ليد الله؟ كم امتدت إليهم من السماء، وكم امتدت بهم لهم من أنفسهم، فامتدت إلى قلوبهم نورا، جعلته علما وحكمة، وامتدت إلى نفوسهم نارا مقدسة، جُعلت شعلة وقوة، برزت بها الفتوة، لأبناء الأبوة.

إنه رسول الله دائما وأبدا، إنه محمد، محمد دائما وأبدا، محمد قديما وأزلا. إنه رسول الله. ما كان محمدٌ إلا رسولَ الله، وما كان رسول الله إلا محمدا. ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله وطابع كل نبي، هم له ظلال ودثر بحال. كان اسما لكل نبي قام برسالة من قبله أو من بعده باسمه رسول الله، وكان قلبَ كل نبي قام محمدًا، من قبله به بَشَّر، وعنه أنبأ النبأ العظيم، ومن بعده عنه عرف.

وإليه تعرف، مالك يوم الدين، له عقبى الدار، الرحمة لمن كان منه في الجوار. والنقمة، والفتنة، والعدم، والهلاك لمن لم يطعم من مائدة المسكين، ولمن كذَّب أو دع هذا اليتيم، أحدا بكوثره، أمرٌ يتكشف في يوم الدين لمخبره.

وما يوم الدين إلا يومَ يأتي الناس رسولا من أنفسهم باليقين، أمرا سافرا لكل عين، يوم تتفجر عيون الأرض بماء الحياة من قلوب الموحدين أحواضا يعلم كل أناس مشربهم، وتشرق بهم مصابيح السماء بنور الله إرشادا، وتشاد صروح بيوت الله من لبنات النفوس متراصة رواسي الأرض، إقامة واستقامة ورشادا.

إنه الإنسان لكل إنسان، إنه الناس لكل الناس، إنه الآدم لكل آدم، إنه الآدم لجماع الأوادم، إنه الوجود لكل وجود، إنه التواجد لكل متواجد، إنه الواسع لكل متسع، إنه القريب لكل مقارب، إنه البعيد عن كل مباعد، إنه الحق من الله لكل مفتقر إلى الله، إنه الهدي والرسالة. إنه الحياة ونبعُ الحياة، وينابيع الحياة، وميازيب الحياة، وأرض الحياة، ونور الحياة، وسكينة الحياة، ونعمة الحياة. وهو لمجانبه لنفسه حسرة الحياة. فما تحسر على الحياة مفقودة إلا مُجانبه، وما فقدها إلا مغالبه، وما كسبها إلا صاحبه وطالبه.

إنكم في هذا العصر في يوم من أيام الله به، وإنكم في ساعة من ساعات الله لساعته، السماوات تُرهِص، ونُفوسكم تُرهَص، ومجتمعُكم يضطرب ويرهَص، والحق عنكم يحتجب، والنور من بينكم بأهله يغيب، لأمركم يضطرب.

أنتم في يوم لا بيع فيه ولا خلال.. أنتم في يوم من أيام أمره عنكم يحتجب ومن بينكم يرفع. أتى أمر الله فلا تستعجلوه، ولكن بالحق والصبر تواصوه، ولكنكم تعجلتموه، وفي السير في طريق الحق استبطأتموه، وأحواضه بينكم كلما ظهرت إليها ما سارعتم، وبآياته كلما أسفرت كفرتم، ولكلمات الله كلما اعتلت منبرا أنزلتم، وكلما نطقت حكمة حرفتم، وكلما كتبت لكم ألواحا محوتم، وأقلامها قصفتم، وألواحها مزقتم.

فإلى متى! وإلى متى! وإلامَ الأمر يكون! عادت السماء لسافر بظهور، وبأيدٍ من نور، تمتد إلى الأرض ولكن أهل الأرض ما زالوا في حالهم من الفجور.

إنها أيدي من السماء، إنها من أبرزت مصابيحَ الأرض بينكم من الأنبياء، إنها من أعلت أوتاد الأرض لكم من الحكماء، إنها من أنزلت السكينة على قلوبكم من العارفين والعلماء، إنها روح الله لكل آدم، إنها روح القدس لكل عليّ، بأقداسها لها في كل ولي.

إنها الحق وركب الحقائق، بأرواحها لها، لأرواحكم لكم، يوم تلبونها، ويوم تجُيبكم إذ تنادونها. تسارع إليكم يوم أنكم تسارعون إليها. جاءت لجمعكم، ولمفرداتكم، يوم تتلاقون على الله بذكره متواصين، للحق طالبين، وللنور لظلامكم مفتقرين، وللروح لماديكم متعطشين، وللحكمة لعقولكم ناشدين.

جاءتكم روح الله بالحكمة وجاءتكم باليقين، جاءتكم بالعلم وجاءتكم بالبيان المبين، جاءتكم بالمعرفة وبَعَثت بينكم العارفين، ممن تعلمون وممن لا تعلمون.

فما يكون بعد عندكم الدين؟ وما يكون يوم الدين؟ أفلا ترتضون الدين إلا من راجم به ظنين! إذا لم يُقبَل الدين من أهل اليقين، فممن يُعرف الدين! فأي دين تريدون، وأي دين تطلبون، وأنتم باسم الله، ألسنتكم تحركون، وباسمه تلوكون، ولا واقع له فيما تقومون، ولا فيما تشهدون!

{هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك. يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا}[٣].. {ما ننسخ من آية أو ننسها نأتي بخير منها أو مثلها}[٤].. {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}[٥].

إن الذي حدثكم من الأرض، رسولا من أنفسكم، ما كان إلا روحا تمثل بينكم لكم بشرا سويا، وظهر لكم بينكم، مثالا مرضيا، مقاربة الحق لعالمكم في بقعة الظلام، من إنسان وجوده، وعلم جوده.

إن دحية الأرض لإنسانها الكبير، محدث إنسان ربوبيته، مضغة قلبه المظلم الغير مخلقة بعد لرأسه بعقله المنير المشرق. فهلا أشرق هذا القلب بالحياة بنور ربه.. هلا أشرقت الأرض بنور ربها.

هلا أشرقت قلوبكم أرضا لنفوسكم بنور ربها، وما كان ربها فيكم إلا عقولكم لكم. وما كانت الأرض بدحيتها، إلا صنوبرةَ قلبٍ مظلم، لكبير إنسانها، هي لمثالكم، وأنتم لمثالها.

قام عليها منشقا عنها إنسانها وجها لمن وجَّهه منه رسولا له هو الأعلى لكبير إنسانها. فعكف على ما في قلبه، نظرا إلى ما في نفسه، وقد استجاب لأمر الأعلى لقائم ربه، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[٦] فَعَل، على ما في أزلٍ فعل، وعلى ما في أبد يفعل {رسول من أنفسكم}[٧].

فهل تابعتموه على ما فعل، ولم يفعل لكم ما فعل له، ولم يسوي الأعلى بينكم وبينه على ما عرفتم من مكانته وفضله، وعلى ما بقائم البشرية شرفتم شرف قيامه منها بها فيها؟!

ظهر بشرا وكان عن الأعلى خبرا، وقام بينكم له ذكرا، وتواجد في قلوبكم إشراقا وفجرا. هل قَبله المظلمون في لياليهم، ولم يشرق فجره على قلوبهم لبعث معانيهم؟ هل مروا في التجربة؟ هل قبلوا التذكرة؟

خيركم من شاء فبالقلب ذكره، فكان به علمه وخبره. وليس ذلك الذي ذكره بلسانه، وأخرسه بجنانه.. فهل ذكره من لم ينطق قلبه باسمه؟ ومن لم يخشع قلبه لذكره؟ ومن لم يضطرب قلبه بحبه؟ ومن لم يختلج عقله بأمره، ويحار وعيه في شأنه؟ هل اهتدى من لم يهده بالله قلبه، ومن لم يشرق بنور الله عقله؟ {من يهد الله، فهو المهتدِ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا}[٨].

من يهدى اسم الله فهو المهتدي، من يهدى ذكر الله فهو المهتدي، من يهدى حق الله، فهو المهتدي، من يهدى رسول الله فهو المهتدي، ومن لم يهدى هادي الله، فما له من هاد.

{والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}[٩].. {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة}[١٠]، لا على حصيرة أو من تغبيرة[١١]، أدعو إلى الله بقلب سليم.. أدعو إلى الله بقلب مشرق.. أدعو إلى الله بقلب منير.. أدعو إلى الله على بصيرة، أنا ومن اتبعني. نعم {إن شانئك هو الأبتر}[١٢]، فقد {أعطيناك الكوثر}[١٣]. تقوم ونتقلب في الساجدين، ظلال موجودك حقا لنا.

إنكم في هذا العصر، وفي قائم هذا الأمر، من رسالة الروح، رسولا إليكم، يقوم الروح برسالته إجلالا وجلالا لرب العالمين، مالك يوم الدين، فيعرفكم من كان رسول الله بينكم بخلقه لخلقكم وبحقه لحقكم، ويعرفكم من يكون رسول الله لكم ومن يكون رسول الله عليكم، ويكشف لكم عمن بقي ويبقى منكم في جلال قيامه بحقه وخلقه، بروحه ونوره لقائم الله بكم، رسولا من أنفسكم، لدائمه في حقي أمره، ويكشف لكم عن وجه ربه وربكم، وقائم وقيوم أمره لكم وعليكم، {فلله الحجة البالغة}[١٤].

إن رسول الله وهو بينكم، وكلما قام من قبله ومن بعده، رحمة مهداة لكم، عرَّفكم عن ربه وربكم، وإلهه وإلهكم، وعن خلقه وخلقكم، وعن حقه وحقكم. عرفكم عن الله، وقامت رسالته للتعريف عن الله. ولكن رسالة الروح وهو الحق من الله تقوم الآن، لا لتعرفكم عما عرَّف عنه رسول الله، ولكن لتعرفكم عما كانه رسول الله، من قائم الله، وعلى ما أنتم من حق الله على ما عَّرفكم هو عن قائم الله، وعلى ما بشركم به له ولكم، به وبكم.

هل قام رسول الله بينكم بغير الله؟ وهل كان رسول الله إليكم، غير اسم الله، قام لشهودكم ذكرا محدثا، لقائمه به ذكرا قديما، قياما وبعثا لقيومه، لقديم قديمه وجديد جديده، ذكرا لا ينال ولا ينقطع منه المثال؟

كان ظاهرُه له مثال المثال، ها هو الروح يقوم لرب العالمين، فيكشف عن الذكر والمذكور، لقائم الذكر، ويجدد بينكم ما قام به رسول الله، من القيام والتعريف عن القائم للقيوم في موجود الله.

إن الله، عند الروح، على ما هو عند الرسول، على ما هو عند آدم على ما علم في حال اصطفائه واجتبائه، وعلى ما هو عند كلمات الله إليه، ومن أبنائه، يوم يحققون لأنفسهم شرف البنوة له، حاملين إليه جديد معرفتهم، بعد انطلاقهم بالمولد منه في داره من السماوات والأرض لهم، خروجا من الكنود، وقياما في السجود لإنسان وجوده بوجودهم، إن الله عندهم جميعا هو قلب كل شيء، والظاهر بكل شيء، والباطن في كل شيء.

ظهر بالأشياء، وتكنز فيها، فاختفى عليها عنها، به معها، فما عرفته، فلما انعكست الأشياء إلى نفسها، ظهرته، فعرفته، وفيها لقيته، وبه فيها بالقلوب تآلفته، واجتمعته، وعرفته.

فهلا أحييتم أشياءكم بإحياء قلوبكم.. وهلا اتجهتم إلى مصدر الحياة بالاتجاه إلى أعماقكم.. وهلا سكنتم إلى الله، في معيتكم في بيته بقلوبكم فاستغنيتم به معروفا ملاقىً عن كل ما سواه، {أليس الله بكاف عبده}[١٥]. أما يكفي عبد الله أن يكون اسما لله، ربانيا يقول للشيء كن فيكون؟ لا إله إلا الله، لا قوة إلا بالله.

اللهم يا من بمحمد عربيا، شرَّفت العروبة، اللهم يا من بمحمد كتابا، شرفت أهل الكتاب، اللهم يا من بمحمد قرآنا أقرأتنا، فكشفنا ظلام الحجاب، اللهم يا من بمحمد، حجاب رحمة منك، فيه أدخلتنا، فبالرحمة وفي الرحمة شهدتنا فأحييتنا، وبها أشهدتنا فأبقيتنا.

اللهم يا من بمحمد عالما، علمتنا، اللهم يا من بمحمد عليك عَلَمًا، أعلمتنا، اللهم يا من بمحمد قلبا، أشرقت في قلوبنا، اللهم يا من بمحمد عقلا، أنرت عقولنا، اللهم يا من بمحمد حكيما، أحكمت أمرنا، ويسرت سبيلنا.

اللهم يا من بمحمد حقا، حققت قلوبنا، وطورت قوالبنا، وبعثت معاينا في قائم مبانينا، فأخذنا كتبنا بأيماننا وبأيدينا، وقدمناها إعلاما عنه لمعانينا، وشرفا منه لمبانينا، ونورا منه لمن يرتضينا، فكنا البيوت والمدينة، وكنا الجهاد والسكينة.

كنا الحياة لناشديها، وكنا النجاة لطالبيها، وكنا الطريق لسالكيها، وكنا النفس العذرية، لمن لنفسه يرتضيها، فيقوم بها مسيحا فيها.

كنا الكلمات وجماعها، كنا الآيات واجتماعها، كنا الرحمة وبحارها، كنا الحكمة وكتبها وأقلامها، كنا الأشياء وأحياءها، كنا الحياة وأشياءها، ألسنا لمحمد، ولمن ارتضاه، ولمن جعله معنى في معناه، ولمن حقا للهداة هداه؟

اللهم به فانشر حياة القلوب منا، وحياة القلوب لنا، وحياة القوالب به لعوالمنا، واجعل منه نور وجودنا ونور عالمنا، واجعلنا فيه، لا نخرج منه، ولا ننزلق في الطريق خلفه في أوحال التوحيد، لأُمِنا هاوية، بنفوسنا عاوية.

اللهم به منها فأمنا، ومن ظلمها فأعذنا، ومن فتنتها فاحفظنا، ومن الظالمين فخلصنا، ومن المضلين فأنقذنا، اللهم اجعلنا له في دنيانا وفي أخرانا، وفي مبنانا وفي معنانا، وفي كل ما أنانا.

اللهم به فأشهدنا لا إله إلا الله، وبك فأشهدنا محمدا رسول الله، اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، اللهم به فادفع عنا، اللهم به فخررنا وأقمنا، اللهم به فوفقنا واحفظنا.

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ تم تشكيل بعض الكلمات، وعلامات الترقيم، وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع.

٢ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٣ سورة الأنعام - ١٥٨

٤ سورة البقرة - ١٠٦

٥ سورة الإسراء - ٧٩

٦ سورة الذاريات - ٢١

٧ سورة التوبة - ١٢٨

٨ سورة الكهف - ١٧

٩ سورة العنكبوت - ٦٩

١٠ سورة يوسف - ١٠٨

١١ هذه الكلمة ليست واضحة تماما في كل النسخ.

١٢ سورة الكوثر- ٣

١٣ سورة الكوثر- ١

١٤ سورة الأنعام - ١٤٩

١٥ سورة الزمر - ٣٦

(١٨)

إنسان الله وآدم الناس
يتحدث من منبر التوحد مرة أخرى
حق يقوم من وراء حجاب التشتيت والتعديد

صلاة العيد

١ شوال ١٣٨٦ هـ - ١٢ يناير ١٩٦٧ م

يا أكرم من سُئل، وأسرع من لبى.

عيد غريبًا، فعاد قريبًا، وظهر مجيبًا، أبـًا سريعًا، ومجدًا رفيعا.

حصنا منيعًا، ومنعمًا بديعا، يجيب من ناداه، ويلبي من دعاه، مولى من مولاه لمن كان مولى في حِماه، مولى ومولى دعاه، ومولى ومولى بشره وأدناه.

فكان المولى لمن والاه، والولي لمن هواه. رعى من رعى عهده، وحفظ من حفظ وده.

عِيد في كل عيد، وعاد مع كل جديد، ظهر بكل والد، وقام بكل وليد، قلبا للوالد والولد، وحياة للعالم والبلد، حِلٌ بالبلد، وحل بوالد وما ولد جنة الشهادة وحقيقة الغيب والسيادة.

عاشه من دخل المدينة، فقام وتأقلم ذاته ووعيه ودينه، فدخل في السلام، وعوفي من المـَلام، دخل لا بالكلام، ولكن بالفعل والقيام، دخل الله أكبر، والله أكبر، والله أكبر، في ذي المعارج، للا إله إلا الله، اسمًا لله قائما وقيوما لرسول الله، لا شريك لله ورسوله من نفسه، في واحدية وأحدية الحق من الله.

نطق منه، من لا شريك له من قوله.. وقام به، من لا شريك له من فعله.. قام عليه، من لا شريك له من قيومه.. أراد به، فكان نافذ الإرادة.. فعل به، فكان قادر الفعل.. ظهر به، فكان مستقيم الخليقة.. فاض به، فكان صبغة الحقيقة.

لا إنسان، إلا بإنسانه.. ولا إيمان، إلا بشهوده ووجدانه.. ولا شقاء ولا تعاسة، إلا بإنكاره وفقدانه، إنسان الله، عبد الله، اسم الله، حق الله، وجه الله، نُصب الله، بيت الله.

لا ذكر إلا بذكره، ولا طاعة إلا لأمره، ولا معرفة إلا لنوره، ولا سكينة إلا في ليل جلبابه، ولا حياة، إلا تحت شمس حجابه، من قَدَّره حق قدره، عَرَفَ له في نفسه ربَه، ومن عُرِف له ربه، غفر ذنبه، ومن غفر ذنبه، بدأت هناءته، وطابت سعادته، وقامت قيامته، واجتاز ساعته، وركب سفينته.

فمخر بحار الحياة لا يُضِل ولا يضَل، ولا يُضَل، بعث بالأمل، وقام بالعمل.. أليس هو الإنسان؟ إنه ابن الإنسان، لأبيه الإنسان، إنه أب الإنسان، لولده الإنسان.

ألم يلتحق بركب الإنسان، في دورة الإنسان، في كتاب البيان، في بيان الإحسان، في إحسان الإيمان، في إيمان العرفان، في عرفان الوجدان، في وجدان الكيان، في كيان المعنى، ومعنى الكيان؟

كُشِف عنه غطاؤه، وأزلف إليه عطاؤه، وأُبعد عنه جزاؤه، وأُعفى من بلائه، وتحقق من صدق رجائه.. أليس هو عبد الله؟ أليس هو حق الله؟ أليس هو اسم الله؟ أليس هو إلى الأعلى نُسِب؟ أليس هو إلى المطلق انتسب؟ أليس هو لمقيد وموقوت وجوده جب؟ أليس هو للأعلى طَلب؟ أليس هو للمطلق عَبَد وأوجب؟

واجب وجودٍ لوجوده لم يجحد، فلِمَا تواجد به منه شَهِد، ولعظمة الله سَجد، وللأعلى على ما عَلَّمه عَبَد، فنفسه للأعلى عبَّد، ليكون بما للأعلى، في أعلى، عنه علم وفيه تواجد، وبه وُجِد وشهد، وعنه رسولا منه، بإذنه أَعلَم يوم عَلِم، فبه أوجد يوم هو به تواجد فوُجد.

ها نحن نخرج من شهر الأمة، برمضان، وندخل شهر الآل بشوال، فنحمد إلى الله ما آل إليه أمرُنا، وقد سقطت عنا أسوارنا، فقام به، من أمره، سِرُّنا وجَهرنا، بما لبسنا من جديد في حالنا، وقد عاد إلينا حبيبُنا، وانكشف لنا رفيقُنا، ووَصَلنا أعلانا ومولانا، ما تناسانا، وهو الذي لا ينسى، ولكن لجاحد له يتناسى.

نتواجد فيه، ونتواجد به، ونتجدد فيه مع كل جديد له، ونُولَد فيه من كل وليد وُلِد منه، أبناء محبته، وعباد حقيقته، وعوالم وجوده، جنانًا بكرمه وجوده، ونارًا في حميته، يصطليها أهل غفلته، وما اصطلوها إلا من رحمته، للخير نعمل، وبالخير دائما نعمل، ولغير الخير لا نعرف، ولا نعمل، هو الخير.

كمال إنسانه، للأكمل، وللمتكامل. كُمَّلٌ لكُمَّل، يتواصون بالكمال، ويلتفون حول المثال، يعرفون المثَّال، قام بينهم، وترك فيهم مخلفا عليهم حقائق الآل، لعين الحال، ولدائم الجمال، بيوتَ السلام، ومنابر

الكلام، عوالمَ البيان، وأحواضَ الإحسان، وشموس العرفان، عُرِف لمن عرف الخير فيه، ولكل من به اتصف، فله دينا وعلما وبيانا وصف فإليه انتسب ولنفسه أنصف.

ما عليه في كوثره أنكر، ولا من مثاله لحاضره يأس، وله في مرتقاه عنه تخلف فله لَحِق، ولكن لإمامه تابع والتحق. وكلما تحقق منه بحق، عَرَفَ له في الحقيقة أكبر، وكلما قام منه بظاهر، آمن له من ظاهره أظهر. ما عليه تكبر، ولا بكبره عليه كبر.

فما عليه في معاليه احتجب، وما عنه لمراقيه حجب، فقام في أمته، وعَمِل بسنته، فما استكبر على من دونه، ولا كبر ولا تكبر على من يتبعونه وما تخلف عمن يعلونه، فشهده محمدا رسول الله، وطلبه محمدا رسول الله، سيرًا إلى رسول الله، قياما بالله في الله إلى الله. إلى الله افتقر، وعرفه للرسول، يوم عرف الرسول في الأعلى فذكر.

فأقام الصلاة الوسطى، ما لها جهل، ولا عنها غفل، وأعمل الوسيلة، ما عليها استكبر، وبها ما انقطع عن التوسل.

عرف الإنسان في الله، فعرفه رسول الله، يوم عَرفَه نفسه، وعرف ما أمر به أن اذكر ربك في نفسك، يقوم ويتقلب في الساجدين. فبالإنسان من الإنسان وصف، وإنسانا للإنسان اتصف، عبدًا من عباد، وإنسانًا من إنسانية رشاد. طلّق العناد، وكسب الحب والوداد، وتحدث بالمعرفة والرشاد، ففارق الجاهلية، وخلع ثوب الجهل والعنجهية. ودخل في كتاب العلم والوجودية، وسكن مدينة العرفان وحضرة الربانية، وقام بين أعلامها علمًا للأزلية والأبدية.

فقام بين الأعلام علما على العلام، عليم غيوبه، وعالِـم شهادته، يقوم باسم الله، مُسلِما للأعلى، لقائم وقيوم ربه.

مؤمنا بواجب الوجود، مستمعًا له، في استماعه لنفسه، قارئا عنه، في قراءته لكتابه، يعرف كتابَه وجودَه، ويعرف شهوده موجودَه، موجودَ عبده، وجود الأعلى لقائمه، لقيوم ربه، يعرفه النبي، ويشهده في كل ولي، ويقومه الحق، بقائم العبد، لا يستكبر على الله ورسوله، ولا يستكبر على الناس.

هل خرجنا من رمضان، وقد صمنا عن شهوات أنفسنا به، لندخل شوال، شعار الآل، وقائِمَ الحال، وبشرى المآل؟

هل صدق وعده، عندنا؟ هل نصر عبده، في كياننا؟ هل هزم الأحزاب وحده، لمرذول صفاتنا؟ هل إليه أُلْنا؟ هل جوارحنا في طاعته جمعنا؟ هل بنظره نظرنا؟ هل بيده ليدنا فعلنا؟ هل بقدمه لسعينا سعينا؟ هل بأذنه لسمعنا سمعنا؟ هل معه بألسنتنا تكلمنا وبه كلمنا، فله أسمعنا، وبه سمعنا؟

هل مع الأعلى تفاعلنا، وقد أمر من الأعلى له ولنا {أبصر به وأسمع}[1]، فهل فعل فأبصرنا؟ أو نفذّ ما وعد فأسمعنا؟ فلا إله إلا الله قمنا! ولأنفسنا فيها شهدنا! فمع الأعلى لنا بنا تلاقينا، فنفوسنا له عبّدنا! يوم عبدنا وفي مناسكنا قمنا! فعبادا بعثنا، وحقًا تواجدنا!

فمن العدم خرجنا، وجلباب الحياة عُدنا، ففي العيد عيَّدنا؟ والتهاني بيننا لنا، بجلباب الحق تبادلنا وهنأنا؟ أم أننا في يومنا، على ما في أمسنا كنا، قطعنا الزمان وما قطعنا، وكرة خاسرة لسابقها كررنا!

فإن كنا كذلك، فهل هناك جديد يُرجى في غدنا؟ ما أشبه الليلة بالبارحة.. فلن يخرج الغد عن اليوم، ولن يخرج اليوم عن الأمس، ما دمنا لا نغير ما بأنفسنا، إلى نفحات الله في دهرنا، بعباد للرحمن بيننا. أيام نتواصل، وحياة نتصل، نعمل ونُبعث على مكانتنا.

فإن مع أمسنا تبادلنا يومنا، بما علمنا، بعثنا في غدنا بما جددنا وكنا. إننا أطوار الحياة، وإننا معارج الحياة، ومزالق الحياة، إن انزلقنا، فإلى الله ما كسبناه، وإن تعالينا، فإلى الله، ما علوناه، وإن في قائم تجددنا، فبالله ما أنكرناه، ولا محوناه، ولكن محونانا إلى معناه، له البقاء، والبقاء لنا به كسبناه.

فالآزال عرفناه، مبعوثة في الآباء قمناه. لا يجز عنا عطاؤه، ولا يغيب عنا ولا يفقد منا ولاؤه. عباد الرحمن يشرفنا أن نكون العباد، ويرضينا أن نكون عبادا للعباد في قادم أو قائم أو في قديم، حقًا أدركناه، ويُدركه من يرضاه، الحقيقة إنما هي عباد لعباد، إنما هو إنسان لإنسان، في موجود الإحسان.

إنها الحياة، والحياة، في قادمها إلى أحسن تقويم. لا تختلف عنها في قديمها في أحسن تقويم. عبادٌ لعباد، وإنسان لإنسان، رجل سلم لرجل، قاما في الله مثنى، وبعثا به فرادى، فعرفوهم مع الأعلى فردًا، ومع الأدنى مبعوثَ الأعلى، فكانوا مع الأعلى ومع الأدنى، على ما هم، مع من قام فيهم في جوارحهم ومعانيهم.

فتكاملت وكملت أبعاضهم، لكلي معناهم، في كلي مولاهم، لكلي من أبداهم، عرفوهم ما قدروا عاليهم حقَ قدره، في إحاطته بهم، وبما يحيطون به، فما أنكروا سافلهم لدانيهم عن عاليهم، قاموا أمرا وسطا في الله، يرددون ذكره، ويقومون اسمه، ويظهرون ويشهدون وجهه، ويعملون عمله.

أولئك هم المسلمون حقا، أولئك هم المؤمنون صدقًا أولئك هم العارفون قيامًا، أولئك هم المستقيمون كلاما، أولئك هم القادرون حسامًا، أولئك هم الكرام الكاتبون أقلامًا، أولئك هم عروش الرحمن قياما، وكراسي فعله، أمرا وسلطانا، أولئك هم المسلمون حقا وعيانا والروحيون بيانًا وصولًا وعرفانا.. فأين هم المسلمون.. أيها المسلمون؟

ألا تنَبّه الناس، لفساد أمرهم، واضطراب سرّهم، وظلام جهرهم، وانحراف كلامِهم، وضال فعلِهم، فجددوا للأعلى إسلامَهم، وبالمعبود عرفانَهم، وعلى مادي قائمهم إنكارَهم، فقاموا فيما قام به الصالحون من آبائهم، وقاموا ليصلحوا في الحق للحق أبناءهم!

بذلك يستقيم في الحق إعلامهم، وترفع على الأرض أعلامهم، ويقوم بالله بينهم سلاُمهم، ويعم في المعمورة إسلامهم، تزوى لهم أرضهم، مسلمين، لرب العالمين، لا عربا، ولا أعجمين، إنما هم، كان لهم جميعا الإسلام دين.

فعرفوا الإنسان، عرفوه بالرحمن عين رحمته، وعرفوه بالديان، جزاء دينونته، بأيام الله، بعباد الله، بحقائق الله، بوجوه الله بينهم، عبادًا للرحمن، يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، أو عبادا للديان ينتقم بهم ثم ينتقم منهم.

عيد بينهم، محمد، غريبا على الناس، أبا سريعا، وروحا رفيعا، وحقا مدانيا، وراعيا مواليا، فيه تقومون، وبه تقومون، وعليه لا تنكرون، يوم يكون لكم من الله ما تطلبون، فبه تسعدون، يوم أنكم برسالة الروح يقوم لرب العالمين تؤمنون ولها تعرفون وعليها تقبلون.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الكهف - ٢٦